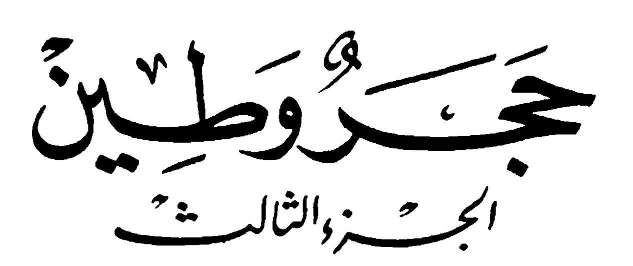

مجر وطين
الجزء الثالث
تأليف
المرجع الديني آية الله العظمى
الشيخ محمد تقي الفقيه العاملي

حَجَرُّوَطِين



تأليف

المرجع الديني آية الله العظمى

الشيخ محمد تقي الفقيه العاملي



بسم الله الرحمن الرحيم
وله الحمد والمنة

هذا هو الجزء الثالث من كتاب (حجر وطين) الذي بدأ مسيرته قبل ستين عاماً تقريباً ، وقد تخطى أعناق هذه السنين الطويلة ، وهو يُراقب أحداثها عن كثب ، وكان يمر بها مرور المستعجل ، ويتناول شيئاً من هنا ، وشيئاً من هناك ، فاجتمعت فيه صور عن مجموع معظم تلك السنين ، ولكنها صور تفقد النظام وتفقد التمام ، فكان معظم ما فيه لا يفي بما احتضنه ، ولا يستوفي ما تضمنه .

ومع ما فيه من الهنات غير الهينات ، ليس خالياً من الحسنات والمرغبات ، حتى ولو كانت سيئاته أكثر من حسناته .

ومع ذلك كله ، فإن كثيراً من الناس قد يجد فيه حاجته ، وقد قيل من قبل : العلم كله في العالم كله .

ولا ريب أن الأحداث كلها أو معظمها في الكتب كلها ، وكثيرٌ مما يوجد في هذا الكتاب لا يجده الباحث في غيره ، لأن هذا الكتاب لا يختص بموضوع واحد ، ولا يقف عند غاية واحدة ، بل هو مضمار واسع لا تحاصره الحدود ، ولا تقف في وجهه السدود يباح له ما هو محظور بالنسبة لغيره ..

ومن أجل ذلك كان كما هو عليه الآن ، ومن أجل ذلك أيضاً كان أحسن

ما في هذا الكتاب أقبح ما في غيره ، لأن أقبح ما في الكتب ، ذات الموضوع الواحد الهادف ، هو فقد الترتيب ، والتبويب ، والتهذيب ، وسو اختيار المفردات ، وترك اختيار أفضل التراكيب ، وسوء الإسهاب الممل والإيجاز المخل .

ولا ريب أن كتاب (حجر وطين) يفقد ذلك كله ، فلا ترتيب ولا تبويب ، ولا تحقيق ، ولا تدقيق ، حتى ولا تصحيح .

ومن أجل ذلك أيضاً كان منفتحاً لكل شيء فاختص بأشياء يحسن تدوينها فيه ، ولا يحسن تدوينها في غيره .

ومن أجل ذلك أيضاً ، يجدر بنا أن نقول فيه : إن أحسن ما فيه هو أقبح ما في غيره .

ومضافاً إلى أن تركيبة هذا الكتاب تركيبة يمتاز بها ، تستدرج القارىء للتنقل بين صحائفه وسطوره .

فإذا وقع بين يدي المفكر الذي أجهده البحث وأضناه التفكير ، فتحه لغرابة اسمه فإذا قلبه وجد فيه متعة ولذة ، وإذا قرأ شيئاً منه أعجبه وإذا أعجبه استقرت نفسه وهدأت أعصابه ، وبذلك يستعيد نشاطه ثم يعود إلى عمله ، وربما وجد في أثناء رحلته فيه ما يتطلبه ويبتغيه .

وإذا وقع بين يدي المحروم وجد فيه ما يفتح له باب الأمل ويتيقن بأن الحرمان ليس نقمة ، وبأنه درس للمستقبل بالنسبة لسلوكه مع المحرومين ، فإذا أعطاه الله أعطاهم وإذا حباه حباهم .

وإذا وقع بين يدي اليتيم ، الكئيب ، المحروم من عطف أبويه ، رأى فيه رعيلاً من الأيتام الذين كانوا مثله ، ثم أصبحوا ملوكاً أو قادة أو أثرياء وكان ذلك بلسماً لجراحه .

وإذا وقع بين يدي السياسي الفاشل ، الذي عاش في السجن أو المنفى ، لوح له بالفرج بعد الشدة ، وبالنصر بعد الهزيمة .

وإذا وقع بين يدي المغترين بقوة أبدانهم ، أو بقوة سلطانهم ، وكثرة أعوانهم ، حطم كبريائهم ، وأدخل الرعب في قلوبهم ، واضطرهم للمجاملة والتواضع .

ومن هذا المنطلق يكون هذا الكتاب علاجاً أخلاقياً لأمراض شطر من الناس ودواء لأمراضهم النفسية .

وطالما شكرني آحاد من القراء على ما لمسوه من الفائدة العظيمة بالنسبة لهذه المشاكل التي كانوا يتخبطون فيها ويعانون من آلامها .

ومن أجل هذا أصبحت أظن بأن هذا الكتاب صدقة من الصدقات الجارية . وحسنة من الحسنات الباقية ، وأنه يد لله سبحانه وتعالى عندي ، لا تقل عن كثيرٍ من صنائعه الجميلة ، وأياديه الجليلة ، وله الحمد والشكر وهو حسبي ونِعم الوكيل .

سنة ١٩٨٩ م - ١٤٠٩ هـ

محمد تقي الفقيه العاملي

الحاريصي

العجائب والغرائب

قصص وعجائب وتأملات

مساء السبت ٧ / ١ / ١٩٨٩ ـ حدثنا الحاج أحمد ، ابن المرحوم الشيخ حسن ابن خالنا المرحوم الحاج علي سليمان العاملي البياضي في منزلنا في صور .

قال : بينما كان جالساً عند صديقه ـ إبراهيم إسماعيل ـ الذي يوجد عنده بنتان توأمان، اسم إحداهما ندى واسم الأخرى هيلاني وإذا بإحداهما فتحت البراد وكان مكهرباً فاجتذبتها الكهرباء وجعلت ترتعش ، وكانت أختها بعيدة عنها ، فرأيت اختها ، شاركتها بالإرتعاش رغم بعدها عنها . . . وبادرنا لتخليصها .

وأخبرنا والدهما بأنه إذا اشتكت إحداهما ألماً في بعض جوارحها اشتكت الأخرى نفس ذلك الألم . . . فأين هو الخط الذي يصل بين الأختين ، فإذا جذبت الكهرباء إحداهما جذبت الأخرى ؟؟؟ .

وفي حياة الحيوان للدميري ج ٢ ص ٣٩ .

قال : ومما جرب لإذهاب السوس والفراش ، ما أفادنيه بعض أئمة الإمامية ، أن يُكتب على خشب الغار[1] هذه الأسماء في الظل بحيث لا تراه الشمس أبداً لا وقت الكتابة ولا وقت الذهاب بها ، ثم تُدفن الخشبة في القمح

---

(١) الغار : هو شجر الزند ، واسمه في جبل عامل غُوَردَل .

أو الشعير فإنه لا يسوس ولا يفرش وهي : بسم الله الرحمن الرحيم * ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا فماتوا ، كذلك يموت الفراش والسوس ويرحل بإذن الله تعالى ، أخرج أيها السوس والفراش بإذن الله تعالى عاجلاً ، وإلا خرجت من ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ويشهد عليك أنك سرقت لجام بغلة نبي الله سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام وهو عجيب ومجرب .

* * *

قال فقيل له

قال حكيمٍ لحكيم آخر :

إذا اختصم لديك عاقل ومجنون ماذا تصنع ؟ .

قال : آخذ من العاقل وأعطي المجنون .

فقال له : إذا اختصم إليك مجنونان ماذا تصنع ؟ .

فأجابه : أعطيهما من مالي وأرضيهما .

فقال له : فإذا اختصم إليك عاقلان ماذا تصنع ؟ .

فأجابه : العاقلان لا يختصمان .

* * *

كان لرجل بستان ، وكان فيه حية تطارد الحشرات والجرذان ، وكان الرجل سعيداً بها ، وكان يطعمها في كل يوم بيضة مقلوة بالزيت وهذا النوع من الطعام ترغبه الحيات . كما يقولون .

وغاب مرة ، واستناب أخاه في حفظ البستان ، وكان لا يعرف ما بين أخيه والحية من الصداقة .

فرأى الحية تسرح وتمرح فخاف منها وضربها ضربة منكرة فقطع ذنبها

فهجمت عليه ولدغته وأفرغت كل سمها فيه فمات في وقته وساعته فاحتفر المؤمنون قبره عند باب البستان ، وكان مقر الحية في تلك الجهة .

ولما عاد صاحب البستان من رحلته أعلموه بما جرى بين الحية وأخيه فحزن عليه حزناً شديداً ، فأصبحت الحية تخشاه وتجتنبه وتختبىء منه ، مخافة أن يطالبها بجريمتها ، وذات يوم التقيا فجأة فسلم عليها ودعاها للصلح والوئام والعودة إلى ما كانا عليه قبل الحادثة .

فأجابته قائلة : ما دمت أنت تنظر إلى قبر أخيك كل صباح ومساء وما دمت أنا أتذكر ذنبي المقطوع ، فإن أسباب العداوة تبقى نصب أعيننا . ولا يتم الصلح . أما إذا نقلت قبر أخيك من هذا المكان ونبت ذنبي واستطال ، فربما نعود لما كنا عليه .

* * *

قال أحد الشجعان لزميله : إذا اعتدى عليك الجبان ماذا تصنع ؟ .

قال : أوجعه ضرباً ليتأدب .

فقال له : أما أنا فاعرض عنه وأترك تأديبه على غيري لأن الشجاع إذا قاتل الجبان علمه على الشجاعة .

* * *

ومن ثم قيل : لا تقاتل الجبان ، فإنك إذا قاتلته علّمته الشجاعة .

* * *

قالوا : رأت امرأة عاقلة جمهوراً من الناس مجتمعين ومزدحمين في ساحة واسعة شبه الدائرة ؛ فاستلفتها ذلك المنظر ، فتساءلت في نفسها : لماذا ازدحموا مع سعة الساحة ؟ ولماذا استداروا كالحلقة ؟ .

فقالت لاحدهم : لماذا ازدحموا ولماذا استداروا ؟ .

فأجابها : إن في وسط الحلقة رجلاً مؤمناً عنده ألف دليل ودليل على

وجود الخالق .

فقالت ساخرة به وبهم : لو لم يكن في قلبه ألف شك وشك في الخالق وألف شك وشك في ثقة الناس بإيمانه لَمَا احتاج إلى ذلك.

* * *

قال الطفيلي لابنه وهما في طريقهما لمائدة غنية بالطعام : تناول يا ولدي كل ما تصادفه من طعام ، فلربما لن نتوفق بمائدة أخرى ، ولما جلسا على المائدة، جعلا يأكلان بشراهة بغير حشمة ولا نزاهة ، ولكن الولد استراح قليلاً ، وتناول الماء وشرب منه كثيراً ، فلم يتحمل الوالد ذلك المنظر فصفعه بغضبٍ قائلاً : يا عدو نفسك ، إذا شربت امتلأت زاوية من بطنك بالماء ، والماء موجود في كل مكان بلا ثمن.

فأجابه الولد مبتسماً : الماء يضغط الطعام في المعدة ، وبذلك نكون قد تمكنا من الإكثار من الطعام .

فصفعه الوالد صفعة أخرى أشد قوة من الأولى كادت تقضي عليه ثم تابع الأكل بشراهة :

فقال الولد للوالد : اللطمة الأولى كانت في محلها ولكن لم أفهم اللطمة الثانية .

فقال الوالد : يا عاق . يا شاق يا ابن الزانية لماذا لم تخبرني قبل الآن بنفع الماء ؟؟ .

* * *

بات الديك والدجاجات في أعلى الشجرة ، وبات ابن آوى تحتها ، ينتظر فرصة الوثوب على الدجاج ، وطال الإنتظار ، وعند الفجر ، صاح الديك وأكثر الصياح ، فناداه ابن آوى ، وهو يعرك عينيه من شدة النعاس ، ويتمطى من الكسل : يا أخي هلّم إلى الصلاة ، فقد بزغ الفجر واستطار النور .

وكان الكلب الأبقع الأجدع ، الموكل بحراسة الدجاجات نائماً في ظل الحائط .

فقال له الديك : أما أنا فقد أذنت وعليك الإقامة ، ولكن الإمام لا يزال نائماً في ظل الحائط نبهه لكي نجتمع .

فلما رآه ابن آوى ولى هارباً ، فناداه الديك : يا أخي لا يفوتك ثواب الجماعة ولا تؤخر فريضة الصلاة كادت الشمس أن تظهر .

فأجابه ابن آوى قائلاً : لا خير في صلاة يكون الإمام فيها كلب أجدع أبقع ولا في مؤذن لا يخدع ، ولا في مأموم إذا نودي للخير لا يسمع ، ولا في صلاة ليس فيها لابن آوى مطمع .

فقال له الديك : كأنك مرائي يا عدو الله .

فأجابه ابن آوى : أتظن نفسك واعظاً ناصحاً لي يا صديق الشيطان .

* * *

قيل للمأمون الخليفة العباسي : لو عدلت في القسمة يا أمير المؤمنين .

فقال المأمون : لو عدلت لما وصلك فلس واحد .

والذي أظنه أنه رفعت إليه رقعة فيها ذلك فوقع عليها بما ذكرناه .

ولعله يعني : أن المال أقل ممن يحتاجه الفقراء من المسلمين . أو يعني أن في المسلمين من هو أحق بالمال ممن قال هذه المقالة .

* * *

فصل يشتمل على أجوبة العظماء من العلماء والملوك والأمراء وسائر الناس ، ويكاد معظمه يجري مثلاً ، لأنه يعبر عن صميم الواقع .

المرجع الديني في وقته المرحوم الشيخ رضا الهمداني ، صاحب كتاب « مصابيح الفقيه » الذي هو تعليق على الشرائع ، الذي طُبع منه كتاب الطهارة والصلاة في مجلدين ضخمين بالطبع الحجري وقيل إنه طُبع منه غيرهما ، والأولان عندي وهو من أساتذة المرحوم السيد محسن الأمين صاحب المؤلفات الشهيرة الكثيرة وأشهرها أعيان الشيعة .

وفد عليه جماعة من المؤمنين يطلبون عالماً دينياً وأسهبوا في صفاته .

فقال لهم : أهل العلم الموجودون في النجف كلهم على ظاهر الخير والتقوى ولا يعرفون إلا بعد التجربة .

ومثلهم مثل البطيخ في حانوت البقال كله حسن المظهر ، ولا يتضح إلا بعد شرائه وكسره .

شكا لي آية الله الحكيم قصور الخدام الذين يستعين بهم على استقبال الناس وإيصال رسائلهم ، وشرح حاجتهم ، وقال : نريد رجلاً عاقلاً يعرف مراتب الناس لئلا يحصل التقصير في حق من يستحق الإكرام ويكون ثقة إلخ

فقلت له : سيدنا لو أن رجلاً جمع هذه الصفات لكان السيد محسن الحكيم الثاني ، ومثله لا يُستخدم .

حملت رسالة من والدي إلى السيد أبو الحسن قدس الله روحيهما وكان هو المرجع الوحيد في وقته فأجلسني عن يساره ووجدت عنده أهل مدينة المسيب ومعهم عالمهم الذي استبدله السيد بعالمٍ آخر - فأثنوا عليه بالتقوى والصلاح وقالوا وجوده بركة عندهم وإن كان منحطاً بدنياً لأنه مصاب بالفالج .

فقال لهم : نحن نريد أن يكون قريباً منا لنتبرك كما تبركتم فسكتوا ، وابتسم من ابتسم .

كنتُ جالساً في الصحن الشريف في النجف قرب مقبرة السيد محمد سعيد الحبوبي ، فجلس إلى جنبي الشيخ عبد الأمير قبلان ، وكان لا يزال طالباً في النجف وتحمس للعمل في سبيل الدين وأسهب في إنتقاد الطلاب المقصرين .

ولما انتهى قلت له : إنتهيت ؟ .

قال : نعم .

قال : فقيل له

قلت : إجمع كل المعممين الناقصين وضعهم في كيس ـ صندوق ـ وأقفل بابه وإلقهم في نهر الفرات .

فماذا يبقى لنا من هذا الصنف ومن هو الذي يعلم الناس مبادىء الدين ؟ وهل نعتمد على الصحفيين والمذيعين أو على أهل التجارة والصناعة ؟ ، نحن ندرك منهم ما تدركه ، ولكنا مضطرون إليهم لأنه لا بديل لهم . فسكت .

***

كان الذئب جالساً في أعلى مجرى النهر ، فورد الحمل على الماء عطشاناً وكان في أسفل المجرى ، فناداه الذئب : قف ولا تشرب فقد عكرت عليَّ الماء .

فقال الحمل : يا سيدي أنت في مكانٍ عالٍ وإذا تعكر الماء لم يضرك شيئاً .

فقال الذئب : حقاً ما تقول ، ولكن أباك كان قد شتم أبي ، ثم حمل عليه وافترسه .

هذا مثل يُضرب لخصام القوي مع الضعيف .

***

قال الوالد لولده : جد كل الجد في تحصيل المال واجمعه فإذا جمعته فضعه تحت قدميك ولا تضعه فوق رأسك .

فقال الولد : لماذا إذاً اهتم في جمعه ؟ .

فقال الوالد : لأنك إذا وضعته تحت قدميك وأنفقته في موضعه رفعك ، وإذا وضعته فوق رأسك واحتفظت به وضعك .

***

في سنة ألف وتسعماية وعشرين ميلادية تقريباً ، دخل الشيخ علي المصري وهو من أهل الزقازيق ديوان الشيخ الوالد فسلم فردوا السلام وبقي واقفاً فأمره

الشيخ الوالد بالجلوس فقال : إجلس حيث أنا أم حيث أنت ؟ .

فأفسح له وأجلسه الشيخ الوالد قربه .

* * *

قال المعلم للتلميذ : إذا كان معك ألف قطعة من النقود ، فاشتريت بكذا تفاحاً ، وبكذا ثوباً ، وبكذا طعاماً ، فماذا يكون الحاصل ؟ .

فقال التلميذ : مشكلة صعبة ، الحل بين الوالد والوالدة .

* * *

قال الشيخ نجيب سويدان من بلدة ياطر ، في أواخر سنة ١٩٨٧ ، لداوود داوود ، عندما دعاه الإيرانيون للإجتماع بهم . والبحث معه بشأن حصار المخيمات ، وكان لا يستطيع أن يقول لا ولا أن يقول نعم ، ماذا ستصنع وكيف ستخرج من هذا المأزق ؟ .

فأجابه داوود : أنومهم .

فقلت للشيخ نجيب : وماذا يعني بذلك ؟

فقال : يبقى يتجادل وإياهم طول الليل ، حتى يملوا ويتملكهم النعاس ويطلبون النوم ، وحينئذٍ ينسحب بدون لا وبدون نعم ، فمنذ ذلك التاريخ بدأت أعجب به وأكبره .

* * *

لما حكم شاه إيران محمد رضا بهلوي على السيد الخميني بالإعدام أو هدده به ، توسط المراجع البارزون في النجف في أمره عند الشاه فبدل ذلك الحكم بالحكم بالنفي ، واختار الخميني العراق وقبلته الحكومة العراقية وأفسحت له كرهاً بإيران .

ولما ورد العراق ، تردد العلماء في زيارته ، وأخيراً قرروا زيارته بتحفظ ، من خطر النتائج ، ومجتنبة لإثارة الفتن بين المسلمين .

قال : فقيل له

ولما استقر ،أزاره آية الله الحكيم، وكان هو عمدة من أبرق للشاه بشأنه .

قالوا : قال الحكيم للخميني : ما هو الموجب لهذه الأمور ؟ .

فقال الخميني : نريدها حسينية ـ يعني دموية ـ .

فأجابه الحكيم : ولما لا تكون حسنية ـ يعني ثورة سلمية ـ فإن الشاه ليس بأعظم ظلماً من معاوية . فسكت .

قلت : من الغريب أن معظم البشر لم يفهموا تحركات الحسين على حقيقتها ، منذ بداية نهضته (ع) إلى نهايتها ، ومعظم الناس يعتبرونها ثورة دموية مع أنها ثورة طافحة بالسلم والسلام ، من مبتداها إلى منتهاها .

وإليك لمحة عن حياة الإمام الحسين (ع) السياسية ، منذ إستشهاد والده أمير المؤمنين (ع) ، في ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان ، سنة أربعين للهجرة ، إلى يوم شهادته هو في اليوم العاشر من المحرم سنة إحدى وستين هجرية .

فإن هذه اللمحة على إيجازها ، وواقعيتها ، تحمل صورة معبرة عن حياته السياسية المسؤولة في فترةٍ تزيد عن عشرين سنة .

بعد استشهاد أبيه وبعد وصيته لأخيه الحسن (ع) ، وبعد بيعة معظم المسلمين للحسن ما عدا أتباع معاوية في بلاد الشام ، رجح الحسن مد يد الصلح إلى معاوية ، حقناً لدماء المسلمين ، من جهة لصيانة القوة المتبقية للإسلام التي بقيت بعد ثلاثة حروب داخلية ـ البصرة ـ النهروان ـ صفين ـ.

وكان سبب رجحان الصلح مضافاً إلى ما تقدم ، فقدُ إحراز النصر عسكرياً إلا بعد تضحيات تفوق مصلحتها مصلحة الإنتصار ، مضافاً إلى ما يحمله هذا الحل من التحول من كفاح مسلح إلى كفاح سياسي .

وهكذا كان ، فقد كان فوز الحسن سياسياً فوزاً محتماً ، فقد انتهى أمر معاوية بين المسلمين بنعت ملكه بالملك العضوض ، بسبب تحول الخلافة من

معناها الديمقراطي العادل إلى تحولها إلى ملك عضوض بنظر المسلمين ،

* * *

حدثني ولدي الكامل الفاضل المؤمل الشيخ يوسف الفقيه الثالث إنشاء الله تعالى ، وهو يقيم في دمشق لطلب العلم - يوم الثلاثاء ١٢ / ٩ / ١٩٨٩ الموافق ١١ صفر سنة ١٤١٠ هـ قال في تاريخ ١٤٠٩ هـ من شهر شعبان كان السيد محمد حسين فضل الله موجوداً في الشام ، وأنه زار العلامة السيد علي مكي في منزله الكائن في حي الأمين في دمشق ، وأنهما تحدثا حول بعض الشؤون وخاصة حول الهلال ، وبعد دقائق ليست بالقليلة دخل الخطيب الفاضل الشيخ عبد الكريم آل حمود ، وهو من الشخصيات البارزة من الشيعة في السعودية في المنطقة الشرقية منها ، فسلم على السيدين وجلس ، فالتفت إليه السيد محمد حسين فضل الله وقال له بعد السلام : علمت أنك صرت زعيماً ؟ (يشير بذلك إلى علاقته بأمير المنطقة هناك) .

فأجابه : إن الزعامة لكم ، ثم أردف الشيخ عبد الكريم قائلاً : الذي أعرفه أنكم والشيخ محمد مهدي شمس الدين وجهان لعملة واحدة فما الذي تغير (يشير بذلك إلى الخلاف الذي بينهما) .

فأجابه : إن العملة اللبنانية نزلت قيمتها هذه الأيام . فضحكوا وانقلب المجلس إلى شيء من النكات الخفيفة ثم انفض سريعاً .

* * *

قصة سهيل حمود فصل عبرة في قصة

في هذا النهار ٣ / ١ / ١٩٨٣ الموافق / ١٤٠٣ هـ اتصل بي هاتفياً يوسف ابن المرحوم الحاج محمود حمود الشوكيني وسألني مسألة تتعلق بنذر نذرته سهيلة حمود زوجة حيدر جابر من بلدة ميفدون التابعة لقضاء النبطية ، ثم استأذن

بالحضور إلى منزلنا في حارة حريك بناية أبو طعـام فحضرا وطلبت من حيدر جابر توضيح السؤال فقال :

ليلة الخميس ٢٩ /١٢ / ١٩٨٢ م ، كان هو وزوجته في مكان ليلاً ، وفي الساعة التاسعة ليلاً أو بعد المغرب عادا إلى منزلها ، وبينما كانت نـازلة عـلى الدرج سألت ولدها : هـل بقي شيء من الدرج فـأجابهـا . فسمعها زوجهـا فناداها فقالت إنها لا تبصر الطريق . فحملها في سيارته إلى منزله ، ثم عرضها على الدكتـور عدنـان الشريف طبيب شهير في العين ، وبعد الفحص أبـدى أسفه ، وصرح لهم باليأس من عودة نظرها وقـال : أريد أن أسحب مـاء من ظهرها .

وهنا ارتبك الـزوج وامتنعت المرأة ، وكـان ثديـاها قـد درا ، فـطلبت الرجوع للمنزل لأجل إرضـاع ولدهـا البالـغ من العمر ثـلاثة أشهـر . وسأل الطبيب عما يريد ، فقال : بعد عودتكم نتفاهم على العملية وبعد العودة قررا مراجعة الدكتور الحجار ، والمعالجة عنده ، فامتطت السيارة مع زوجها وكانت أختها معهم واتجهوا إلى مستشفى الدكتور الحجار فنذرت في الطريق كل ما هي لابسة من الحلي للسيدة زينب (ع) .

وكانت الساعة واحدة من بعـد ظهر يـوم الخميس المذكـور، ثم أكدت النذر فنذرت كل ما تملكه من الحلي للسيدة زينب (ع) .

وعنـدما وصلت في طـريقها إلى تمثـال رياض الصلح نظرت السير وقالت : ها أنا أرى سيارة بيضاء ، ثم قالت : وهذه سيارة بيضاء ثانية ، وهذه سوداء ، فسألها زوجها : عما تشاهـده ، فجعلت تخبره ، فـأشار إلى جهـة من الطريق كان فيه إمرأة تقطع الطريق وقال : ماذا تشاهدين ؟ قالت : امرأة معها ولدان . ثم انتهوا إلى مقر الدكتور ، وكان على الجدار قطعة معلقـة فسألهـا : ماذا ترين ؟ فقالت : قطعة معلقة في صورة أوراد وأزهار .

ثم قالت لزوجها : أحسست عندما رأيت السيارة أنك وضعت يدك على رأسي وجذبته بقوة فقال لها : لم أضع يدي ، فقالت : أحسست يـداً وضعت

على رأسي وجرته أو جذبته وكنت أظنها يدك ، وبعد هذه الحركة فتحت عيني وأصبحت أبصر .

قال : والآن نريد أن نسأل : كيف نوصل هذا الحلي للسيدة زينب عليها التحية والسلام .

* * *

قصة الحاج محمود حمود الشوكيني

في سنة ألف وتسعماية وتسع وأربعين زرت الشيخ الوالد ، وكان مقيماً في برج أبي حيدر في البناية الواقعة على زاوية مخرج شارع النويري، وبينما أنا خارج التقيت بالحاج محمود حمود الشوكيني ، ذاهباً إلى منزله في المصيطبة من المفرق المقابل لمنزل الوالد إلى جهة الغرب ، سلمت عليه فرأيته يحمل على صدره ما يحمل . فقلت له : ما هذا ؟ .

فقال : أدوية للربو ، وكنتُ لا أعرف الربو ، فجعل يصفه لي . وقال لي : إن مصلحة عمله لا تتلائم مع هذا المرض لأنه يتجر في الخيش الجديد والعتيق وقال : إن الطبيب قال له : تموت وأنت واقف ولا تشعر بحالك .

فضاق صدري لأنه عزيز عليَّ ، وودعته ومضى لمنزله ، وعدت إلى العراق ، ولم أتوفق بالمراسلة ، ولا هو راسلني ، وكانت عادته أن يرسل إلينا بعض الحقوق ، ثم لما طالت القطيعة امتنعت عن المراسلة وعن السؤال عنه ظناً مني أنه متوفي ، وبأن النبأ لم يصلني وخفت أن أحرك أحزان ذويه ، وفي سنة ١٩٦٤ م كنت مقيماً في الشياح في بناية التكجي مقابل صيدلية الأمل . وهو موضع معروف وكنت واقفاً أمام البناية ، فوقفت سيارة ونزل منها رجل يشبه الحاج محمود حمود الشوكيني تماماً ومعه امرأة ، وتوجه لقصاب في أحد حوانيت تلك البناية من بيت جرادة ،فجعلت أطيل النظر إليه ، وجعل يطيل النظر إليَّ فعاد إليَّ وقال :

ـ بالله عليك مش أنت الشيخ محمد تقي ؟ .

قلت : نعم وأنت الحاج محمود حمود الشوكيني ؟ .

قال : نعم ، فعانقني وعانقته وهو من أقرب الناس إليّ .

وقلت له : تفضل إلى البيت ، فاستجاب بدون تردد ، وصعد الدرج هو وعياله الحاجة شمس من السادة آل بدر الدين .

وبعد استقراره أصابني الندم لأنني أعلم بمرضه وبأنه مهدد بموت الفجأة ، وقلت في نفسي : أزعجت الرجل وتحيرت في أمره .

وبعد الصلاة والغداء لاحظته في صحة جيدة ولاحظت تنفسه طبيعياً فقلت له : سابقاً كنت تشكو من مرض الربو والآن أراك بخير؟ .

فقال : إستعملت دواء وعافاني الله .

قلت له : دلنا على هذا الدواء فإن أصحاب هذا المرض كثيرون ، وللآن لم يعثروا على دواء نافع .

قال لي : هذا الدواء غالي جداً .

قلت له : يوجد آحاد يشترونه مهما كان غالياً وعندنا رجل في حاريص اسمه الحاج أسعد ناصر يشكو هذا المرض وأولاده مغتربون في ليبيريا ، ويبذلون في سبيله الألوف .

قال لي : عندما ذهبت للدكتور بهجت الميرزا ، وأجرى عليّ الفحص قال لي : لا ربو ، ماذا صنعت ؟ فأجبته بأنني استعملت دواء وعوفيت ، فارتاح كثيراً وقال : يجب أن تدلنا عليه لنعرفه ، لأنه أمر مهم نريد فيه نفع الناس ، وجعل يرغبني في إعلامه عن هذا الدواء ، قال : فشرحت له القصة التالية . ولما سمعها قال : الله على كل شيء قدير ، والقصة هي ما يلي :

قال الحاج محمود حمود المذكور : حضرنا عاشوراء في النبطية وفي اليوم السابع تكلم العلامة الشيخ محمد تقي صادق ـ الله يجير دياتك ودياتو ـ في أحوال العباس (ع) وفي مكانته من أهل البيت ، وفجأة تفجرت الدموع

وتهيجت العواطف .

ثم قال : قال الشيخ : هذا اليوم يوم العباس ، والعباس باب الحوائج إلى الله تعالى ، فمن كان عنده حاجة فليطلبها منه فاشتد حالي واشتد بكائي .

وقلت : يا أبا الفضل هذا اليوم يومك وأنا ثقيل على نفسي وعيالي ، فإما أن يمتني الله أو يشفيني وأكثرت في الإلحاح على الله سبحانه وتعالى مقسماً عليه ببركة العباس وكررت بأمثال هذه الكلمات .

ثم انفض المجلس وذهبت لمنزلي مرهقاً ، وعند الصباح أصابني سعالٌ شديد ، وخرج من صدري بلغم شديد كثير حتى أحسست أن شرايين قلبي تتقطع ، وكان قد تكون من البلغم شبه الدائرة ، فقلبت بعضه بعود فوجدت فيه ثلاث كريات بقدر البندقة، لو أردت دقها بالدقماق لما تأثرت لصلابتها ، وبت خائفاً من أن يصيبني في اليوم الثاني ما أصابني في هذا اليوم ، وأيقنت بالهلاك ، وفي اليوم الثاني أصابني سعال صباحاً وخرج مني بلغمٌ كثير وكان أقل منه بالأمس .

ثم بعد ذلك أحسست بالراحة ، فذهبت للدكتور بهجت الميرزا ، وكان يتولى معالجتي ، ولا سيما وأن ولدي محمداً تزوج بابنته ، فلما فحصني قال : ذهب الربو فماذا صنعت ؟ .

فقلت له : استعملت دواء وحكيت له القصة فقال : الله على كل شيء قدير .

ونحن ننقل هذه القصة وأمثالها بالمعنى لأننا لا نستطيع المحافظة على الكلمات العامة .

قصة الحاج حسن حمزة

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية توجه جمع من أهل بلادنا إلى حج بيت الله الحرام عن طريق النجف ، واجتمعت بجمعٍ منهم في بيت الشيخ بشير حمود ، فسمعتهم يتنادون باسمائهم ما عدا شخص اسمه الحاج حسن حمزة من بلدة زبدين قضاء النبطية ، وكان يتجر في بيروت ، فقلت لهم : لماذا تلقبونه بالحاج دون سائركم مع أنكم جميعاً في طريق الحج ؟ فقالوا : إنه حج من قبل وهذه هي الحجة الثانية ، فاستغربت ذلك وقلت له : أهل بلادنا غير معتادين على تكرير الحج ، فقال : إنما كررته لقصة جرت ، ولوعد أعطيته ، فسألته عن ذلك فقال :

في العام الماضي في موسم الحج جاء مرض وافد مات فيه الكثير ، فأصبت به فاستدعيت سماحة الشيخ يوسف الفقيه فأوصى لي ثم انعطف على زوجتي أم محمود وجعل يحثها على الإعتناء بي ، وكان المرض معدياً ووعدها بالخير في الدنيا والآخرة ، فقلت لها : إذا منَّ الله عليَّ بالعافية صحبتك إلى الحج في السنة القادمة ، وقد منَّ الله عليَّ بالعافية وذا أنا أفي بوعدي .

ثم قال لي : ولي في مرضي قصة عجيبة ، فإنني عندما كنت في سكرات المرض والألم سمعت شخصاً ينادي طبيب طبيب ، فاستدعيته وإذا به شيخ نجدي له لحية وسمرة تشبه أهل نجد فشكوت له حالي فقال : دواك سهل ، فأخرج كأساً واترعه وقال : إشرب ، فقلت له : كم تريد ؟ فقال : الأمر سهل وأعدت عليه فأعاد ، فقال : ثمنه كلمة واحدة تتبرأ من ولاية الإمام علي ابن أبي طالب فقلت له : ما أسمك ؟ فقال : أبو مرة ، وكأن اللعين مأمور بأن لا يكذب ، فحولت وجهي عنه ، وقلت له : يا ملعون أثمتي حذروني منك ،

فاستدار إلى الجانب الثاني ، وقال لي : لماذا تبقى في هذا العذاب إشرب فإذا شربت برئت ، فحولت وجهي عنه وهكذا وعيالي جالسة إلى جنبي تسمع كلامي فقط ، وتقول : الله يسمي على اسمك ، وهذه الكلمة يقولها العامليون لمن يصيبه المس أو يبتلي بالتخيلات الموحشة .

وبينما أنا في هذا الحال ، رأيت موكباً مجتازاً أمام منزلنا يقدمه الحسين عليه السلام ، فجعلت أناديه بصوتٍ ضعيف فلا يسمع ، ثم خفت أن يتجاوز البيت ولا يسمع ، فناديته بأعلى صوت تمكنت منه ، فقامت زوجتي هاربة مني ، وجعلت ترتعد ، فالتفت إليَّ وقال : ما تريد ؟ فشكوت إليه أمري وهرب الطبيب بمجرد رؤيته فقال : لا بأس عليك ، فجلست فوراً وناديت عيالي ، فخافت مني ولم تقترب ، ظناً منها أنها هذه هي صحوة الموت ، وملكتها الرعدة والإرتباك ، ثم أكدت لها أنني في عافية ، وأن الحسين طيبني ، وهي لا تصدق ، ثم تبينت ذلك ، وأجابته لما أراد .

ومن الصدف أنني زرت الشيخ الوالد في بيروت سنة ١٩٤٩ م فجاءه رجلان وامرأة يسألانه عن مسألة ، فأحالها عليَّ ، وكانت المرأة زوجة الحاج حسن حمزة وأحد الرجلين الحاج حسن قبيسي ، وهو صديقه ، والآخر الحاج سامي حمدان بن الحاج عبدالله حمدان وهو نسيبه على ابنته ، وتبين أنه توفي في تلك الأيام ، فقال الحاج علي : أن أمور المرحوم الحاج حسن كانت كلها بيد زوجته وكان لا يملك معها هو ولا بنوه شيئاً من حيث المال ، وقد أودع معي أمانة أربعة عشر ألف ليرة لبنانية ، ولا يعرف بذلك أحد ، وهذه القيمة كان لها في ذلك الوقت قوة شرائية أكثر من مليون ليرة اليوم ثم قال الحاج حسن القبيسي : فهل يجب عليَّ أن أدفع هذا المبلغ لزوجته عملاً بما كان يفعله في حياته أو للورثة ؟ .

فقلنا له : إذا كان هذا المبلغ لم يدفعه لجهة معينة فهو تركة .

ثم سألت زوجته عن قصته فوافقت وتعجبت من معرفتي بها وكان قد مضى على وفاته نحو أربعين يوماً .

وقد دخل عليَّ أبو علي أحمد العلي من حاريص فوجدني مشغولاً بقراءة هذه القصة فقال : هذا شخص جاورناه وكان يبيع الخيش وكانت زوجته أم محمود قوية جداً .

* * *

قصة فيها قصص
منها حكاية أبي هيثم عن
حفار الآبار الإرتوازية

ليلة الخميس ، ليلة ثلاثة وعشرين أيار سنة ١٩٨٦ م، الموافق ١٣ رمضان سنة ١٤٠٦هـ ، ذهبت مع الشيخ عبد الإله دبوق لزيارة أبي حسين نبيه بسمة ولما وردت منزله علمت بأن الشيخ محمد مغنية ابن المرحوم الشيخ أحمد موجود في جواره في الطابق الأول فزرته ، واعتذرت له عن عدم تعزيته بالمرحوم والده، وكان رفيقاً لنا في النجف ، في أوائل هجرتنا ثم ترك النجف الأشرف ودخل في سلك المعلمين في العراق ، ثم في السنة التي طبعت بها كتاب جبل عامل في التاريخ وهو الجزء الأول وهي سنة ١٣٦٤ هـ حسبما اتخطر ، نزلت في الكاظمية في الفندق العسكري ، الذي هدم بواسطة فتح الشوارع وكان بيته مجاوراً للفندق المذكور ، فكنت ألتقي وإياه في الفندق وفي دار الساعة أعني دار صحيفة الساعة أو في منزله ودعوته مع عياله أم فريد ووالدة الشيخ محمد للنجف .

ومنها : ما نقله الشيخ محمد عن رياض إسماعيل من زوطر الشرقية التي هي قرب النبطية .

وأبو هيثم رياض إسماعيل كان معلماً ثم ترك التعليم ، واشتغل بتشييد الأبنية في بيروت مع السيد إبراهيم أبو طعام ، وكنتُ قد اشتريت منه شقة في الطابق التاسع ، واشترى المرحوم الشيخ أحمد شقة في الطابق الخامس .

قال الشيخ محمد : حدثني أبو هيثم أن فلاناً وهو شخص يتولى حفر

الآبار الإرتوازية دعوته لحفر بئر للبناية ـ فكتب هيك المعاملة ـ .

وقال فيه : ما مضمونه يحفر البئر إلى أن يستخرج الماء إن شاء الله تعالى .

فقلت له : ما هذا ؟

فقال : كل ورقة اكتبها أضع فيها هذه الكلمة ، ولا أرضى إلا بذلك .

قال الحفار لأبي هيثم : دعاني فلان لحفر بئر عنده ، فكتبت الورقة على هذا النهج فلم يقبل وقال : الماء موجود ولا حاجة لذكر المشيئة .

قال الحفار : فامتنعت عن العمل بدونها وامتنع عن العمل إذا ذكرتها ، وأخيراً تركني واستدعى حفاراً غيري ، فحفر ثلاثة آبار عند البناية ولم يجد ماء ، ثم عاد إليَّ وأخبرني وقال : اكتب ما شئت واحفره .

* * *

فصل : عبرة وقصة

في سنة ١٣٦٦ هـ ذهبت إلى قلعة سكر موفداً من قبل آية الله الحكيم ، لتفقد أوضاعهم الدينية . فنزلت ضيفاً على الحاج جعفر عبد العباس فزارني جموعٍ كثيرة من أهل القلعة وغيرها ، منهم : الحاج عبد المطلب الطحان ، وهو تاجر يقيم في مدينة الشطرة قرب الناصري ، وأصله من بغداد ، وهو رجل كامل الجسم حسن الوجه ذو شيبة بهية ، ولعله ممن يحسن قراءة المجالس الحسينية ، وعليه سيماء الصالحين ، فطلب حضور صلاة الجماعة ، ثم كرر زيارتي ، وحدثني بحديثين وكررهما عليَّ بالمناسبة عند تكرر زيارته لي أو للحاج جعفر . قال :

كان أبي تاجراً في بغداد ولعله كان (بزازاً) ، وكنتُ في شبابي أعمل معه ، فمر رجل في السوق فاستدعاني والدي وقال لي: أنظر إلى هذا الرجل ،

فنظرت ، فقال لي : هذا الحاج علي البغدادي الذي رأى صاحب الزمان .

ثم بعد مدة اجتاز الحاج علي في السوق فأعاد والدي ذلك عليَّ ، وأمرني بالنظر إليه وقال لي ما قاله سابقاً ، فظهر عليَّ الإمتعاض والتململ .

فقال لي : يا بني هذا أمر لا يهمك الآن ، ولكنك تحتاجه فيما بعد .

وكان يتمنى أن يدرك ما قاله والده ليسمع كيفية رؤيته من الحاج علي نفسه[1] .

الحديث الثاني :

قال : كنتُ أزور الإمام الرضا عليه السلام وقد طلبتُ من الله سبحانه وتعالى في مقامه ، التوفيق لعشر زيارات، وقد بقي واحدة .

وقال : كنتُ أزوره علي بغلتي ، وفي إحدى المرات نزلنا في سبزاوار في الخان ، وكان الناس يعرفون « حشرة » في هذا المنزل تُدعى (دود كز) وإنها إذا لدغت الإنسان يُصاب بالحمى ، فكنا إذا نزلنا بالخان كنسنا الموضع ورششناه بالماء ، فاتفق إني أصبت بحمى شديدة من أثر لدغتها .

وفي اليوم الثاني عندما أرادوا الرحيل لم ارتحل مع القافلة ، بل تقدمتها أو تأخرت عنها (الترديد مني) ، فركبت البغلة وجعلت أجدّ السير وأنا أنتظر أن يلحقوا بي فلم يلحقني أحد وقريب غياب الشمس وصلت إلى طريقٍ ذات شعبتين ، فاحترت في أيهما أسير ، وأخيراً تركت الأمر للبغلة لأنني سافرت عليها قبل هذه المرة ، ويُقال إن البغل لا ينسى ، فأخذ البغل الطريق الأيمن ، وغابت الشمس وبدأ الظلام يخيم ، فما راعني إلا شبح أسود طويل في منتهى الطريق علوه نحو أربعين متراً ، ولما انتهيت إليه وجدته صفيحاً من الصخر يوقد الحطب في أسفله فيسود من أثر الدخان وبه تنقطع الطريق ؟ فلويت عنان البغلة

---

(١) هذه القصة أوردها المحدث الثبت الشهير صاحب المؤلفات القيمة الحاج عباس القمي في كتابه « مفاتيح الجنان » .

عائداً في طريقي وأنا أسير في الظلام وأعاني المرض ووحشة الوحدة .

فما راعني إلا فارس على فرس يحمل رمحاً يناديني باللغة العراقية : وين تريد ، تريد ربعك ؟ فامتلأ قلبي رعباً منه ، فناداني باسمي ، وكلما ناداني أحس أن عمتي التي على رأسي - وهي عمة من القماش الغباني الأصفر توضع على طربوش - وباللغة العراقية (على فينة) - تكاد تطير عن رأسي ، فأمد يدي وأثبتها على رأسي ، ثم جعل يسير وأنا أسير على مسافة منه لا تزيد عن نحو ماية متر ، وجعل يتكلم معي بالعربية ويخاطبني باسمي، وأنا لشدة خوفي منه أن يسلبني البغل ويأخذ ما عندي وانقطع في الطريق ، لا أتكلم بشيء ، وبعد برهة يسيرة قال : هؤلاء ربعك إمضِ معي إليهم ، فلاحت أنوار الأضوية ، فأسرعت جهدي ، فوردتهم فوجدتهم قلقين لأجلي ، ولما أخبرتهم بما جرى ، تعجب سكان تلك المنطقة وقالوا : إن المسافة بين هذا المكان والمكان الذي وصلت إليه بعيدة جداً .

حدثني بهذا الحديث أكثر من مرتين أو ثلاثاً بمناسبات تقتضي ذلك .

* * *

قصة الحاج يوسف سلامي مع المرحوم الشيخ محمد رضا الزين

تعرضنا لهذه القصة في جزء سابق من هذا الكتاب ورويناها عن الحاج غازي قانصو وبعد إطلاعه على ما نقلناه كتب لنا القصة بخطه وهي ما يلي :

حدثني الحاج يوسف سلامي من بلدتنا كفر رمان . قال : رأيت في الطيف إني نازلٌ من أمام بيت الشيخ محمد رضا الزين رحمة الله عليه ، وإذا هو واقفٌ أمام بيته ، فالتفت إليَّ وقال : يا حاج يوسف رد هذا الرجل عني ، فالتفتت وإذا بالحاج أمين فرحات واقف هو ورجل لا أعرفه . فقال الشيخ : رد ذاك الرجل الذي هو واقف مع الحاج أمين فرحات . وانتبهت من نومي ،

وذهبت إلى سوق النبطية ، وإذا بالرجل الذي رأيته في المنام ، واقفٌ مع الحاج أمين فرحات فتقدمت وسلمت عليهم ، وقلت لذلك الرجل : من أنت ؟ قال : أنا من بلدة عيا .

قلت له : هل لك مع الشيخ رضا الزين شيء ؟ .

قال : الله لا يسامحه . قلت : لماذا ؟ .

قال : لأنه أخذ مني سبع ليرات كي يعمل لي معاملة ومات وخسرت السبع ليرات .

فقلت له : إذا أحد أعطاك السبع ليرات تسامحه ؟ .

قال لي : نعم .

قال : فذهبت أنا وإياه لعند فضيلة الشيخ محمد تقي صادق في بيته وأخبرناه بما جرى ، ودفعت المصاري أعني « السبع ليرات » .

* * *

قصة للمؤلف

منذ سنوات وأنا أفكر في شراء قطعة أرض سهلة المسلك ، لأستغلها في زرع ما نحتاجه في أيام الصيف من البندورة والخيار والبطيخ إلخ ، كما هي عادة سكان القرى ، لنستغني بذلك عن شراء هذه الأمور لأن هذه الأمور غير ميسورة بالقرى إلا بهذا النحو .

وقد كلفت ابن عمتنا ابي علي سليمان علي أحمد بذلك ، فكان كلما عرف قطعة أرض مناسبة اشتراها لنفسه وأجلني لوقتٍ آخر ، فعظم عليَّ ذلك ، ولا يناسبني إلا التكنيف بمثل هذه الأمور .

وفي أوائل رجب الموافق ٢٩ آب ١٩٧٣ م أو ما يقرب من هذا التاريخ ،

زارني في بيروت الحاج خليل رشيد والحاج إسماعيل زهير وهما من حداثا ، وبمناسبة بيع الأرض وشرائها قلت لهما :هل يمكن إن تساعداني على شراء قطعة أرض في منطقة روس حداثا لأن الأرض في هذه المنطقة لا تزال رخيصة ، وأهل حداثا لا يرغبون فيها لأنها مفصولة عن البلدة بالمقبرة ، وذكرت لهما ما يجري معي وقلت لهما : إن القيمة الموجودة نحو ثلاثة آلاف ليرة لبنانية ، وأنا لا استطيع مباشرة الشراء بنفسي ، فوعداني بذلك ، وجعلا الميعاد يوم الأحد ، وفي يوم الأحد اعتذرا بأنهما لم يذهبا للبلدة . وفي الأحد اللاحق كنت في حاريص فجاءا لعندنا ومعهما الحاج أبو نجيب الحاج محمد علي طالب ، والحاج أبو شهير الحاج حسن دبوق وقالوا : هيأنا ما تريد ، فترخصت ممن حضر وذهبت معهم إلى روس حاريص ، فأروني قطعتي أرض . إحداهما فوق الشارع وأخرى تحت الشارع قرب الحمام .

فسألتهم عن الثمن فقالوا : الأمر سهل ، ثم افترقنا . ورجعوا وقالوا : قيمة الأرض خمسة عشر ألف ليرة لبنانية والحاج مستعد لإحتساب نصف القيمة من الحقوق التي عليه وبما إني لا أستطيع دفع السبعة آلاف من جهة وكنت أظن أن قيمة الأرض أقل مما ذكروه ، وأن الحاج يريد إبراء ذمته من الحقوق بطريق رفع الثمن ، فوقفت عن المضي في المساومة ، وبعد يومين جاءني أحاد مجتمعين ومتفرقين . منهم الحاج حسن بردى المعروف بأبي يوسف بردى وقالوا : بلغنا كذا وكذا ، فسررنا بذلك ولا سيما إذا بنيت مسكناً أو مقراً في هذه الأرض لأنك ستصبح قريباً منا ، فأوضحت لهم المقصود .

وفي يوم أحدٍ آخر وقفت سيارة أمام الديوان في حاريص ونزل منها الحاج حسن بردى ومعه ولده أبو حسن رضا بردى ، وهو شاب رقيق وكنت لا أعرفه من قبل ، ثم جعل يخرج الفواكه وغيرها من السيارة ، وكانت من كثرتها وتميزها ، تدل على سخائه وشهامته وكان من جملتها الحلوى والفستق الحلبي .

ثم لما استقر بنا المجلس سألني عن قضية أبي شهير فأخبرته بما كان .

فقال : إن أبو حسن ـ أي ولده رضا ـ مستعد لدفع ثمن قطعة أرض إلى

حد خمسة آلاف ليرة ، فدعوت له بالتوفيق وشكرته وتناولنا طعام الغداء وعند وداعهم لنا قال : بمجرد أن يتم الإتفاق خابرنا تلفونياً لنرسل شيك بالمبلغ .

ثم بعد فراقهم زارنا الحاج عبد المجيد بردى فذكرت له ما جرى وسألته عن أبي حسن رضا بردى . فقال : أبو حسن مستعد لأكثر من ذلك .

وتبين بعد ذلك إنه اشترى مقهى في الحمراء ووعد الله سبحانه أنه إذا وفقه في ذلك يفعل ما قال .

ثم إنه اشترى وباع نصفه برأس المال وبقي النصف الآخر ربحاً وكان المبلغ نحو مليون ليرة لبنانية .

ولما علمت بذلك كلفت من يهيىء لنا عقاراً بقيمة خمسة آلاف أو أكثر ، ثم عُرضت علينا عدة عقارات .

ثم بلغني أن جارنا أبا علي أحمد العلي ، حضر من بيروت فذهبت لزيارته ومنزله لا يبعد عن منزلنا دون المائة متر فالتقيت به مبادراً إلى زيارتي فسلم وسلمت وتجاملنا .

وفي اليوم الثاني جاءنا وسألني عن قطعة أرض كنت عرضت ـ الدبشة ـ وبعتها لابن عمي الحاج محمد أحمد الفقيه أبي غسان فأخبرته بذلك .

فقال : هل يمكن شراؤها منه ؟ فأخبرته بإرتفاع ثمنها لأنها صالحة للسكن ، وألحت عليه في سبب حاجته إليها وكنتُ أظنه يريد إنشاء محطة بنزين فيها .

فقال : أحبُ أن أشتري أرضاً صالحة لبناء السكن . وأقدمها للمشايخ يعني أولادي هم وأولاد أخي الشيخ علي . ليصلي فيها فقلت له : منذ كم تفكر في هذا الأمر ؟ فقال : منذ عشرين يوماً تقريباً .

فحدثته بما كان بيني وبين أهالي حداثا ، وقلت له : هذا من القضايا الغريبة فقال لي : قطعة الأرض التي لأبي شهير تساوي ما طلبه فلا تتأخر عنها

أبـداً وقال : أنـا أعرفهـا معرفـة تـامـة وفلحتهـا بنفسي ، فقلت لـه بـطريق المداعبة : تريد أن تجعل المشايخ مشتركين في عقار واحد لتخلفهم في ما بينهم ، اجعل أولادي وحدهم وأولاد أخي وحدهم .

فقال : المبلغ الذي أعددته لهذا الأمر خمسة آلاف ليرة ثلاثة لك وألفان لأولاد الشيخ علي .

وبعـد هذا بقيت أنتـظر عودة أبي شهـير من بـيروت لنتفق معـه ، ومن الصدف توفيت زوجته في ذلك الوقت ، وهي عمة أبـو علي المعـروف بالحـاج طالب رشيد ، ثم جاءني الحاج حسن بردى وأبو عـلي المذكـور فقالا : وجـدنا قطعة أرض متصلة بأرض أبي شهير بقيمة أقل من تلك القيمة ، وهي مشرفة على حاريص بعكس قطعة أبي شهير فذهبت معهما ورأيتها ، ثم اتصلنا بمالكها مصباح صبرا ثم ذهبنا إليه في اليـوم الثاني واشـتريناهـا منه بـإحدى عشر ألف ليرة .

إن أمثال هذه القضايا ، إذا تأملها العاقل وجد فيها مسـاعدات إلآهيـة غير محتسبة .

وبعد هذا تسلمنا المبلغ من رضا بردى ومن أحمد العلي[1] وأضاف له ابن

---

(١) أحمد العلي ابن أبو حسين علي أحمد العلي أحد مغتربي حاريص اللامعين ، وكـان منزل والده مجاوراً لمنزل الوالد ، ثم بعد هجر تلك المنطقة كتب لنا وله أن نكون جـارين في منطقة (الرجم) ومن أجل هذا فقد تجاورنا وإياه يوم كنا في أحضان والدينا ، ثم تجاورنا مرة أخرى ، وهو نعم الجار .

ويمتاز أحمد العلي بتذوقه للأدب الفصيح وحفظه للشعر الجيد حتى أنه يكاد يستحضر شـطراً وافراً من ديـوان المتنبي ويتميز بـاطلاعـه على التـاريخ وأحـوال أدبـاء الجـاهليـة والإسلام .

وله ثلاث بنون المهندس علي ، والتاجر رباح وثالث اسمه غطفان وأنا الذي اخترت له هذا الاسم يوم وُلد

الحاج حسن بردى الثاني ألف ليرة وقد علم بعض الناس بما قاله أحمد العلي فلم يصدقوه ولما أرسل لي شيكاً بالمبلغ تعجبوا . وهذا يدلنا على أن سوء الظن يخطىء كثيراً ، نعوذ بالله منه .

* * *

قصة الحاجة مريم زوجة الحاج حسين علي بري من بلدة تبنين

عصر الإثنين ١٩ / ٩ / ١٩٨٨ الموافق ثمانية صفر سنة ١٤٠٩ هـ زارنا عصراً في منزلنا في حاريص الحاج علي نصرالله قدوح وأخوه الحاج أسعد قدوح ، فحدثنا الحاج علي بحديثٍ غريب جداً .

قال : حججنا سنة ألف وتسعماية وأربع وستين ، وكان معنا الحاج حسين علي بري وزوجته الحاجة مريم .

قال : فلما وصلنا إلى المدينة المنورة أخذونا إلى حي النخاولة ودخلنا في طريقٍ ضيق جداً ، ثم انتهينا إلى منزلٍ فيه دار مكشوف شبه غرفة بلا سقف ، ولما وصلنا وضعنا أثقالنا افتقدنا الحاجة مريم وجعلنا نفتش عليها وأخيراً أيقنا بضياعها ، ويأسنا منها ، وعزمنا على النوم والإستقرار .

وبعد ما مضى شطر من الليل أحسست بأن الباب يطرق ، وكنتُ أفتى القوم ، ففتحت الباب وكنتُ قد نظرت إلى الساعة فوجدتها الواحدة بعد منتصف الليل ، وإذا بالطارق هو الحاجة مريم ، ولاحظت وجهها غريباً قاتماً ، فانتبه القوم ، وأحاطوا بها وجعلوا يسألونها عن شأنها .

فقلت لهم : دعوها لما بها ، ثم استمر الحال .

قالت : بقيت أسير متجهة نحو الشرق عندما كنت خلفكم أو معكم واستمر بي الحال أو السير حتى خرجت من العمران ، وانتهيت إلى جبل ،

فجعلت أبكي وأحسست بالخطر ، واشتد بي الحال ، وبينما أنا كذلك وقفت سيارة ونزل منها شخص وكلمني وصحبني معه ، ووعدني بأن يوصلني إليكم .

وقال لي : قبل أن أوصلك إليهم سأريك السلطانية ـ وهي قرية قريبة من تبنين ـ فقد وصلت إليها الكهرباء ، وهي الآن مضاءة فأراني إياها ثم عاد بي إلى مدخل هذا الشارع أو الدرب وقال : إتركي الباب الأول لا يعنيك ، واطرقي الباب الثاني .

قالت : ففعلت ففتح لي الباب .

قال الحاج علي نصرالله قدوح : كانت السلطانية عند خروجنا للحج غير مضاءة وكنا ركبنا فيها معدات الكهرباء ، ولم تكن القوة واصلة إليها .

وعندما عدنا من الحج سألنا عن وقت وصول الكهرباء ، فتبين أنه في تلك الليلة .

وعندما سمعت هذه القصة اقشعر جلدي وتغير حالي ، وكان معنا صهرنا الأستاذ محمد سليمان البياضي فذكرت له ذلك فقال : وأنا قد أصابني مثل ما أصابك ثم التفت إلى الحاج علي نصرالله فوجدته حليق اللحية مع أنه يناهز الستين من العمر فقلت له : إن من يعيش مع هذا الحادث ويراه بنفسه لا يجرؤ على مخالفة الشريعة بحلق اللحية .

فقال : لن أحلقها بعد اليوم أبداً

قصة أخي عبد المجيد الفقيه

في هذه الساعة أعني الساعة العاشرة والثلث من نهار الأربعاء ١ /٦ /١٩٨٣ ـ الموافق ١٨ / شعبان على الظاهر ١٤٠٣ /هـ أخبرتني أختي الحاجة عزة الفقيه عقيلة الشيخ عبد الأمير قبلان، أنه وردها تلفون من لندن يخبرها بأن صحة أخي عبد المجيد الفقيه تحسنت كثيراً ، وأنه في طريق

الشفاء .

إن عبد المجيد مؤمن ، مسرف علناً ولكن أولاده محافظون على مـراسيم الإسلام كاملاً بضغوط منه ، مضافاً إلى إيمانهم الحقيقي كما يقال .

وقـد مـرض عبـد المجيـد أو أُصيب عبـد المجيـد بمـرض السرطـان في الحنجرة ، واهتم أقرانه من أهل بلدتنا حاريص ، وهيـأوا له أمـور العلاج في لندن . وقرروا إجراء العملية له وقالوا : إنْ النجاح بالماية عشرين ، وقالوا : أكثر ما يعيش من دون عملية أربعة أشهر .

وبعد ما استقر في المستشفى وقرروا إجراء العمية طلبوا مني الموافقة على العملية بصفتي الولي عليهم ، فحولتهم على أخي الشيخ علي بصفته أكبر سناً ، ثم هو حولهم على ولده هزاع لأنه أولى بأبيه .

وبعد أيام ، اتصلت بي أختي الحاجة عزة وقالت : إنه تلفن لها من لندن يطلب مني أن استخير له الله سبحانه على العمليـة ، وللرحم آثار نفسيـة مهما تباينت إتجاهات الأرحام ، فاستخرت له بتوجه فلم تساعد الخيرة على العملية ، فأخبرتها بذلك ، فقالت : أولاده كلهم متـدينون فقلت لهـا : إذا كان كـذلك فليصـوموا الأربعـاء والخميس والجمعة ، وليـطلبوا من الله سبحـانه الشفـاء ، وليعاهد هـو الله على التـوبة ، ثم غفلنـا عن هذا الـذي مضى عليه نحـو من شهر .

وفي هذا النهار اتصلت بي أختي الحاجة عزة هاتفياً وأخبرتني بـأن طبيبه فحصه فوجد الورم على طريق الزوال ، فاندهش الطبيب لذلك وطمأنه وقال : هـذه أول مرة يحـدث هذا الحـدث في مثل هـذا المرض ، ثم غـادر لندن إلى سيراليون وقالت : إنه يتمتع بتقدم صحي ، والله ربنا وهو حسبنا وهو على كل شيءٍ قدير .

١ /٦ /٨٣ ـ ١٨ شعبان / ١٤٠٣ هـ .

وبعد هذا أخبرني أخي عبد المجيد عندما حضر إلى لبنان أن أصـدقائـه

كانوا يودعونه في المستشفى ومنهم رجل سعودي زاره مرة وأهداه مجلة شبه خلاعية ، فلم يستحسن منه ذلك ، ولا سيما وهو في ذلك الحال ، ففتح له على مقال يحدث فيه عن قصة أيوب ، قال : فقرأتها مكرراً وانفتح عليَّ باب من أبواب الأمل ، فأحببت هذا السعودي لأنني شعرت أنه قوي الإيمان .

وقال : بت ليلتي أنا ومن معي نتلوا قوله تعالى : ﴿ **ربي إني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين** ﴾ وبالطبع إن الخشوع والدموع كانت ترافقه، وفي اليوم الثاني شعرت بالتحسن ، ثم طلبت معاودة الفحص .

***

قصة الحاج علي موسى من أهالي قلعة سكر

الحاج علي موسى كردي الأصل ، وهو من جبال الأكراد هاجر منها مع عدد كثير ، والظاهر أنهم سكنوا واسطاً في أول الأمر ، ثم تفرقوا منها إلى الحي وقلعة سكر ، ويزعمون أن مواليد واسط يعمرون ، وهذا الشخص ولد قبل مجيء ناصر الدين شاه للعراق بأربع سنوات أو ست ، أنا نسيت ـ كان عمره يوم حدثني في التسعين أو أكثر ، ولعله عاش ستة وتسعين سنة ، وكان يتمتع بكامل الجسم ، وجمال اللباس ، والعقل والإتزان .

سألته مرة وقد نظرت إلى إكتمال سعده وساقيه ، هل تشعر بأنك كبير السن ؟ .

فأجابني : النفس لا تكبر ولا تصغر ، إذا كنت جالساً أرى أنني أنا نفسي الحاج علي الذي كنت من الأشداء ، حتى أني قابلت مرة بالسلاح أربعين شخصاً من اللصوص الذين اعترضوني ، ولكن إذا قمت ومشيت كذبتني رجلاي وعيناي ، فإن بصري ليس هوالأول ، وكذلك ركبتي .

حدثني مرة قال : ذهبت مرة إلى زيارة مشهد الإمام الرضا سنة كذا وكذا

وكانت السيارات قليلة ، ولا يحسن قيادتها إلا الأرمن ، فوصلنا إلى جبل اسمه كوة طاق، أو نحو ذلك ، وهو جبل تصعد فيه السيارة ، وفيه سبعة وسبعون منعطفاً عالياً ولعل اسمه (عِوَج) ، قلت : وقد مررت به بعد تعديل الطريق فادهشنا منظره ـ قال : بينما نحن نسير زلت بنا السيارة من الطريق ، وعجزنا عن إعادتها إليه ، وكنت أسمع أن هذا الطريق للتركمان أو المكان للتركمان الذين يسلبون الزوار ، فبقينا إلى ما بعد الغروب فما راعنا إلا رجل يحمل فانوساً بيده ـ الفانوس سراج له صندوق من الزجاج يدفع عنه الهواء ـ فسألنا عن حالنا ، وقال : حركوا السيارة من هنا ثم أعاننا ، فأعدناها للطريق وسرنا ، قال : أما أنا فقد أصبت بمثل الخرس لأنني أعتقد أنه عين إلى اللصوص ، وإنه يريد أن يوصلنا إلى مكانهم أو مقرهم ، واستحضرت الموت ، ثم سرنا حيث أشار إلينا ، وبعد زمن يسير فارقنا المنطقة خالية من السكان ، وبعد ما اختفى عن أنظارنا سألت السائق عنه ، وكان يزاول هذه الطريق فقال : هذه منطقة غير مسكونة ، فقلت له: من هو هذا الرجل ؟ فقال : أنا لا أعرفه أنتم تعرفونه .

***

قصة المرحوم الحاج محمد خليل رضا وزنة العاملي

سمعت هذه القصة مرات كثيرة ، وهي أن والد الحاج عقيل وزنه من بلدة مزرعة مشرف ـ قضاء صور مرض مرضاً شديداً ، فاستدعوا خالنا الشيخ المقدس الشيخ حسين سليمان ، فحضره مع جموع من أهالي مزرعة مشرف ، ووصل إلى حال الموت ، واشتد به النزع ، فقال الشيخ للحاضرين : إذهبوا إلى بيوتكم ، وصلوا وتناولوا طعام العشاء وعودواإلى هنا ، لتكونوا مهيئين، فذهبوا وقام الشيخ لأداء الصلاة ، وكان كما أعرفه يطيل الصلاة ويأتي بالنوافل وببعض التعقيبات .

قال الشيخ : اشتغلت بالصلاة وانتهيت منها وسجدت سجدتي الشكر ، وخطر في بالي وأنا ساجد أن أدعو لهذا الرجل ومما جال في نفسي وخاطبت الله سبحانه أن هذا عبد عبدك دهراً واخلص لـك ، وأولاده كلهم غائبـون ، ولا يوجد من يؤدي حقه بعد موته ، فإن كان رزقه الذي قدرته له قد انتهى فإنك قادرٌ على أن تجعل له رزقاً وتبقيه حتى يلتقي ببنيـه . وأخذتني خشعـة وغفوت وأنا ساجدٌ ، فانتبهت على استدعائه لزوجته ، وقمت إليه ، وكانت زوجته تظن أن هـذه هي صحوة المـوت التي تكون قبـل الموت ، فسمعتـه يقول لهـا : إنه بخير ، وإن الشيخ حسين عافاني ، وحدث بعد ذلك فقال :

رأيت في الحـال التي كنت فيهـا كـأن سقف البيت انفتـح ، وجـاء منـه شخصان أحدهما بقي مكانه والآخر نزل إليَّ فقال له الأول : خذ روحه ، فقال له الثاني : أما ترى الشيخ حسين يشير بيده لا ، ثم طارا وانتبهت وأنا بخير .

قالوا : ثم عاش بعد ذلك دهراً وحضر بنوه وتوفي بعـد اجتماعـه معهم بمدة يسيرة ـ والله على كل شيء قـدير ـ وقـد زارني في شعبان مسلم بن الحـاج عقيل بن الحاج محمد المذكور ، فسألته عن هذه القصة ، فقال : نحن نـرويها عن جده لأمه علي حكيم الذي عاش مائة وعشر سنوات .

والله على كل شيء قدير .

* * *

قصة الشيخ حسن رحيم والحاج عناد

حدثني العلامة الشيخ حسين معتوق العاملي ، عن الحاج عناد الذي هو من شيوخ عفك التابعين للحاج مخيف ، وكان قد اشترى الحـاج عناد داراً في النجف قرب الصحن الشريف في جهة بـاب الطوسي ، واسكن الشيـخ حسين فيها ـ رحمة الله عليه ـ تقرباً لله سبحانه ، ثم لما توفي الحاج عناد ، صارت الدار لولده الحـاج محيي بن الحاج عنـاد فأبقى الشيـخ حسين فيهـا إلى أن خرج من النجف ، وكان الحاج عناد والحاج محيي إذا وردا للزيارة أو للمجاورة ينزلان في

البراني في تلك الدار .

قـال الحاج عنـاد : تراكمت عـليَّ الضرائب في أواخر أيـام العثمانيـين ، وكنتُ أعجـز عن دفعها ، فهـرعت إلى النجف ، ونـزلت عنـد الشيـخ حسن رحيم ، وشكوت إليه أمري طمعاً بمساعدته بوجاهته ، فبقيت أياماً ، ثم قلت له : أنا ما جئت آكل تمن أو مرق ـ يعني أرز ومرقة باللغة العراقية ـ وإنما جئت لحاجتي ، فقام وتوضأ وقـال للحاج عنـاد : قم معي ، وأخذه بيـده إلى الحرم الشريف فاستأذن ودخل وهو آخذ بيده ، وخـاطب أمير المؤمنـين علي (ع) ، بقوله : يا أمير المؤمنين هذا عناد بيته بيتي وإذا خرب بيته خرب بيتي ، ثم قال له : إرجع إلى عفك ، فاستغرب الحاج عناد وطلب منه تذكرة ـ التذكرة يعني رسالة للحكام ـ فقال له الشيخ : إذهب أنا أقول ليس عليك شيء .

قال الحاج عناد : رجعت وأنا خائف من أن يقبضوا عـليَّ ، ولما وصلت إلى عفك أخذت طـريقاً آمنـاً فما راعني إلا مـروري بالجابي المسؤول هناك ، فناداني : إلى أين؟ فأصبحت تحت الأمر الواقع فانتبـه فقال لي : أين كنت ؟ فقلت : هارباً منك ، فقال لي : لماذا ؟ فشكوت له حالي فأمر لي بـالشاي ثم قـال : هل يمكنـك دفع النصف ؟ فقلت : لا وبقي يسـاومني حتى إنتهى إلى المبلغ المقدور . وهكذا كان فإنه استقبلني بحفاوة ثم أكرمني بالشاي .

***

قصة الشيخ فلان من بيت رحيم

في سنـة ألف وثلاثـمائة وسبعـين أو إحدى وسبعـين ، زارنا الشيـخ علي كـاشف الغطاء بن المـرحوم الشيـخ محمد رضـا كاشف الغـطاء[1] في منزلنـا في

(١) آل كاشف الغطاء بيت من بيوت العلم والمجد في النجف ، والشيخ علي هو ابن المرحوم الشيخ محمد رضا ابن الشيخ هادي بن الشيخ عباس ، وكلهم من العلماء البارزين، وأما والشيخ علي حفظه الله في سن واحدة وهو لا يزال حياً إلى هذا التاريخ أعني صفر سنة

النجف في دار بيت رحيم التي أقمت فيها بالأجرة ، نحو عشرين سنة ، وبمناسبة ما حدثنا بالحديث الآتي ورواه عن الشيخ محمد صالح الجزائري بن الشيخ هادي الجزائري النجفي ، وهو من طبقة آبائنا[2] قال الشيخ محمد صالح : حدثنا الشيخ فلان من بيت رحيم ـ أنا نسيت اسمه ـ أنه قال : كنت خارج النجف وطرقتها ليلاً ، بعد إقفال أبواب السور[3] واستفتحت طمعاً بأن يفتح لي الباب ، لأن الحراس يعرفونني فامتنعوا ، واخيراً رجعت إلى وادي السلام وبقيت ليلتي قرب بعض القبور ، روحشة الليل معروفة ، ووادي السلام مقبرة تشبه مدينة واسعة فيها قبور عليها بيوت وقباب وغير ذلك .

قال : فرأيت الناس مجتمعين حلقاً حلقاً ، وجعلت أطوف بين تلك الحلقات إلى أن مررت بحلقة فيها شخص أعرفه وكان لي معه علاقة، وكان قد توفي منذ ستة أشهر تقريباً ، فسلمت عليه ، وسألته عن حاله فأجاب : وقال

١٤٠٩ هـ ، ووالده وقد توفي رحمة الله عليه توفي في لبنان في المستشفى وقام الشيخ الوالد أعلى الله مقامه بشؤون تشييعه وحملت الجنازة إلى النجف وكان للوالد علاقة بالشيخ هادي أو صلة وكنت منذ دخلت النجف سنة ١٣٤٥ هـ على صلة بالشيخ علي وكان جده ووالده يهتمان في أمره وأمري وفي أحكام الصلة بيننا ، فكنا زميلين في الدرس والبحث والمعشر بل والمآكل في كثير من الأوقات إلى أن انتهينا من الكفاية تقريباً ، واستقل كل منا في بيت وبقيت الأخوة محفوظة ولم تزل .

(٢) آل الجزائري بيت من بيوت النجف المعروفة ، وكانوا في زمان الشيخ كاشف الغطاء من العلماء المشاهير وفي زماننا من العلماء المعروفين في التدخل في سياسة العراق وإذ وفقنا الله وأبقانا قد نتحدث بحديث عن الحجة الشيخ عبد الكريم الجزائري الذي عاصرناه واتصلنا به ، وهذا الحديث أو الأحاديث لا يعرفها غيرنا ، وربما تعرضنا لذلك في ترجمته من هذا الكتاب والشيخ محمد صالح كان ديوانه عامراً بأقرانه ، وبأضيافه من الأعراب وكانت قهوته مضرب للمثل ، وقال لي الحاج جعفر الدجيلي حفظه الله أنه كان يستأجر سفينة لحمل السمن من خارج النجف إليها لأنه كان يحتاجه لأضيافه . هذا بالنسبة للسمن فما ظنك بالنسبة للأرز (التمن بالعراقي) .

(٣) كان السور ولا يزال موجوداً يوم ورودنا للنجف في سنة ١٣٤٥ هـ وبقي مدة ثم هدمته الدولة وفتحت الشوارع . .

فيـما قالـه لي أنه لا يـزال يُحاسب بسبب امـرأة مجـاورة لهم ، أراد شخص أن يخطبها ، فنفرته منها ، ثم قال لي : بلغ أولادي ذلك ، وقل لهم لعل أحدهم يتزوجها ، أو يسعى في زواجها لعلي أستريح .

وقـل لهم : كنت قد دفنت مبلغ كـذا وكـذا شـامي (اسم عملة ذلـك الوقت) في أصل الإسطوانة الفلانية في السرداب ، فليستخـرجوه ولينفقـوه في سبيل زواج هذه المرأة .

وبعد هذا انتبهت لنفسي فوجدتني بين القبور ولم أرَ شيئـاً ، ولما أصبـح الصبـاح دخلت النجف ، وكـان كـل همي إبـلاغ أبنـاء المتـوفي بمـا جـرى ، فاستدعيتهم أو ذهبت إليهم ، وذكـرت لهم قصة المـرأة ، فغضبوا ، وقـابلوني بالجفاء ، فهدأتهم وقلت لهم الحديث لم ينتهِ وله تتمة وقال والـدكم إنه يـوجد مبلغ كـذا وكذا شـامي مدفـون في أصل الإسـطوانة الفـلانيـة في السرداب ، فاستخرجوه وانفقوه في هذا السبيل ، وعليكم الآن أن تكشفوا حول الإسطوانة فإن وجد المال كان ذلك حقاً ، وإلا كان أضغاث أحلام .

قال : فذهبوا واحتفروا ووجدوا المال وفعلوا ما أمرهم به والدهـم .

قصة العلامة المقدس السيد
جواد مرتضى العاملي

كان المرحوم السيد جواد مرتضى من أتقى أهـل زمانـه في بلادنـا ، وقد سمعت خلقاً كثيراً يشهد له بذلك منهم الشيخ الوالد .

وعندما توفي كان لي من العمر نحو عشر سنـوات ، فذهب أهـل بلدتنا حاريص إلى عيتا في مـوكب شعبي مشاة عـلى الأقدام وكنتُ فيـما بينهم ، فلما وصلوا إلى عيتـا انفصلت عنهم وانضممت إلى والدي وكـان العلماء في مكـان واحد ، وكان المكان ممتلئاً بالناس ولا أنسى أنه كان إلى قربه العـلامة الشيـخ

حسين نور الدين وهو شيخ مسن نحيف وكانت عمته أكبر حجماً من عمائم سائر العلماء الموجودين . ولعل هذا هو الذي السبب الذي جعلني أحفظ اسمه

(١) بيت رحيم بيت علم وتقوى وصلاح ، وكان برانيهم يضرب فيه المثل لجمال بنائه ، وفي الوقت الذي سكنت فيه هذه الدار الداخلاني والبراني لم يبق منهم أحد في النجف ، وكانت دارهم داراً مباركة . وكانت دائماً مجمعاً لإخواني العاملين ولا سيما في أكثر مناسبات الأفراح والأتراح .

وقال لي الشيخ مهدي رحيم بن الشيخ محسن رحيم : إنهم ينتسبون إلى خفاجة ، فقلت له : رأيت بين كتبكم نسباً مطولاً من حيث البيان عليه شهود كثيرون يشهدون بأنكم هنود ، فقال : هذا نسب مصطنع لأجل التخلص من نظام الجندية البغيض في العهد العثماني ، قلت : يشهد لذلك كثرة الشهود من الأعيان والوجهاء وكان من البارزين فيهم الشيخ حسن رحيم أخو الشيخ محسن ، وللشيخ حسن ولد واحد وهو الدكتور أحمد حسن رحيم فإنه دكتور في علم النفس والاجتماع حسبما اخطر ، وهو أخو الشيخ مهدي لأمه ، والحاج وأمهما من عفك من بيت الواوي وكنت أنزل ضيفاً على أخيها الحاج محسن الواوي والشيخ حسن رحيم كان من الأذكياء ومن الشعراء باللغة الدارجة وكان من أهل السلوك الواصلين ، ولده قصص تدل على ذلك منها قصة الحاج عناد ـ المتقدمة ـ وغيرها ويدل على مكانتهم المتميزة برانيهم ومكتبهم المشتملة على أنواع المخطوطات التي كانت مدة وجودي في ذلك البيت في بيتٍ من بيوت الدار ، وقد أكلت الأرضة منها ومن الأمتعة ما أكلت وكذلك كانت تفعل بكتبي وأمتعتي ، ومن أعظم ما كان في مكتبتهم من الكتب ثلاثة كتب .

الأول : شرائع خطية . وكلها بخط ابن المتوج وعليها تعليقات المحقق الكركي وهي أيضاً بخط ابن المتوج ، وعليها شهادة من المحقق الكركي بخطه لابن المتوج وخطوط أخرى لا اعرفها أو لا استحضرأربابها ، وهي وقف على مكتبة بيت رحيم .

الثاني : شرح اللمعتين للملّى كتاب أو لأحد هذه الأسرة النجفية وهو مخطوط غير مطبوع وهو وقف كسابقه .

الثالث : من لا يحضره الفقيه الذي ذهب أوله ، وهو مخطوط ومصحح على نسخة الشهيد الثاني وهذه الكتب موجودة فعلاً في مكتبة آية الله الحكيم ، لأنني سلمتها لابن أخي العلامة الشيخ مفيد ، بإذن الشيخ مهدي رحيم وأظن أنه سلمها لمكتبة الحكيم حفظاً لها من الضياع ولإنتهاء أثرها للحاكم الشرعي .

دون من عاداه ، وكان شخص يقرأ مرثية للسيد أمين علي أحمد مطلعها :

ثلم الدهر لعبد المطلب هضبة العز وأركان الشريف

ولعلي حفظته لكثرة استعارته .

ثم عندما أرادوا حمل الجنازة إلى القبر هجم السواد على المكان الي فيه الجنازة فوقف إبراهيم فياض ، وهو يومئذٍ يدير ناحية وجعل يضربهم بعصاه ويقول : العلماء هم الذين يحملون الجنازة ، وبعد هذا ضعت بين السواد ولا أتذكر إلا أنني كنت جالساً قريب بعض العلماء ، وأصغي إلى حديثهم ولا أتذكر أنني أعرف منهم أحداً حتى أني لا أذكر السبب الذي دعاني للجلوس معهم . وقد سمعتهم يتحدثون قرب القبر بما يلي وقد حفظته برمته .

قال المتحدث : كان المرحوم السيد بصحة حسنة ورشد كامل ، وكان عنده ولده السيد عبد المطلب والشيخ علي شرارة ، ولعله له معهم نسابة وكلاهما من أهل الفضل والسن ، فبينما هو جالس وهما معه إذ يسمعاه يقول : أهلاً وسهلاً وعليكم السلام ، فتعجبا فقالا له : من الذي جاء ؟ فقال : فلان وذكر أحد العلماء الأموات ثم قال : ضعوا له جلد شاة ووسادة ، قالوا : ففعلنا ، وجعل يقول : الحمدلله ويضع سبابته على فمه وأواسط شاربيه ، ثم جاء آخر وفعل مثل ذلك حتى امتلأ الديوان وهم لا يرون أحداً ولكن يأمرهم بالإستقبال لمن جاء وبالوسادة .

ثم أسر أحدهما للآخر ، إن السيد غير طبيعي ، واتفقا على توجيهه للقبلة ، فوجهاه ثم أسلم نفسه .

وعلق أحد العلماء على هذا الحديث قائلاً : إن المؤمن إذا مات استقبله إخوانه المؤمنين ، فيريدن سؤاله فيقول أحدهم دعوه لما به فإنه مرهق ، ثم يسألونه عن أهل الدنيا عن فلان مثلاً ، فإن كان حياً يقول تركته بخير ، وإذا قال إنه مات صاحوا هوى هوى . . هوى ، يعني لم يصل إليهم ، ولعله ذكر أن هذا موجود في تفسير قوله تعالى : ﴿ والنجم إذا هوى ﴾ وقد فتشت بعد ما

أدركت وأصبحت قادراً على التفتيش لأجد هذا الحديث في تفسير الآية فلم أجده وأخبرني بعض أهل الإطلاع أنه موجود في أربعين للشيخ البهائي أو غيره من الأربعينات والله أعلم .

وبعد سنوات التقيت بالشيخ علي شرارة في كربلاء في الصحن الشريف ، وكان ولده محمد شرارة لا يزال في النجف ، ولا يزال متعمماً فسألته عن هذا الحديث فأكده .

* * *

قصة الحاج عمران الحاج موسى المعمار

عمران الحاج موسى ، كان له حانوت في النجف في منطقة العمارة ، والحانوت بلغتنا « سمانة » . وفي العراق « بقالة » . فكنا نشتري منه الأرز والسمن ، واللبن والجبن ، والبيض والحمص والفحم ، وكل ما نحتاجه وكنا نشتري ذلك تارة بالنقد وأخرى بالدين .

وفي سنة ١٣٩٠ هـ ، وكنتُ لا أزال أُقيم في مدرسة الخليل وكان حانوته بعد منتهى عقد السلام « شارع السلام » وكان صهرنا الشيخ رضا فرحات ملاصقاً لحانوته ، وبهذه المناسبة تعرفنا عليه . وكان البيت الذي تسكنه شقيقتي جواهر الفقيه عيال الشيخ رضا فرحات المعروفة بأم محمد هو للشيخ طاهر القريشي .

ثم انتقل الشيخ إلى منطقة المشراق ، وأقام في دار المرحوم الشيخ عبد اللطيف الجزائري ، بنحو العاربة ، وهي أوسع الدور التي أعرفها في النجف وقد اشتراها بعد وفاته السيد محمد رضا الحكيم وجعلها أكثر من دار .

وكانت الضائقة الإقتصادية في تلك السنة وما قبلها وما بعدها على أشدها ، فكانت قيمة الشيء بفلس أو بفلوس ، ولكن الفلس غير موجود فكان ثمن كيلو اللحم الغنم يتراوح بين نصف قران وبين قران واحد والقران ربع الروبية الهندية ، والروبية تعادل ٦٤ فلساً ، وكان كيلو البندورة بفلس ، أو

كيلوين بثلاث فلوس ، وكان كيلو الخبز بأربع فلوس أو خمسة ، والبيضة الواحدة بفلس وهكذا . وكانت قيمة الليرة العثمانية تتراوح بين عشر روبيات وإثنتي عشرة روبية .

كنا جلوساً أنا وأخي الشيخ علي والشيخ رضا فرحات ، وكانت شقيقتي في لبنان ، وكنا نفكر في إرسال شخص يحضرها من لبنان ، وقد كلف الشيخ رضا شخصاً يُدعى الشيخ ياسين علي الشمس ، وهو شخص يلبس العمة ويقوم بخدمات بعض أهل اليسار ، ويتعيش منها . وهو مضافاً إلى ذلك يجيد بعض القصص المضحكة ، ولعل أهم عمل له صحبة الحجاج إلى بيت الله الحرام من العرب أو العجم بالأجرة . وله قصة كما يدعي أضحك بها الملك حسين ملك الحجاز في وقته ، كان يحكيها لنا ويمثلها .

وبينما نحن كذلك ، دخل علينا عمران الحاج موسى ، وكنا ننتظر موزع البريد طمعاً بأن تأتينا رسالة من ذوينا . فيها شيء من المال ، وعمران كان له علينا ديون ولعله جاء يطالبنا ، وبعد التحدث استقرضنا منه بعض النقود وأشار علينا ـ بأن نوجد التاجر الذي نأخذ منه حاجاتنا ثم اتفقت أنا معه على أن يعطيني مما عنده بالدين ثم يكمل لي تتمة روبية نقوداً مما ليس عنده كاللحم .

ثم حدثني بما يلي : قال : إن والده الحاج موسى وأخوته مقيمون في عبادان ، وقال إن والده فتح له حانوتاً في النجف ، ولعله نفس الحانوت الذي يقيم فيه ، وقال : إنه في يوم من الأيام أحس بأنه مكسور ، وأن ما في حانوته لا يفي بما عليه من الديون ، ومن أجل ذلك ، قرر الهرب إلى عبادان ليشكو امره إلى والده لعله يعينه على مصيبته ، وكان مرض الملاريا في تلك السنة منتشراً ، فركب في السيارة التي تنقل الركاب إلى المكان الذي يقصده فأصابته الحمى والبر ، قال : وقد خفت إذا بقيت في السيارة إن يحس الناس بأني هاربٌ وأن يفهم الغرماء بذلك ، وكنت متجملاً بلباسي وكل أموري .

فاضطررت إلى النزول والمكث في الخان عند فلان الذي يتاجر بالنتن أي « السمن » بالجملة ، فجعل صاحب الخان يرغبني في شراء الدهن ويقول إن

سعر الدهن متدني ، وأنه لا بد وأن يرتفع .

فاعتذرت منه بأنني مسافر وأنه ليس عندي نقود فعلا ، وجعل هذا التاجر يصر عليَّ بالشراء ، ولما اشتدت الحمى ، قررت الرجوع إلى البيت ، وهو يقول : راح أرسل لك ماية تنكة ، وأنا أقول : لا .

دخلت منزلي ولازمت الفراش ، ولما انتبهت صباحاً وفارقتني الحمى ، خرجت إلى صحن الدار فوجدت في صحن الدار ماية تنكة من السمن . فعظم عليَّ ذلك وفكرت في إرجاعها وخسارة أجور الحمالين ، وجعلت أتطلب عذراً في إرجاعها فقررت فتحها طمعاً بأن أجد فيها عيباً فأردها . ففتحت واحدة منها كنت أظنها معيبة فوجدتها من أفضل الدهن وهكذا فعلت حتى فتحت نحو تسع تنكات منها .

وحينئذٍ بقيت في همٍ شديد لأنه لا يمكنني السفر بواسطة هذا البلاء الذي دخل عليَّ .

وبقيت أبيع منها بالمفرق ، يعني بفتح التنكة التي تتسع لنحو ١٥ كيلو وبيعها بالكيلو ونصف الكيلو وربع الكيلو ونصف الربع .

وبعد نحو شهر جاءني فلان ولعل أسمه السيد أحمد ، وحانوته قريب مني ، وقال : عندكَ دهن ؟ قلت : بلى ، قال : بكم ؟ قلت : كذا وأعطيته السعر القديم ، قال : احتاج نصف تنكة فأعطيته ، ثم عاد وكرر عليَّ السؤال فأجبته كالأول وقال : إذا أمكن أريد تنكة وكان ذاهباً في حاجة ثم عاد واستفسر مني عن السعر وقال : إذا أمكن أُريد تنكتين ، فقلت : وما تصنع بها وكانت عادته شراء بعض التنك ، فقال : عندنا عرس أوكلفني شخص عنده عرس التردد مني . قال عمران : والتاجر يكون ذكياً ، فأحسست بتحرك السعر ، فقلت : أنا أُداعبك ليس عندي دهن ، ثم في عصر ذلك النهار لبست لباس التجمل وذهبت إلى الخان فبادرني صاحب الخان : ماذا صنعت بالدهن ؟ فقلت له : لا يزال موجوداً ، فقال : إياك أن تبيع ، الأسواق أصبحت خالية من الدهن .

عبرة في القصة

قال عمران : فبعت السمن بضعفي ثمنه ووفيت ديني وصاحب الخان وتحسنت حالي .

فصل الترفيه والراحة

حكم المزاح

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمدٌ وآله الطاهرين .

المزاح بعنوانه الأولي :

المزاح بعنوانه الأولي مباح شرعاً ، وأما بعنوانه الثانوي فإنه قد يكون محكوماً بالأحكام التكليفية الخمسة ، كغيره من سائر المباحات .

مثلاً : شرب الماء مباح بعنوانه الأولي ، وراجح في حال العطش ، وواجب إذا توقفت الحياة على شربه ، ومحرم إذا كان شربه مسبباً للموت .

والمزاح كذلك فإنه مباح بطبعه ، ومستحب إذا أوجب راحة المؤمن ، وواجب إذا توقفت الحياة عليه .

ومحرم إذا كان سبباً للسخرية بالأنبياء والأوصياء والعلماء بل وسائر المؤمنين بل وغيرهم بمقتضى إطلاق قوله تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم ﴾** س ـ ٤٩ ـ ١١ .

هذا ومن غريب الأمور ، أن الأنبياء وأوصياءهم تميزوا عن عظماء البشر بصفات كريمة لا يشاركهم فيها غيرهم ، من أصناف العظماء .

ومن أظهر تلك الصفات التي لم يشاركهم فيها غيرهم : « العصمة عن المزاح والدعابة ، وترك اللعب واللهو تركاً باتاً » .

ومن الغريب، أن جماهير الناس ، لا يتنبهون لذلك ، مع أن هذه الصفات من أبرز صفاتهم التي تتجلى في مجموع حياتهم بجلاء ووضوح .

وهي حجر الزاوية في تأسيس دعوتهم إلى الخير والصلاح ، والسعادة في الدنيا والآخرة .

ومن الغريب أيضاً ، أنه لم يجرؤ أحد غيرهم على نسبة العصمة لنفسه ، كما أنه لم يجرؤ أحد على نسبتها لغيرهم .

ومن تتبع أخبارهم وأحاط بجميع شؤونهم وأحوالهم ، اعتقد بما قلناه ، وقد زاولت تلك الكتب كثيراً ولم أجد قصة واحدة محكية عنهم في هذا المضمار .

ومن تصفح تلك الكتب ، وجد الجدية والواقعية ، لا تبارح أنديتهم ولا مسيرتهم طرفة عين .

هذا مع أن أكثر عظماء العالم ، يفقدون هذه الصفات ، فإنهم يمازحون ويهزلون ويستمعون الغناء ، ويمارسون آلات اللهو على إختلافها ، والكتب المشتملة على أخبار من سلف منهم ، مملوءة بذلك ، حتى أن المسعودي في كتابه الشهير « مروج الذهب » ، إذا ذكر الخلفاء العباسيين يقول : وكان مضحكه فلان ، ويذكر شيئاً من ملحه ونوادره معه .

وإنما ميز الله سبحانه أنبياءه وأوصياءهم بابتعادهم عن هذه الأمور ، ليكونوا قدوة لغيرهم في سائر الأمور ، لأن تميزهم في هذا النوع من السلوك ، يكون دليلاً لجماهير السواد على كمالهم ، ثم يكون حافزاً على الأخذ بآرائهم ، والعمل بإرشاداتهم .

وقد أخبرنا الله سبحانه في كتابه المجيد بما جرى لكليمه موسى (ع) مع قومه يقول تعالى : ﴿ **وإذ قال موسى لقومه ، إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ، قالوا : أتتخذنا هزواً ، قال : أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين** ﴾ [س ٢ - ٦٧] .

فإن إستعاذته بالله تعالى من ذلك ووصف من يفعله بالجاهل ، هو أوضح

دليل على ما مجموع ما قلته .

وأما ما رواه القصاصون من المسلمين عن نبينا محمد (ص) من صدور المزاح عنه أو معه ، فهو لا يتجاوز أربعة قصص ، سنذكرها فيما يأتي ، وأنا أشك في ذلك كل الشك ، فإن إنساناً عاش بين قومه وصحبه ثلاث وستين عاماً على أقل تقدير ، لو كان المزاح شأناً من بعض شؤونه ، لما اقتصر الأمر على أربعة قصص .

والذي أظنه بل اعتقده هو أنها من وضع الوضاعين ، وأنهم إنما افتعلوها تقرباً للخلفاء المزيفين وأتباعهم ، كما وضعوا غيرها ليبرروا ما هم عليه من الدعة والسعة واللهو واللعب ، والهزل .

وقد قرأت كتاب مروج الذهب في شبابي ، ورأيته عندما يستعرض أحوال الخلفاء والأمراء ، يتعرض لأسماء ندمائهم ومضحكيهم . ويستطرد بعض مزاحهم ، وأما ما نسبوه للنبي (ص) فهو ما يلي :

قالوا : كان النبي (ص) يأكل مع ابن عمه علي (ع) ، ويضع نواة ما يأكله من التمر أمام علي ، ولما انتهيا قال النبي (ص) : يا علي إنك لأكول ، فأجابه بقوله : يا رسول الله ، الأكول من يأكل التمر ونواه .

وكل منهما كان صادقاً فيما قاله ، لأن الأكول لغة تستعمل بمعنى الآكل كما تُستعمل بمعنى كثير الأكل .

ومنها أيضاً : أن إمرأة اختلفت وزوجها فشكته إلى النبي (ص) . فقال لها ، شبه المستفهم : زوجكِ الذي في عينيه بياض ، فلما سمعت ذلك ذهلت عن مشكلتها ، وظنت أنه أُصيب بالعمى ، فعادت مسرعة إلى زوجها وجعلت تتأمل بعينيه ملياً ، فقال لها : ما لك يا أمة الله فاعلمته بما كان ، فضحك زوجها وقال لها : وهل يوجد أحد ليس في عينيه بياض .

وكانت نتيجة ذلك نسيان مشكلتيهما ، وانصراف العارض .

ومنها : أن عجوزاً طلبت منه بعيراً يحملها ، فقال : أعطوها ابن الناقة ،

فظنته يريد فصيلاً ، فقالت : يا رسول الله وكيف يستطيع حملي ؟ فقيل لها : وهل البعير إلا ابن الناقة .

ومنها : أن إعرابياً أتاه بهدية ثم وقف ينتظر فسئل عن شأنه فقال : أعطونا ثمن هديتنا ، فتبسم رسول الله (ص) وأمر له بصلة . وكان إذا أغمه أمر قال : ليت الأعرابي يأتينا ، والذي قد يفهمه الناس إنه ، إنما تمنى مجيء الأعرابي لمضحكه ويزيل غمه ، والذي احتمله على تقدير صحة الخبر ، أن سبب غمه حاجة أهله لمثل هدية الأعرابي ، فإذا جاء بمثلها يكون قد قضى حاجة العيال .

ومنها إنه بينما كان يحدث بكيفية الولادة ، وأن الله سبحانه يرسل للوالدة ملكاً يسهل أمرها ويوسع الطريق على المولود . ثم يرسل ملكاً آخر فيعيده كما كان ، فقال بعض السامعين من الظرفاء وكانت زوجته قريبة عهد بالولادة : يا رسول الله ، إن الملك الثاني نسي أن يمر بأهله ، فتبسم رسول الله وبشره بالجنة . والرواة يفهمون أنه بشره لأنه أضحكه ونتيجة هذا رغبته في ذلك .

ويحتمل آخرون أنه بشره بالجنة عوضاً عن مصيبته ، لا لأنه أضحكه .

* * *

قصة أم قاسم وأبو قاسم

تزوج رجل صالح امرأة شريرة ، ولد له منها ولد سموه قاسماً ، وكانت أم قاسم تحاسبه على كل حركة يتحركها وتقيم عليه النكير ، وكان أبو قاسم رجلاً عاقلاً ، يداعبها ويضاحكها ، ولكن أم قاسم لا ترضى منه ولا عنه ، ولا تعرف الإبتسام طول حياتها .

وأخيراً إرتأى أبو قاسم أن يصحبها إلى بيت الله الحرام ، وأن يدعو الله سبحانه بأن يصلحها لعله يستمتع بها بقية حياته ، فأقنعها بالحج ، وعزما وأعدا العدة وركبا راحلتيهما وتوجها .

ولكن أم قاسم كانت ساخطة عليه أشد ما مما مضى ، لأنه كان سبباً في

تعريضها إلى مشقة السفر والعطش والجوع والحرمان من الراحة وكان يعدها بالأجر والثواب .

ولكن أم قاسم قوية الإرادة ، ولا تتبدل ولا تتغير ، ولا تسمع الكلام ، ولا ينفعها الوعد ولا تخشى الوعيد .

وفي أثناء الطريق اشتد بها العطش ، وانتهيا إلى بئر ماء فقال لها أبو قاسم : أربطيني بالحبل وامسكيه جيداً ، وأنا أنزل وأشرب وأحمل لك بعض الماء ، فشتمته ولطمته وقال له : إنك تريد أن تشرب قبلي ، وتخدعني ولا تحمل لي شيئاً من الماء ، لأنه ليس لك قدرة على ذلك .

ولكن أنا أنزل رأصحب لك الماء ونشرب معاً .

فربطها بالحبل ودلاها في البئر ، وعزم أن يتخلص منها ومن شرها ، فلما نزلت أفلت الحبل من يده عمداً وفر هارباً ، وذهب للحج وتاب إلى الله مما فعله .

ولما اجتاز بالبئر في أثناء عودته من الحج وقف عليه وأرسل حبلاً إلى البئر فتعلق به شخص هرم أشعث أغبر محطم القوى ، ولما استخرجه ، سأله عن شأنه فقال : إنه من الجن وإنه عاش في البئر ألفي سنة في خير وعافية ونعمة وصحة وقوة ، وقبل شهر تقريباً جاورته امرأة تدعى أم قاسم فعكرت صفوته ، ونكدت عيشته ، وإنه نذر نذراً لله تعالى إذا خلصه أحد منها أن يجازيه جزاء حسناً .

فقال له الحاج أبو قاسم : ها أنا ذا خلصتك منها فما جزائي ؟ فقال له : سأزوجك بنت الملك وسأعلمك على حيلة تحصل بها على زواجها وعلى ما تريد .

فقال الحاج أبو قاسم : وكيف ذلك ؟ .

قال الجن : أنا سأذهب وأتلبس بنت الملك وسيضطر الملك للأطباء وأصحاب الرقي والعوذات وأنا أقسمت أن لا أستجيب لشيء ، ولا أخرج منها

إلا بواسطة من خلصني من أم قاسم ثم ذهب وتلبس بها ، وشاع الخبر ، وكان الحاج أبو قاسم ينتظر الساعة المباركة ، وحمل كتباً وأدوية وجعل يطوف المدينة ويدعي أنه يداوي الأمراض الصعبة ، ويخلص من تلبس به الجن وغير ذلك ، فسمع الناس خبره ، [illegible] خبره للملك فاستدعاه ، ولما جاء وفحصها قال : أيها الملك إن دواءها موقوف على أمرين :

أحدهما عظيم ولا أظن ترضى به وهو زواجي منها .

والثاني : أن يهيأ لي ولها قصراً ونفقة تليق بحالنا .

فغضب الملك واعتذر الحاج أبو قاسم بأنه يتمنى أن يخدم الملك بدون هذه الشروط ولكنه ليس ممكناً .

واستشار الملك السحرة والكهنة ففعلوا ما يعرفونه من السحر والشعوذة ومانفع ،وقرروا أن يكشف عليها أبو قاسم ويأذن له الملك بذلك .

وعندما أجرى عقدها عليه وهيأ له ما أراد وكان أبو قاسم وسيماً جميل الصورة مضافاً إلى العقل والصلاح .

فدخل عليها أبو قاسم وناداه أخرج أيها الجني منها ، فقد وعد الملك بالشروط ونفذها وأنت قد أعطيت الله عهداً على ذلك ، فخرج منها ، وبرئت من ساعتها وجرت مراسيم الأفراح .

ولكن بعد مدة تلبس الجن ببنت الوزير ، وكان ذلك الجن قد اشترط على أبو قاسم أن لا يكلفه بتكليف آخر بعد هذا التكليف طول حياته ، وإذا كلفه تلبس ببنت الملك ثانياً .

فاستأذن الوزير وأحضر أبو قاسم وطلب منه أن يحضر المعدات التي شفا فيها بنت الملك ، فاعتذر أبو قاسم وادعى النسيان ، ولكن الملك توعده ووعده وأمره بفعل ما يستطيعه ، ولكن الحاج أبو قاسم كان خائفاً من الجن لأنه أعطاه عهداً أن لا يكلفه مرة أخرى ، وعظم عليه الأمر وجعل يفكر في الخروج من هذا المأزق الحرج .

ومع ذلك دخل على بنت الوزير مرتجفاً مضطرباً ، ولكنه كان قد اهتدى للمخرج ، وقال : إسمع أيها الجن ليس لي عندك حاجة ، وأنا على وعدي وعهدي ، وإنما جئت أخبرك بأن أم قاسم دخلت إلى المدينة منذ أيام ، وإنها جادة في البحث عني وعنك ، وإنما أخبرتك لتأخذ حذرك منها ، وأما أنا فقد عزمت على الرحيل عن هذه المدينة .

ولما سمعه الجن خرج هارباً وقال له : سوف أسكن وراء البحار وإنني اشترط عليك شرط أن لا تخبر أم قاسم بمكاني ، لأني أخاف أن تلحق بي ، وإذ خالفت الشرط تلبست بك في هذه المرة .

* * *

قصة ابن آوى والضبع

كان ابن آوى يدخل أحد البساتين وينال منه ما أراد خفية ، وكان حذراً غاية الحذر ، وقد عجز عنه صاحب البستان .

وذات يوم أحضر فخذ شاة ، وعلقه قرب شجرة ودفن تحتها فخاً محكماً ، فدخل ابن آوى البستان ، ولكنه كان ذكياً وحذراً فقال في نفسه ، بعد أن رأى قطعة اللحم واشتهاها ، لو كان في قطعة هذه اللحم خير لأدخرها صاحب البستان في مكان بارد بعيد عن متناولنا ، ولكني أظن أنه دس فيها شيئاً سماً قاتلاً ، أو أنه صنع حيلة للقبض عليَّ ، فجلس قريباً منها ينظر إليها بحسرة ، ولا يجرؤ على ملامستها فضلاً عن الأكل منها ، وبينما هو كذلك أقبل الضبع ورآه على تلك الحال .

فلامه على تركه للفخذ ، وقال له : لماذا لم تتناوله ؟ ولماذا جلست تنظر إليها ؟ أما إنك لو أكلت منها شيئاً قبل مجيئي لسمحت لك به .

فقال ابن آوى : أيها الضبع الكريم أنا اليوم صائم ، وكنت أنتظر وقت الإفطار ، فلعلك إذا أكلت منها تتصدق عليَّ ببعضها عند الإفطار .

فنظر إليه وقال : أنت الذي أهملت حقك ، ثم وثب على الفخذ وما أن لامست قدماه الأرض حتى انطبق الفخ على قوائمه الأربع وتسمر في مكانه وأخذه الألم فجعل يصيح ثم يضرط ثم يصيح ويضرط فتقدم ابن آوى وجعل يأكل من الفخذ ويتجشأ بعد أن أسن من شر الضبع وشر الفخ .

فقال الضبع وهو يجود بنفسه بصوتٍ رخيم : يا مخادع الآن كنت تقول إنك صائم ! .

فقال ابن آوى : لما سمعت مدافع الإفطار تتوالى . أفطرت .

فقال له الضبع : هذا ضراط الضبع في حال الخوف وليس هو مدافع الإفطار .

فقال له ابن آوى : الضراط أيها الأمير ليس إلا الضراط الحقيقي إذ حضر صاحب البستان . وأنزل فيك العقوبات العظيمة .

وبينما هما في الجدال دخل صاحب البستان وأعوانه ، وإنهالوا عليهما بالضرب واللكم .

* * *

كلفنا الحاج زكي غريب من بلدة شقراء وهو معلم في مدرستها عاقل يجمع بعض المضحكات فقدم لنا كراساً كبيراً من جمعه اخترنا بعضه

قصة الأعمش وزوجته

وقع بين الأعمش وزوجته وحشة ، فسأل بعض أصحابه الفقهاء أن يرضيها ويصلح ما بينهما ، فدخل إليها وقال : إن أبا محمد شيخ كبير ، فلا يغرنك أو يزهدنك فيه عمش عينيه ودقة ساقيه ، وضعف ركبتيه وجمود كفيه .

فقال له الأعمش : قبحك الله ، فقد أريتها من عيوبي ما لم تكن تعرفه .

* * *

صقاعة صيادي الأسماك

المعروف عن صيادي الأسماك أنهم قليلوا الكلام ، ويُحكى أن إثنين منهم

ذهبا معاً ذات يوم في قارب إلى عرض البحر ، ورميا صنارتيهما ، وبقيا سكوتاً أربع ساعات دون كلمة واحدة . . . ولكن أحدهما تحرك قليلاً ووضع قدمه في الماء ، فالتفت إليه رفيقه مغضباً وقال : أنت جئت إلى هنا لتصطاد السمك لا لترقص ، فإذا تحركت بعد هذه الحركة حركة واحدة فلا أصحبك بعدها أبداً ! ! .

* * *

الحسود والبخيل

وقف حسود وبخيل أمام أحد الملوك ، فقال لهما الملك : إقترحا عليّ فإني سأعطي الثاني ضعف ما يطلبه الأول ، فصار أحدهما يقول للآخر اقترح أنت أولاً فتشاجرا طويلاً ولم يقترح أحد منهما لئلا يصيب رفيقه ضعف ما يصيبه هو .

قال الملك : إن لم تفعلا قطعت رأسيكما ، فقال الحسود : يا مولاي اقلع إحدى عيناي وأراد بذلك أن يكون نصيب الثاني قلع عينيه معاً ، فضحك الملك من مكره وأجاز الإثنين .

* * *

الجماز والكركي

كان لا يدخل بيت الجماز أكثر من ثلاثة لضيقه ، فدعا ثلاثة فجاءه ستة وقرعوا الباب ووقفوا على رجلٍ واحدة فعد أرجلهم من خلف الباب فرآها ستة ، فلما حصلوا عنده قال لهم : إخرجوا عني فإنني دعوت أُناساً ولم أدع كراكي . والكراكي يقف على رجل واحدة .

* * *

موعظة للذئب

أخذ رجل ذئباً ، فجعل يعظه ويقول لـه : إياك وأخـذ أغنام النـاس ، فيُعاقبك الله سبحانه ، والذئب يقول : خفف المـوعظة واختصر ، فـإنني أرى قطيعاً من الغنم سارحاً وأخاف أن يفوتني اللحوق به .

وهذه نتيجة توجيه الموعظة لمن لا يستحقها .

***

الوالد الأحمق والولد العاق
والأجوبة المسكتة

قال الأصمعي : كان في بني تميم رجـل يدعى حنـظلة ، وكان معـروفاً بسرعـة الجواب المسكت حتى لا يكـاد أحد يقهـره فيتزوج امـرأة منهم اسمهـا علقمة فجاءته بعدة أولاد ولم يسلم له منهم غير ولد سماه مرة ، وكان مرة أحدّ لساناً وأسرع جواباً من أبيه مع بشاعة منظره وقبح مخبره .

فقال يوماً حنظلة لولده مرة : أعطني كذا فلم يعتني مرة بوالده ولم يأبه به فغضب حنظلة غضباً شديداً فالتفت إلى ولده مرة قائلاً :

يا مرة إنك خبيث كاسمك .

فقال مرة : أخبث مني من سماني به .

قال حنظلة : إنك لمر يا مرة .

فقال مرة : أعجبتني حلاوتك يا حنظلة .

قال حنظلة : تالله لست من الناس .

فقال مرة : من أشبه أباه فما ظلم .

قال حنظلة : لا رضي الله عن بطن تقلبت فيه .

فقال مرة : أجل ولا عن ظهر نزلت منه .

قال حنظلة : ويحك لا تزداد إلا سوء أدب .

فقال مرة : أتجني من الشوك عنبا .

قال حنظلة : لقد كنت شؤماً على أخوتك فماتوا .

فقال مرة : أعجبتني كثرة عمومتي يا مبارك .

قال حنظلة : لا أفلحت أبداً .

فقال مرة : فكيف يفلح من أنت أبوه .

قال حنظلة : ما أحوجك إلى تأديب .

فقال مرة : الذي نشأت على يديه أحوج مني إليه .

قال حنظلة : أراحني الله كما أراح أخوتك .

فقال مرة : تختنق بحبل حتى تموت فتستريح مني .

قال حنظلة : لأدعون الله عيك .

فقال مرة : الذي تدعوه عالمٌ بك .

قال حنظلة : ما يعلم مني إلا خيراً .

فقال مرة : مادح نفسه يقريك السلام .

قال حنظلة : ما أجد لي خيراً من السكوت .

فقال مرة : يمنعك منه سوء خلقك الذميم .

قال حنظلة : لولا صبري ما تجرأت عليَّ .

فقال مرة : إذن نفسك فلُم .

قال حنظلة : إن قمت إليك لأوجعتك ضرباً .

فقال مرة : ما أنت أشد مني بطشاً .

قال حنظلة : أو تضربني إذا ضربتك .

قال مرة : أوعندك شك في ذلك .

قال حنظلة : فإذن سود الله وجهك .

فقال مرة : أما أنت فبيض الله عينيك .

قال حنظلة : ورم الله منك الأرض .

فقال مرة : إذن فرق الله بينك وبين العافية .

قال حنظلة : يا رب ترزق الناس أولاداً حساناً وأنا ترزقني شيطاناً .

فقال مرة : أما علمت أن من العصا العصية ، والحية لا تلد إلا حية .

قال الأصمعي : فانقطع حنظلة عن الكلام ، ولم يعش بعد ذلك إلا يوماً وليلة.

* * *

الاسكندر والقائد

رأى الاسكندر قائداً من قواده ، اسمه الاسكندر ، وكان هذا القائد لا يزال ينهزم في الحروب فقال له الاسكندر : إسمع يا هذا ، إما أن تغير فعلك وإما أن نغير اسمك .

* * *

الرجل وابن أخيه

هجم رجل على ابن أخيه ليضربه بالعصا فهرب الولد ونزل الى السلم ، فرأى عمه يتبعه فالتفت قائلاً : اعلم أيها العم العزيز إنه إذا تخطيت الدرجة الرابعة لا يعود بيننا قرابة ، فاعجب العم من حسن هذا التهديد ، ويعني بذلك أنه سوف لا يحترمه إذ تخاطها فعفا عنه ورجع .

* * *

الأعرابي وكثرة العيال

وحدث الأصمعي قال : ضجر اعرابي من كثرة العيال والولد وأراد التخلص منهم ، وبلغه أن الوباء حل بأرض خيبر ، فخرج معهم إليها يعرضهم للموت ، وأنشأ يقول :

قلت لحمى خيبر استعدي هاك عيالي فاجهدي وجدي
وباكري بصادرٍ وورد أعانك الله على ذا الجند

فأخذته الحمى فمات هو وبقي عياله .

اعرابي آخر ، ولكنه مرح
ابتلي بكثرة العيال

شكا اعرابي كثرة العيال ، فقال له : صه إنهم عيال الله وأنت وكيل عليهم ، فقال : صدقتم ولكن كنت أشتهي أن يجعل عليهم وكيلاً غيري .

* * *

السكران والكلب

حكي أن سكراناً استلقى على الطريق فجاء كلب فلحس شفتيه فقال : خدمك بنوك ولا عدموك ، فبال على وجهه فقال : بارك الله فيك ماءاً حاراً أيضاً ؛وقيل : حالات السكارى ثلاثة ؛ قرد حرك رأسه فرقص ، وكلب هارش فنبح ، وحية زويت فنامت

* * *

نوادر المؤمنين

قيل لمؤذن : ما نسمع صوتك وقت الاذان فلو رفعته قليلاً لكان ذلك أنفع وأمتع ، فغضب وقال : إني أسمع آذاني على بعد ميل .

* * *

وقال بعضهم : رأيت مؤذناً أذن ثم غدا مهرولاً فقلت له : إلى أين ؟ فقال : أحب أن اسمع صوتي أين بلغ .

* * *

واختصم رجلان في جارية فاودعاها عند من يوثق به من المؤذنين فلما أصبح الصبح وفرغ من الاذان قال : لا إله إلا الله ذهبت الأمانة من الناس ، فقالوا له : كيف ذهبت الأمانة من الناس ؟ فقال : هذه الجارية التي وضعت

عندي زعم صاحبها إنها بكر ولكنني لما أتيتها وجدتها ثيباً .

* * *

وسمع مؤذن حمص يقول في سحور رمضان : تسحروا فقد أمرتكم وعجلوا في أكلكم قبل أن أؤذن فيسخم الله وجوهكم أي يسود وجوهكم .

وشوهد مؤذن يؤذن في رقعة فقيل له : أما تحفظ الاذان ؟ فقال : سلوا القاضي فإنه هو الذي عهد إليّ بمنصب الاذان ، ولما أتوا القاضي فقالوا : السلام عليكم ، فنظر إليهم أولاً ثم أخرج دفتراً وتصفحه ثم قال : وعليكم السلام ، ولما رأوا ذلك عذروا المؤذن وبينما كان هذا المؤذن يؤذن في وقتٍ آخر اجتاز سكران بالمسجد ، وسمع آذانه ، فغضب غضباً شديداً ، وانتظره حتى نزل عن المأذنة وخرج من المسجد ، فبادر إليه السكران وجلد به الأرض جعل يركله برجله فاجتمع الناس لتخليص المؤذن وجعلوا يضربون السكران فالتفت السكران إليهم قائلاً : سلوني لماذا فعلت ما فعلت ، ثم اضربوني إن كنت مستحقاً ، فسألوه ، فقال : ليس بيني وبين هذا المؤذن عداوة ، ولم انتقم منه لأن صوته قبيح ، ولكن اخذتني الغيرة على المسلمين وخفت من شماتة اليهود والنصارى بنا ، فصاحوا بأجمعهم كلمة عاقل من رأس سكران . وعفوا عن السكران .

* * *

نوادر المعلمين

ـ عن الجاحظ قال : مررت على خربة فإذا بها مسلم وهو ينبح نبيح الكلاب ، فوقفت أنظر إليه فإذا بصبي قد خرج من داره فقبض عليه المعلم ، وجعل يلطمه أو يضربه ويشتمه فقلت : عرفني خبره ، فقال : هذا صبي لئيم يكره التعليم ويهرب ويدخل الدار ولا يخرج وله كلب يلعب به ، وإذا سمع صوتي ظن أنه صوت ذلك الكلب فيخرج فأمسكه .

ـ وقال الجاحظ أيضاً : مررت بمعلم يقرأ في الكتاب وحده فسألته فقال :

الصغار داخل الدرب يتصارعون فقلت : أحب أن أراهم ، فقال : ما أُشير عليك بذلك ، فقلت له : لا بد . قال : فإذا جئت رأس الدرب أكشف رأسك لئلا يعتقدونك المعلم فيصفعونك حتى تعمى .

وقال بعضهم : رأيت معلماً وقد جاءه تلميذان صغيران يتخاصمان لديه فقال أحدهما : هذا عض أذني فقال الآخر : لا والله هو الذي عض أذن نفسه فقال المعلم : يا ابن الزانية أهو جمل حتى يعض أذن نفسه .

ـ وقال بعضهم : رأيت معلماً يصلي العصر فلما ركع ادخل رأسه بين رجليه ونظر إلى الصغار وهم يلعبون وقال لأحد تلاميذه : يا ابن البقال لقد رأيت ما عملت وسوف أُعاقبك إذا فرغت من الصلاة .

ـ وحكي عن الجاحظ أنه قال : ألفت كتاباً في نوادر المعلمين وما هم عليه من التغافل ، ودخلت يوماً مدينة فوجدت فيها معلماً في هيئة حسنة فسلمت عليه فرد عليَّ أحسن السلام ورحب بي فجلست عنده وباحثته في القرآن فإذا هو ماهر فيه ثم فاتحته في الفقه والنحو وعلم المعقول واشعار العرب . فإذا هو كامل الآداب وقلت في نفسي : هل لعلَّني قد ظلمت المعلمين ، وعزمت على تمزيق ذلك الكتاب ، ولما رأيت آخر الكلام قوي عزمي على ذلك قال : فكنت أختلف إليه وأزوره ، فجئت يوماً لزيارته فإذا بالكتاب مغلق ولم أجده فسألت عنه : فقيل : مات له ميت فحزن عليه وجلس في بيته للعزاء فذهبت إلى بيته وطرقت الباب ففتحت لي جارية وقالت : ما تريد ؟ قلت : سيدك فدخلت وخرجت وقالت : بسم الله فدخلت إليه فإذا به جالسٌ جلسة الكئيب الحزين فقلت : عظم الله أجرك لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة كل نفس ذائقة الموت فعليك بالصبر ثم قلت له : هذا الذي توفي أهو ولدك ؟ قال : لا ، قلت : إذن هو والدك ؟ قال : لا ، قلت : فأخوك ؟ قال : لا قلت : فزوجتك ؟ قال : لا ، فقلت : وما هو منك ؟ قال : حبيبتي . فقلت في نفسي : العاقل يحب ويكتم ، وهذا يكون هكذا .

هذه أول سنة من سنات المعلمين ، فقلت : سبحان الله النساء كثيرات

للترفيه والراحة

وستجد من تحبه غيرها فقال : أتظن أني رأيتها فقلت : وهذه الثانية .

ـ خرج المهدي يتصيد ، فغار به فرسه حتى وقع في خباء إعرابي ، فقال : يا اعرابي هل من قرى ، فأخرج له قرص شعير فأكله ، ثم أخرج له فضلة من لبن ، ثم أتاه بنبيذ فسقاه ، فلما شرب قال : أتدري من أنا ؟ قال : لا ، قال : أنا من خدم أمير المؤمنين الخاصة ، قال : بارك الله فيك وفي موضعك ، ثم سقاه مرة أخرى فشرب ثم قال : يا اعرابي ، أنا من قواد أمير المؤمنين ، قال الأعرابي : رحبت بلادك وطاب مرادك ، ثم سقاه الثالثة ، فلما انتهى ، قال : يا اعرابي ، أتدري من أنا ، قال : زعمت أنك من قواد أمير المؤمنين ، قال : لا ، ولكني أنا أمير المؤمنين نفسه ، قال فأخذ الأعرابي الركوى فوكأها وقال : إليك عني فلو سقيتك الرابعة لأدعيت أنك رسول الله .

فضحك المهدي حتى أُغشي عليه ، ثم أحاطت به الخيل من كل جانب ونزلت إليه الملوك والأشراف ، فطار قلب الأعرابي جزعاً وخوفاً . فقال له : لا بأس عليك ولا خوف ، ثم أمر له بكسوةٍ ومال جزيل .

ـ ووجد اعرابي يأكل ويتغوط ويفلي ثوبه ، فقيل له في ذلك ، فقال : أخرج عتيقاً وأدخل جديداً ، ثم اقتل عدواً .

ـ قيل : تحاكم الرشيد وزبيدة إلى ابي يوسف القاضي في الفالوذج واللوزينج أيها أطيب ، فقال : أنا لا أحكم على غائب فأمر الرشيد بإحضارهما وقُدما بين يدي أبي يوسف القاضي ، فجعل يأكل من هذا مرة ومن هذا مرة حتى انتصف الجامين ، ثم قال :

يا أمير المؤمنين ، ما رأيت أعدل منهما، كلما اردت أن أحكم لأحد منهما أتاني الآخر بحجته .

ـ وكان لبعضهم ولد نحوي يتقعر في كلامه.، فاعتل أبوه علة شديدة حتى أشرف على الموت ، فاجتمع أولاده عليه ، فقالوا : يا أبانا اندعوا لك أخانا فلاناً ؟ فقال لهم : لا إن جاءني قتلني ، قالوا : نحن نوصيه بأن لا يتكلم ، فدعوه فلما حضر قال : يا أبتي قل أشهد أن لا إله إلا الله تفوز بالجنة

وتنجو من النار ، ثم صمت ، ثم قال : يا أبتي والله ما أشغلني عنك إلا فلاناً فإنه دعاني بالأمس فأهرس وأعدس واستبذج وسكبج وطهبج وأفرج ودجدج وأبصل وأمضر ولوزج وأفلوزج ، فصاح أبوه : غمضوني ، واخرجوه عني فقد سبق ابن الزانية ملك الموت على قبض روحي .

ـ وحكى الأصمعي قال : ضلت لي إبل فخرجت في طلبها وكان البرد شديداً ، فالتجأت إلى حي من أحياء العرب وإذا بجماعة يصلون وبقربهم شيخ ملتف بكساء ويرتعد من شدة البرد وينشد :

أيا رب إن البرد أصبح كالحاً	وأنت بحالي يا إلهي أعلم
فإن كنت يوماً في جهنم مدخلي	ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم

قال الأصمعي : فتعجبت من فصاحته ، فقلت له : يا شيخ أما تستحي تقطع الصلاة وأنت شيخٌ كبير ، فأنشد يقول :

أيطمع ربي أن أُصلي عارية	ويكسو غيري كسوة البرد والحر
فوالله لا صليت ما عشت عارياً	عشاء ولا وقت المغيب ولا الوتر
ولا الصبح إلا يوم شمس دفيئة	وإن غيمت فالويل للظهر والعصر
وإن يكسني ربي قميصاً وجبة	أُصلي له مهما أعيش من العمر

قال : فأعجبني شعره وفصاحته فنزعت قميصاً وجبة كانا عليَّ ودفعتهما إليه وقلت له : البسهما وقم فصلي ، فاستقبل القبلة وصلى جالساً وجعل يقول :

إليك اعتذاري من صلاتي جالساً	على غير طهر يوماً نحو قبلتي
فمالي ببرد الماء يا رب طاقة	ورجلاي لا تقوى على ثني ركبتي
ولكنني استغفر الله شاتياً	واقضيكها يا رب في وجه صيفتي
وإن أنا لم أفعل فأنت محكم	بما شئت من صفعي ومن نتف لحيتي

قال فعجبت من فصاحته ، وضحكت عليه وانصرفت .

- وصلى اعرابي مع قوم فقرأ الإمام: قل أرأيتم إن أهلكني الله ومن معي أو رحمنا ، فقال الأعرابي : أهلكك الله وحدك ، أي ذنب كان ذنب الذين كانوا معك ؟ فقطع القوم الصلاة من شدة الضحك .

- وحضر اعرابي على مائدة يزيد بن مزيد ، فقال لأصحابه : افرجوا لأخيكم فقال الأعرابي : لا حاجة لي بافراجكم لأن إطنابي طوال - يعني سواعده - فلما مد يده ضرط فضحك يزيد وقال : يا أخا العرب أظن أن طنباً من أطنابك قد انقطع .

- ادعى رجل النبوة في أيام الرشيد ، فلما مثُل بين يديه ، قال له :

- ما الذي يُقال عنك ؟ .

قال : إني نبي كريم .

قال : فأي شيء يدل على صدق دعواك ؟ .

قال : سل عما شئت ؟ .

قال : أُريد أن تجعل هذه المماليك المرد القيام الساعة بلحى .

فاطرق ساعة ثم رفع رأسه ، وقال : كيف يحل أن اجعل هؤلاء المرد بلحى وأُغير هذه الصورة الحسنة وإنما أجعل أصحاب هذه اللحى مرداً في لحظة واحدة .

فضحك منه الرشيد وعفا عنه ، وأمر له بصلة .

- وقيل : دخل مجنون الطاق يوماً إلى الحمام ، وكان بغير مئزرٍ ، فرآه أبو حنيفة وكان في الحمام فغمض عينيه .

فقال له المجنون : متى أغواك الله ؟

قال : حين هتك سترك .

- وحكي أن الحجاج خرج ذات يوم متنزهاً فلما فرغ من نزهته انفرد

عنه أصحابه ، وانفرد بنفسه ، فإذا هو بشيخ من بني عجل .

فقال له : أيها الشيخ من أي البلاد أنت ؟

قال : من هذه القرية .

قال : كيف ترون عمالكم ؟ .

قال : شر عمال ، يظلمون الناس ويستحلون أموالهم .

قال : فكيف قولك في الحجاج ؟ .

قال : ذاك ما ولي العراق شر منه ، قبحه الله ، وقبح من استعمله .

قال : أتعرف من أنا ؟ .

قال : لا .

قال : أنا الحجاج .

قال : جُعلت فداك أوتعرف من أنا ؟ .

قال : لا .

قال : أنا فلان بن فلان مجنون بني عجل أصرع في كل يوم مرتين .

قال : فضحك الحجاج منه وأمر له بصلة .

ـ قالت عجوز لزوجها : أما تستحي أن تزني ولك حلال طيب .

فقال لها : أما حلال فنعم ، وأما طيب فلا .

ـ قال ملك لوزيره : ما خير ما يرزقه العبد؟ قال : عقل يعيش به ، قال : وإن عدمه ؟ قال : أدب يتحلى به ، قال : وإن عدمه ؟ قال : مال يستره ، قال : وإن عدمه ؟ قال : فصاعقة تحرقه، وتريح منه العباد والبلاد .

ـ وتنبأ رجل في زمن المنصور ، قال له المنصور : أنت نبي سفلة ، فقال له : جعلت فداك كل نبي يبعث إلى مثله وشكله .

ـ وبنى بغض المغفلين نصف دار وبنى رجل آخر النصف الآخر ، فقال المغفل يوماً : قد عزمتُ على بيع النصف لأشتري به النصف الآخر وعندها تتم الدار .

ـ وتنبأ إنسان فطالبوه بحضرة المأمون بمعجزة ، فقال لهم : أطرح لكم حصاة في الماء فتذوب .

فقالوا : رضينا ، فأخرج لهم حصاة من جيبه فوضعها بالماء فذابت .

فقالوا له : هذه حيلة نعطيك نحن حصاة من عندنا ودعها تذوب .

فقال لهم : لستم أنتم أجلّ من فرعون ولا أنا أعظم حكمة من موسى ، ولم يقل فرعون لموسى لم أرضى بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصا من عندي تجعله ثعباناً فضحك المأمون وأجازه .

ـ وتنبأ رجل في أيام المعتصم ، فلما حضر بين يديه قال : أنت نبي ؟ قال : نعم قال : وإلى من بُعثت ؟ قال : إليك ، قال : أشهد أنك سفيه أحمق .

قال : إنما يُبعث إلى قوم مثلهم ، فضحك المعتصم وأمر له بشيء .

ـ وتنبأ رجل في أيام المأمون ، فقال له المأمون : إن إبراهيم كانت له معجزات وبراهين ، قال وما براهينه ؟ قال : أضرمت له ناراً وأُلقي فيها فصارت عليه برداً وسلاماً ، ونحن نضرم لك ناراً ونطرحك فيها فإن كانت عليك كما كانت عليه آمنا بك .

قال : أُريد واحدة أسهل من هذه .

قال : فبراهين موسى ، قال : فما براهينه ؟ قال : ألقى عصاه فإذا هي حية تسعى وضرب بها البحر فانفلق ، وادخل يده في جيب فإذا هي بيضاء أو فأخرجها بيضاء .

فقال : وهذه عليَّ أصعب من الأولى .

قال : فبراهين عيسى ، قال : فما براهين عيسى ، قال : إحياء الموتى .

قال : مكانك لقد وصلت ، أنا أضرب رقبة القاضي يحيى بن أكثم وأُحييه لكم الساعة .

فقال القاضي : أنا أول من آمن بك .

ـ وتنبأ آخر في أيام المتوكل ، فلما حضر بين يديه قال له : أنت نبي ؟ قال : نعم .

قال : فما دليل نبؤتك ؟ قال : دليل نبؤتي في القرآن الكريم فإنه يشهد نبؤتي في قوله تعالى ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ وأنا أُسمى نصر الله .

قال : فما معجزتك ؟ قال : آتوني بامرأة عاقر انكحها لكم الآن فتحمل ثم تلد ولداً يتكلم الساعة ويؤمن بي .

فقال المتوكل ، لوزيره الحسن بن عيسى : اعطه زوجتك حتى نرى كراماته .

فقال الوزير : أما أنا فأشهد أنه نبي الله ، إنما يعطيه زوجته من لا يؤمن به ، فضحك المتوكل ، ثم أطلقه .

ـ وأحضر رجل ولده إلى القاضي فقال : يا مولانا إن ولدي هذا يشرب الخمر ولا يُصلي ، فأنكر الولد ذلك ، فقال أبوه : يا سيدي أو تكون صلاة من غير قراءة ؟ فقال الولد : اني أقرأ القرآن ، فقال القاضي : إقرأ حتى اسمع فقال :

علق القلب الربابة بعد ما شابت وشابا
إن دين الله حق لا أرى فيه ارتيابا

فقال أبوه : إنه لم يتعلم هذا إلا البارحة فقد سرق قرآن الجيران وحفظ هذا منه .

فقال القاضي : وأنا الآخر أحفظ منه آية وهي :

فـارحمـي مضـني كئـيـبـاً قـد رأى الهـجـر عـذابـا

ثم قال القاضي : قاتلكم الله يعلم أحدكم القرآن ولا يعمل به .

- ورفعت امـرأة زوجها إلى القـاضي تبغي الفرقـة وزعمت أنه يبـول في فراشه .

- قيل إن بعض تلامذة صاحب الجواهر أُصيب بالجنون فالتقى المجنون به في الطريق واستوقفه وطلب منه مساعدة مالية ، فداعبه الشيخ قائلاً : يجوز إعطاء المال للمجنون أو يتعين إعطاؤه لوليه ، فأجابه المجنون قائلاً : - يا مجنون يجوز الإعطاء للمجنون ولا يجوز الأخذ منه ، فأعطاه الشيخ شيئاً من المال ، وتعجب الحاضرون من جوابه .

- وقيل إن شخصاً دخل دار المجانين، فتحدث إلى أحدهم ، فوجده على حالة حسنة ، فقال لـه : لماذا أدخلوك دار المجـانين ؟ فـأجابـه قـائـلاً : ظلماً وعدواناً ثم تركه وذهب يطوف بين المجـانين ، ثم عـاد إليه فـوجده يلعب في روثه ، فلامه على ذلك ، فغضب المجنون وقال له : إما أن تخبرني عن طعمه وإلا أطعمتك منه لتعرف طعمه ، فلاطفه فعفا عنه .

ثم قال للمجنون : هل ذاقه أحد ليعرف طعمه ؟ .

فأجابه المجنون قائلاً : الذكي يعرف طعم كل شيء وإن لم يذقه .

فقال : كيف ذلك ؟ فأجابه : هو عند خروجـه حلواً ولذا يهجم عليـه الذباب ، والذباب لا يهجم إلا على الحلوى .

ثم يتحول حامضاً وعلامة ذلك أن البرغش يهجم عليه ، والـبرغش لا يهجم إلا على الحامض ، كاللبن والفاكهة المتحمضة .

ثم يتحول مراً ، وعلامة ذلك أنه يكون مسرحاً للدود .

- وفي أوائل ورودنا للنجف كنا نشاهد عدداً من المجانين ، ثم بعد ذلك

أقامت الحكومة داراً للمجانين ، فلم نعد نُشاهد أحداً منهم .

وكل واحد ممن شاهدناه له حالات تختص به ، ومن ثم قيل الجنون فنون .

ومنهم شخص يدعى حلوسا وكان حلوس يلبس على رأسه عمة من الترم على طربوش يسمونها باللغة العراقية (كشيدة) (ولفة غبانية) في لبنان . ويُقال إنه كان تاجراً وإن أولاده لهم احترام ، وأنهم يمولونه ببعض الدراهم والدخان ، وكان مولعاً بالسيكارة ، وكان يطلبها من الناس إذا نفذ ما عنده ، ويقدمها لهم إذ كانت متوفرة لديه ، وكنا نشاهد ذلك منه ، ولكن الناس تعطيه ولا تأخذ منه ، لأنه لا يجوز التصرف في أموال المجنون .

وكان بعض الناس من السوقة يصفعه على كشيدته ، أما هو فإنه إتخذ وسيلة للتخلص منهم ، دق في أعلاها مسامير بكثرة ، وجعل أطرافها الشائكة إلى أعلاها ، فإذا صفعه شخص ثبتت المسامير في كفه فأدمته .

وكان لا يرى إلا متبسماً ، وكان خفيف الظل يستوقف المارة ويطلب منهم سيكارة ، وكذلك يطلب عود كبريت لسيكارته ، وربما قدم لبعضهم السيكارة ، وكان أيضاً إذا رأى حلقة من الطلاب جلس بينهم للغاية نفسها ، وكان لا يغسل ثيابه أبداً .

ـ وكان مجنون آخر حسن اللباس ، يحمل دواةً وأقلاماً على النهج القديم ، وكان جيد الخط ، وكان معه عدة ودفاتر بعضها مكتوب عليها وبعضها لم يكتب عليها وكان مشغولاً في تدوين أخبار الحرب العالمية ، التي وقعت سنة ١٩١٤ م ، ويزعم أن هذا هو قرآنه ، وقد دفعت له أنا والسيد هاشم معروف مقداراً من المال ليعطينا واحداً منها فغضب علينا ولم يكلمنا بعدها أبداً ، وكنا يومئذٍ نتباحث في الألفية في أحد المساجد .

ـ وكان ثالث يلبس جميع ما عنده من الألبسة في أيام الصيف ، وكان يطوف الصحن مسرعاً ، فإذ إعتلا بعض الأتربة أو المواد المعدة للبناء صعد

عليها أثناء سيره وفرش إبطيه وعباءته وأسرع كأنه يطير ، وقيل : إنه كان يرى نفسه يطير ، وما رأيت أحداً يكلمه ولا رأيته كلم أحداً .

- وكان رابع يدعي أنه نبي الله نوح ، وكان يحمل زرداً من الحديد ، ولا يكلمه أحد ولا يتكلم هو مع أحد ، نعم إذا سُئل عن حمله هذا الزرد يقول : هو سبحته .

وكان خامس يدعى الحاج واوي ، يُقال إنه من خدام السيد عباس الكليت دار ، وكان يذهب إلى حمام بيت علي آغا ، وهو قرب الصحن فيتطهر ويشمر أثوابه ، ويلبس قبقاباً ، ويدخل الصحن ويجلس في الأواوين القبلية ، فإذا رآه الصبيان وأمثالهم ممن يجتازون الصحن أو الجالسون فيه تجاوبوا بالعواء شبه عواء ابن آوّى ، فكان يشاركهم ، ثم يهجم عليهم ، فيفرون بين يديه . أو قيل إنه إذا لم يعوِ أحد وبقي الناس سكوتاً عوى هو عواء ابن آوى .

- ورأيت سادساً يُدعى الحاج حبيب يلبس لباس التجار المحترمين مجتازاً في سوق الحويش ، والسفلة ، فيتنادى كثير من المارة ، وأهل السوق بهذه الكلمة : « عمي حبيب عمي حبيب » فيسرع بالمسير ، ويتوارى فسألت ، فقيل : إنه كان له ابن أخ صغير السن ينازعه على الميراث ، فادخله بيتاً وقتله ، ومثّل به ، والطفل يستعطفه ويستغيث به ويقول : « عمي حبيب عمي حبيب » فابتلى هذا القاتل فصار إذا خلا بنفسه ظل يُنادي « عمي حبيب عمي حبيب » .

وكان ذلك أول عقوبة لاقاها في الدنيا على جريمته ، فهو لا يزال يتذكر الحادث ويردد كلمة المقتول : عمي حبيب .

وليكن آخر ما ننقله عن المجانين ، عظة للمجانين من العقلاء ، الذين يحاولون التخلص من خصومهم : بقتلهم إياهم ، ثم يصبح أحدهم بعد ذلك خصماً لنفسه ، هذا وقد كان من هو أسن منا من الطلاب يقول لنا : إذا رأيتم مبتلي بالجنون أو غيره من أنواع الإبتلاء أو البلاء ، فقولوا :

الحمدلله الذي عافانا مما ابتلى غيرنا به ، ولو شاء لفعل .

ونسأل الله العافية والعفو لنا ولجميع الناس فضلاً عمن نحبهم ونعزهم ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

اعتمدنا في اختيار بعض هذه القصص على حفيدنا ماجد نجل ولدنا الشيخ محمد جواد الفقيه حفظهما الله تعالى وقد أخذها من كتابي المستطرف والعقد الفريد وغيرهما .

فصل في الأجوبة المسكتة

قال يهودي للإمام علي بن أبي طالب (ع) : ما لكم لم تلبثوا بعد نبيكم إلا خمسة عشر سنة حتى تقاتلتم .

قال له الإمام (ع) : ولم أنتم لم تجف أقدامكم من البلل حتى قلتم يا موسى ، اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ؟ .

ومن ذلك ما رواه في ثمرات الأوراق ، لتقي الدين الحموي ـ المطبوع في هامش المستطرف ، أنه إجتمع عند معاوية ، عمرو بن العاص والوليد بن عقبة وعقبة بن أبي سفيان ، والمغيرة بن شعبة .

فقالوا : يا أمير المؤمنين إبعث إلى الحسن بن علي (ع) وادعه ، فقال لهم : فيم ؟ فقالوا : كي نوبخه ، ونعرفه أن أباه قتل عثمان ، فقال لهم : إنكم لا تنتصفون منه ولا تقولون شيئاً إلا كذبكم الناس ولا يقول لكم شيئاً إلا صدقه الناس لبلاغته .

فقالوا : ارسل إليه فإنا سنكفيك أمره ، فأرسل إليه معاوية فلما حضر قال : يا حسن إني لم أرسل إليك ولكن هؤلاء أرسلوا إليك فاسمع مقالتهم واجب .

فقال الحسن (ع) : فليتكلموا ونسمع .

فقام عمرو بن العاص فحمد الله واثنى عليـه ، ثم قال : هـل تعلم يا حسن أن أباك أول من أثار الفتنة ، وطلب الملك فكيف رأيت صنع الله به .

ثم قام الوليد بن عقبة بن أبي معيط ، فحمد الله واثنى عليه ، ثم حمدالله واثنى عليه مرة أخرى ، ثم قال : يا بني هاشم كنتم أصهـار عثمان بن عفـان ونعم الصهـر وكان يقربكـم ويفضلكم ثم بغيتم عليه فقتلتمـوه ولقد أردنـا يا حسن قتل أبيك فانقذنا الله منه ولو قتلناه بعثمان ما كان علينا من الله ذنب .

ثم قام عقبة فقال : أتعلم يا حسن أن أباك بغى على عثمان وقتله حسداً على الملك والدنيا وسلبها ، ولقد أردنا قتل أبيك حتى قتله الله تعالى .

ثم قام المغيرة بن شعبة فكان كلامه كله سباً للإمام علي (عليه السلام) وتعظيماً لعثمان .

فقام الحسن (عليه السلام) فحمد الله واثنى عليه وقال : بـك أبدأ يـا معاوية لم يشتمني هؤلاء ولكن أنت تشتمني بغضاً وعداوة وخلافاً لجدي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ثم التفت إلى الناس وقال : أنشدكم الله أتعلمون أن الرجل الذي شتمه هؤلاء كان أول من آمن بالله وصلى للقبلتين وأنت يا معاوية يومئذٍ كافر تشرك بالله ، وكان معه لواء النبي (ص) يوم بدر ، ومع معاوية وأبيه لواء المشركين .

ثم قال : أنشدكم الله والإسلام أتعلمون أن معاوية كان يكتب الرسائل لجدي (ص) فأرسل إليه يوماً فرجع الرسول وقال هو يأكل ، فرد الرسـول إليه ثلاث مرات كل ذلك وهو يأكل فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : لا أشبع الله بطنه أما تعرف ذلك في بطنك يا معاوية .

ثم قال : أنشدكم الله أتعلمون أن معاوية كان يقود بأبيه على جمل وأخوه هذا يسوقه ؟ .

فقال رسول الله (ص) لعن الله الجمل وقائده وراكبه وسائقه ، هذا كله لك يا معاوية .

وأما أنت يا عمرو فتنازع فيك خمسة من قريش فغلب عليك شبه ألأمهم حسباً وشرهم منصباً ثم قمت وسط قريش فقلت : إني شانىء محمداً ، فأنزل الله على نبيه (ص) إن شانئك هو الأبتر ، ثم هجوت محمداً بثلاثين بيتاً من الشعر فقال النبي (ص) : اللهم إني لا أحسن الشعر ولكن إلعن عمرو بن العاص بكل بيت لعنة ثم انطلقت إلى النجاشي بما عملت ، فأكذبك الله وردك خائباً فأنت عدو بني هاشم في الجاهلية والإسلام ، فلِمَ نلمك على بغضك ؟ .

وأما أنت يا ابن أبي معيط فكيف ألومك على سبك لعلي وقد جلد ظهرك في الخمر ثمانين سوطاً ، وقتل أباك صبراً بأمر من جدي بأمر من ربي ولما قدمه للقتل قال : من للصبية يا محمد ؟ قال : لهم النار ، فلم يكن لكم عند النبي إلا النار ولم يكن لكم عند علي إلا السيف والسوط .

وأما أنت يا عتبة فكيف تعد أحدنا بالقتل ، لما لا قتلت الذي وجدته في فراشك مضاجعاً لزوجتك ، ثم امسكتها بعد أن بغت .

وأما أنت يا أعور ثقيف ففي أي ثلاث، تسب علياً ، أفي بعده عن رسول الله (ص) ، أم في حكم جائر ، أم في رغبة في الدنيا ، فإن قلت شيئاً من ذلك فقد كذبت وأكذبك الناس ، وإن زعمت أن علياً قتل عثمان فقد كذبت وأكذبك الناس .

وأما وعيدك ، فإنما مثلك كمثل بعوضة ، وقفت على نخلة فقالت لها : استمسكي فإني أريد أن أطير ، فقالت لها النخلة : ما علمت بوقوفك فكيف يشقُ عليَّ طيرانك ؟ وأنت فما شعرنا بعداوتك فكيف يشق علينا سبك ؟ ثم نفض ثيابه وقام .

فقال لهم معاوية : ألم أقل لكم أنكم لا تنتصفون منه فوالله لقد أظلم علي البيت حتى قام ، فليس فيكم بعد اليوم خير .

وقيل : إجتمعت بنو هاشم يوماً عند معاوية فأقبل عليهم وقال : يا بني هاشم إن خيري عليكم لممنوح ، وإن بابي لكم لمفتوح ، فلا يقطع خيري

عنكم ، ولا يرد بابي دونكم ، ولما نظرت في أمري وأمركم رأيت أمراً مختلفاً ، إنكم ترون أنفسكم أحق بما في يدي مني ، وإذا أعطيتكم عطية فيها قضاء حقوقكم ، قلتم أعطانا دون حقنا وقصر بنا عن قدرنا ، فصرت كالمسلوب والمسلوب لا حمد له ، هذا مع انصاف قائلكم وإسعاف سائلكم .

فأقبل عليه ابن العباس فقال : ما منحتنا شيئاً حتى سألناه ، ولا فتحت لنا باب حتى قرعناه ، ولئن قطعت عنا خيرك فخير الله أوسع منك ، ولئن أغلقت دوننا باباً لنكفن أنفسنا عنك ، وأما هذا المال فليس لك منه إلا ما للرجل من المسلمين ، ولولا حقنا في هذا المال لم يأتك منا زائر يحمله خف أو حافر أكفاك أم أزيدك ؟

فقال له معاوية : كفاني يا ابن العباس .

ـ ودخل عقيل على معاوية يوماً ، وقد كف بصره فأجلسه معه على سريره ، ثم قال له : أنتم معشر بني هاشم تصابون في أبصاركم .

فقال له عقيل : وأنتم معشر بني أمية تصابون في بصائركم .

ـ وقال معاوية يوماً : أيها الناس ، إن الله حبا قريشاً بثلاث ، فقال لنبيه (ص) : وأنذر عشيرتك الأقربين ونحن عشيرته الأقربون ، وقال تعالى : وإنه لذكر لك ولقومك ونحن قومه ، وقال تعالى : لا يلاف قريش أيلافهم ، ونحن قريش .

فأجابه رجل من الأنصار وقال له : على رسلك يا معاوية وإن الله تعالى قال : وكذب به قومك وأنتم قومه وهو الحق ، وقال تعالى : ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون ، وأنتم قومه ، وقال الرسول : يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً وانتم قومه ، ثلاثة بثلاثة وإذا زدتنا زدناك .

ـ وجد الحجاج مكتوباً على منبره ، قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار ، فكتب تحتها : قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور .

ـ وخطب معاوية يوماً فقال : إن الله تعالى يقول : وما من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدرٍ معلوم فعلام تلومونني إذا قصرت في عطاياكم ، فقال له الأحنف : وأنا .

قال معاوية لرجل من اليمن : ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة .

فأجابه : إن أجهل من قومي قومك ، الذين قالوا حين دعاهم رسول الله (ص) اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم .

وقال معاوية أيضاً لجارية بن قدامة : ما كان أهونك على قومك إذ سموك جارية .

فقال جارية : وأنت ما كان أهونك على قومك حين سموك معاوية ، وهي الأنثى من الكلاب ، قال : إسكتْ لا أم لك ، قال : أم لي ولدتني ، أما والله إن القلوب التي أبغضناك بها لبين جوانحنا والسيوف التي قاتلناك بها لفي أيدينا وإنك لم تهلكنا قسوة ولم تملكنا عنوة ، ولكنك أعطيتنا عهداً وميثاقاً ، وأعطيناك سمعاً وطاعة ، فإن وفيت لنا وفيناك وإن نزعت إلى غير ذلك فإنا تركنا وراءنا رجالاً شداداً وأسنة حداداً .

فقال معاوية : لا أكثر الله مثلك بين الناس .

فقال له : قل معروفاً ، فإن شر الدعاء محيط بأهله .

ـ دخل يزيد بن أبي مسلم ، صاحب شرطة الحجاج على سليمان بن عبد الملك بعد موت الحجاج . فقال له سليمان : قبح الله رجلاً أجرّك رسنه وأولاك أمانته .

فقال : يا أمير المؤمنين رأيتني والأمر لك ، وهو عني مدبر ، فلو رأيتني وهو عليّ مقبل ؟ لأستكبرت مني ما استصغرت واستعظمت مني ما استحقرت .

فقال سليمان : أترى الحجاج استقر في جهنم .

فقال : يا أمير المؤمنين ، لا تقل ذلك فإن الحجاج وطأ لكم المنابر وأذل لكم الجبابرة وهو يجيء يوم القيامة عن يمين أبيك وشمال أخيك فحيثما كانا كان .

ـ ووفد ابن أبي محجن على معاوية ، فقام خطيباً فأحسن ، فحسده معاوية وأراد أن يوقعه فقال له : أنت الذي أوصاك أبوك بقوله :

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة ... تروي عظامي بعد موتي عروقها
ولا تدفني في الفلاة فإنني ... أخاف إذا ما مت أن لا أذوقها

قال : بل أنا الذي يقول لي أبي :

لا تسأل الناس ما مالي وكثرته ... وسائل الناس ما جودي وما خلقي
أعطي الحسام غداة الروع حصته ... وعامل الرمح أرويه من العلق
وأطعن الطعنة النجلاء عن عرض ... وأكتم السر فيه ضربة العنق
ويعلم الناس إني من سراتهم ... إذا سما بصر الرعديد بالفرق

فقال له معاوية : أحسنت والله يا ابن أبي محجن ، وأمر له بصلة وجائزة .

ـ وقيل : أخذ عبد الملك بن مروان بعض أصحاب شبيب الحارثي ، فقال له : ألست القائل :

ومنا شريد والبطين وقعنب ... ومنا أمير المؤمنين شبيب

فقال : يا أمير المؤمنين ،إنما قلت ومنا أمير المؤمن شبيب ،أردت بذلك مناداة لك فكان ذلك سبباً لنجاته ،ومعنى ذلك أنه قال: ومنا أيضاً شبيب يا أمير المؤمنين .

ـ وقيل أيضاً : إن معن بن زائدة دخل على المنصور ، فقال له : هيه يا

معن تعطي مروان بن أبي حفصة مائة ألف على قوله :

معن بن زائدة زادت به شرف على شرف بنو شيبان

فقال : كلا يا أمير المؤمنين إنما أعطيته على قوله :

ما زلت يوم الهاشمية معلناً بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه من وقع كل مهند وسنان

فقال : أحسنت والله يا معن وأمر له بالجوائز والخلع .

وكان عمرو بن سعد بن سالم في حرس المأمون ذات ليلة ، فخرج المأمون يتفقد فقال لعمرو : ومن أنت ؟ فقال عمرو عمرك الله بن سعد أسعدك الله ابن سالم سلمك الله ، فقال : أنت تكلؤنا الليلة ، فقال : الله يكلؤك ، يا أمير المؤمنين وهو خير حافظاً وهو أرحم الراحمين ، فقال المأمون :

إن أخا الهيجاء من يسعى معك ومن يضر نفسه لينفعك
ومن إذا ريب الزمان صدعك شتت فيك شمله ليجمعك

ادفعوا إليه أربعة آلاف دينار ، وقال عمرو : وددت لو أن الأبيات طالت .

ـ وقال معاوية لسعيد بن مرة الكندي : أأنت سعيد ؟ قال : إن أمير المؤمنين السعيد ، وأنا ابن مرة .

وقال المأمون للسيد بن أنس : أأنت السيد ؟ .

قال : أمير المؤمنين السيد ، وأنا ابن أنس .

الألطاف والأطياف الصادقة

طيف الحاجة حميـدة ابنة
المـرحوم الحاج علي رزق

في أواخر سنة ١٩٨٣ م ، الموافق أوائل سنة ١٤٠٤ هـ ، ألف وأربعمائة وأربعة هجرية . حدثني ولدي الشيخ محمد باقر في حاريص أنه ذهب لحانوت علي السيد ابن المرحوم السيد حسين ـ من بلدة جويا ، المتزوج من الحاجة حميدة بنت المرحوم الحاج علي رزق من بلدتنا حاريص قال :

كانت الحاجة حميدة وزوجها والحاج محمـد سويـد ، المعروف بـابو عـلي سويد ، مجتمعين أمام أو في حانوت علي السيد ، وكانت الحاجة حميدة تحدثهم بما رأته في الطيف قالت :

مضى عليها ثلاث ليالي وهي ترى في الطيف والدتها الحاجة آمنة حمزة ، ووالدتها جارتنا ، توفيت عن عمر يناهز التسعين، وهي عابدة صالحة كزوجها الحاج علي رزق الذي توفي قبلها بعدة سنوات وكانـا يقومـان الليل بـالعبادة .
قالت : رأيتها في الطيف وطلبت مني بأن أفتش أمتعتها وثيابها ،وأنا يصعب عليَّ ذلك لأنني أتأثر عاطفياً ، والأمتعة التي تطلب مني تفتيشها ثيـاب وأمتعة امـرأة عجوز ، ولأجل ذلك لم أفعل ، ثم رأيتها في الليلة الثانيـة ، وكررت الـطلب

نفسه عليَّ ، ثم رأيتها في الليلة الثالثة ، وحرضتني على ذلك ، فتجلدت وفتحتها وفتشتها ، فوجدت في جيبة والدتها مبلغ من الليرات اللبنانية ، وعندما وجدتها تذكرت أن هذا المبلغ لابن اختها اليتيم وأنه كان قد أودعه عند جدته المذكورة .

وقد سألت الحاج علي سويد ، عن هذه القصة ، فأكدها لي ، واتخطر أيضاً إنني سألت الحاجة حميدة عن تلك القصة فأخبرتني بها .

***

قصة ابي حسن الحاج ابراهيم ابن المرحوم الشيخ محمود ابن خالنا المرحوم الشيخ أمين سليمان العاملي البياضي

في ذي الحجة ، سنة ١٤٠٥ هـ ، الموافق أيلول سنة ١٩٨٤ م ، ذهبت لزيارة الحجاج في البياض ، بعد عودتهم فمررت على ابن خالنا الحاج ابراهيم ، فسلمت عليه وجلست وكان الشيخ نجيب سويدان وغيره حاضراً فقدم لنا التمر وكأساً من ماء زمزم وسكت، وسألني : هل تشتهي الأركيلة ، وهو مدمن عليها ، فقلت له ، على سبيل المداعبة : وهل مكثنا هنا إلا لأجلها ، فصنعها بسرعة وقدمها ثم سكت ، وكنتُ رغبت بالقيام والذهاب إلى غيره ، فقلت له : أخبرنا عن حجك .

فقال : ذهبنا للرمي مجتمعين فقضيت الرمي قبل أصحابي ، وذهبت لأشتري قارورة ماء ، ورجعت بسرعة ، فلم أهتدِ إليهم ، فأيقنت بالضياع ، وفتشت عنهم بكل جهدي ، وبعد نحو ساعتين يأست وأخذني الجزع ، فاستظليت تحت سيارة ، وبكيت بكاء شديداً وقلت مناجياً : يا ربي أنا ما جئت إلى هنا لأموت ولا لأضيع ، وبكيت بكاء من أعماق قلبي وإذا ببدوي جميل الصورة ، ولحيته لحية البدو ، يعني شعرها يكون على الذقن دون العارضين ،

قال لي : ضائع ؟ قلت : إي والله ، قال : من تريد ؟ قلت : فلان المعرف ، قال : قم حتى أوصلك إليه ، فقمت وأشتريت قارورة فيها لبن بارد وحملتها ، فقال لي : إشرب ، فقلت : مش عطشان ، فقال : أتأذن لي بشربها ، فقلت : نعم وناولته إياها ، فوضعها على فيه وشربها بنفسين ، ثم ألقاها ، ثم وصل إلى شخص عنده طاولة يبيع عليها وقال : قف هـا هنا أصحـابك فقلت في نفسي هـذا ابدوي خـدعني وشرب اللبن ، ثم نـظرت وإذا ابن عمي الحـاج محمـد سليـمان ، وفـلان أيضـاً مَن البيـاض ، فتكلمت معهم وأدرت نـظري لأرى البدوي وأعرفهم به فلم أره .

فسألني الحاج جعفر : أين كنت ؟ فقلت : ضائع ، ووصفت له المكـان الذي كنت فيه ، وكـان منزلهم قـريب المسلخ ، فقال : متى جئت ؟ فقلت : الآن ، فقـال : المسافـة من هناك إلى هنـا نحو سـاعـة ونصف ، فقلت لـه : البـدوي دخل بي بـين الخيام ومـر بي على (كتف الجبـل) ـ منعطف الجبـل ـ وأوقفني هنا .

فقال له الشيخ نجيب : هذه القصة دخلت في كتاب حجر وطين ، وقد دونتها صباح الأحد ـ ٤ /١١ /١٩٨٤ م .

وجعلت حينها خرجت من منزله ، استعرض ما أعرفه عنه ، منذ تعرفت عليه وهو : تاجر في المسلخ في بيروت ، فرأيته شخصاً طاهراً ، لا يتحدث في أمور الناس أبـداً ولا يتحدث بـالمال أكـثر من اغتباطـه بأنـه موفق في عمله ، ومسلمـاً لله سبحانـه ، فقد كنتُ أجلس معـه في غرفتـه في المسلخ ، ونشرب الأركيلة ، فأقول له من تركت في المحل ، فيقول : ولدي ، وهو صغـير ، أو يقول : أوصيت جاري ، فكنت ألـومه ، وأخـوفه من النـاس ، وكان شـديد الإطمئنان بأنه لا يفقد شيئاً .

وحدثني في غير هذا المجلس بحديثين غريبين .

أولهما ، قلت له : لما لا تضع في حانوتك أحذية بلاستيك فإنها في المعامل رخيصة وربحها كذا وكذا ؟ فقـال : الحمدلله ، لـو وضعت في حانـوتي تراباً لاستحال ذهباً .

ثم حدثني ثانياً : إنه رأى في الطيف أنهم أخبروه بأن عنده أضيافاً ، فذهب مسرعاً فوجد أمير المؤمنين علي (ع) ، في جانب وأحمد بك الأسعد في مقابله ، وكان زعيماً مهاباً في ذلك الوقت ، قال : فلما وصلت ودخلت توجهت للسلام على أمير المؤمنين، واعتذرت له واستصغرت نفسي ، فدفع لي عشرة دنانير ، فقلت له : يا مولاي الواجب أن أقدم المال أنا ، فقال : اتجر بها ولا تربح إلا يسيراً فأخذتها ، ومنذ ذلك الوقت لا أربح إلا قليلاً يسيراً .

ثم قال : قبل أيام وردني سائق سيارة شامي ، وسألني عن سعر الشاي الباب الأول فقلت له : الشاي الجيد بسبع ليرات ونصف والباب الثاني دونه ، فقلت له : أيها تريد ؟ فاختار الجيد ، وأردت تعبئته فقال : أنا أعرف الشاي ، ثم اختار الباب الثاني ، فأخذ ثلاث كيلوات ودفع سعر الباب الأول ، قال : فقبضت المال ثم أخذت سعر الباب الثاني ، وأرجعت الزائد إليه ، فقال : ما هذا ؟ فقلت له : رأيتك رجلاً طيب ، فرغبت في تقدمة هذا المبلغ إليك ، فأخذه ومضى ثم عاد ومعه ثلة من زملائه ، واشتروا نحو عشرين كيلوا ، حسبما اتخطر ، وقالوا : نحن بعد الآن لن نشتري إلا منك .

ثانيها : قال : قبل تهجير أهل المسلخ ، احترق السوق واحترق حانوته وكان فيه بضاعة بنحو سبعين ألف ليرة لبنانية ، فأعاده ووضع فيه بضاعة بنحو تسعين ألفاً ، ولما وقع الإجتياح الإسرائيلي ، ترك المحل وعاد إلى البياض وفقد ولده حسناً وهو شاب مراهق وللآن لم يعد .

فأردت أن أصله بثلاثمائة ليرة ، من مال دخلني لإعانة المهجرين ، ثم علمت أنه لا يقبل ، فأرسلتها إليه بطريق خفي مع ابنة الشقيقة ، الحاجة نايفة الفقيه ، ثم بعد سنوات سألت ابن أخيه أمين عنه، فقال: أصبح باللوج ـ يعني حالته جيدة ـ وقد عمر بيتاً كلفه أكثر منماية وخمسين ألف ليرة لبنانية .

فذهبت لتفقده ، وذلك في العام الماضي سنة ١٩٨٣ م ، فوجدت البيت يكلف أكثر من ذلك فسألته عن حاله فحمد الله سبحانه ، ثم سألته عن عمله ، فقال : في النبعة ، ثم أنه ذهب مع ولده إلى السعودية ، فقلت له :

كيف تعيش في النبعة ؟ فقال : بخير ، وإن المسيحيين يهتمون بي وبمصالحي ، ثم حدثني بما جرى معه في السعودية قائلاً : أذكر لك قصة واحدة .

رأيت في الطيف قبل ذهابي للسعودية أن لي محلاً متواضعاً ، وفي مقابل ذلك المحل المتواضع مسكناً متواضعاً ، فقصدت الذي يتوسط في الحصول على الفيزا للسعودية فقال لي : تكلف أربعة آلاف ليرة ، فقلت له : أُريد فيزا لي ولولدي ، وأعطيك عن كل فيزا أربعة آلاف وخمسمائة ، بشرط التعجيل ، ففعل ، فسافرنا ودخلنا منطقة الرياض ، وبينما أنا أسير في بعض الشوارع ، نظرت حانوتاً فوجدته هو الذي رأيته في الطيف ، فقلت لمن معي : هذا حانوتنا ، فتعجبوا ، ثم ذهبت للمحل ، وقلت لمن هو فيه : هل يُباع ؟ فقال : نعم ولكنه ليس لي . . . وإنما أنا يماني أعمل فيه . . وتواعدنا فعدت إليه ، فقال لي : صاحب المحل يريد فيه سبعين ألف ريال ، فأعطيته مبلغاً ثم قلت له : ليس عندي إلا خمس وستين ألفاً أو خمس وخمسين لا أتذكر أنا ، فوافق ودفعت المبلغ ، واستلمت وكنت صحبت معي من لبنان مبلغ ماية ألف ليرة لبنانية ، فجرت لي قصتان .

الأولى : جاءني شخص واشترى بنحو ثمانماية ريال ، ثم مد يده إلى جيبه وقال : إنه لم يحمل معه نقوداً ، وطلب استبقاء ما اشتراه ، لإحضار المبلغ المذكور ، فتأملته ، فاطمأنت له نفسي فقلت له : خذ البضاعة وآتني بعد ذلك بالمبلغ ، فأخذها ، وتأخر أياماً ، فجعل ولدي يلومني ويقول لي : أنت طيب القلب وكبار السن ينخدعون وأمثال ذلك ، وبعد أكثر من أسبوع جاء واشترى بنحو ستماية ريال ، ودفع لي المبلغ السابق واللاحق ، ولكن ولدي بقي يلومني حتى لا أعود لمثل ذلك ، وكانت الحكومة تلزمنا قانونياً بأخذ موافقة على الإقامة في كل شهر ، فذهبت صباحاً إلى الدائرة ، وكان الناس صفاً مستطيلاً ، وبينما أنا واقفٌ جاءني شخص واستدعاني إلى الدائرة ، فتبين لي ، أن الشخص الذي أمهلته بالمبلغ هو مدير الدائرة ، فأعطاني موافقة لي ولولدي ، وقال لي : لا تحضر بعد اليوم ، وكان يعطيني موافقة بدون أي تعب .

الثانية : ذهب ولدي واشترى عشرين بطيخة ، زنة البطيخة الواحدة ما

بين التسعة عشر كيلو ، إلى العشرين كيلو ، فأنزلها وكنت مشغولاً بالبيع ، فأشار لي بكفه باسطاً أصابعه الخمسة ثم أفرد إصبعاً من يده الثانية ، ففهمت منه أن الكيلو الواحد بخمس ريالات ، فأحاط بي المشترون ، فقلت لهم : الكيلو بخمس ريالات ، فقالوا : غيرك يبيع بثلاثة ، فجعلت أبيع الكيلو بثلاثة مخافة أن يفسد البطيخ إذا تأخر ، ولما جاء ولدي عصراً ، وسألني عن ثمن البطيخ ، وكنت جعلته وحده ، فلما رآه قال : هذا كثير ، فقلت له : أنت قلت الكيلو بخمس وقد بعته بثلاثة بخسارة ريالين ، فقال : لا إنما قلت البطيخة الواحدة بخمس ريالات .

فربحنا بكل بطيخة أكثر من ثمنها بأزيد من عشر مرات ، فأخذت أفكر في كيفية الرزق ، وإن هذا رزق من الله سبحانه وليس للولد ولا لأبيه فيه مدخل ، رزقنا الله التوكل عليه .

* * *

وقفة تحتضن حفنة من التأملات

في هذه القصص وأمثالها تأملات وعبر ، فقد يقرأها أحدنا ، ثم يحفظها ويتحدث بها كقصة غريبة ، وقد يتحدث بها وهو يهدف من وراء ذلك إلى ما هو أغرب وأعجب .

فهذه القصص إذا وضعت على طاولة التشريح ، ودار حولها الجدال والنقاش ، استفاد منها قوم ، وسخر منها آخرون .

ففي اللحظة الأولى تحوم حولها أسراب الشكوك والظنون فبعض الناس ، يتهم من ادعاها بالبله والبساطة ، وبعضهم يتهمه بالكذب والإختلاق ، وبعضهم يراها ألطافاً آلهية ، تشير إلى أن الله سبحانه وتعالى لم يتخلى عن عباده ، وأنهم إذا لجأوا إليه ، واعتمدوا عليه ، فتح لهم باب الأمل ، وأراهم الفرج بعد الشدة .

أجل إن الحاج إبـراهيم سليمان ، رأى فيـما يراه النـائم ، إنه ذهب إلى مدينة الرياض ، وطاف فيها ، ورأى شارعاً من بعض شـوارعها ، ورأى فيـه حانوتاً هو له ، وهو يعمل فيه ، ورأى قريباً منه بيتاً يسكنه ويقيم فيه .

إنه حفظ صورة الشارع ،والحانوت، والمسكن المجاور له قبل أن يـدخل مدينة الرياض ، وقبل أن يهاجر إليها وقبل أن يحصل على سمة الاذن بدخولها .

ثم لما حصل على ذلك ، وذهب إلى مدينة الـرياض ، ورأى الشـارع ، والحانوت ، والمسكن ، قال لمن معه : هذا حانوتنا ، وهذا منزلنا .

ولا أشك أنهم سخروا منه ، ولكنه ذهب إلى الحانوت ، وسأل الشخص الذي يظنه أنه صاحبه قائلاً :

ـ هل تبيع هذا المحل ، وكان جازماً بأنه سيبيعه ، وبأنه هو المحل الذي رآه من قبل .

ثم كانت النتيجة أن المحل أصبح له وأن البيت المجاور له أصبح مسكناً له .

إن الحاج إبراهيم يوم رأى المنام كان في لبنان ، وكان نائماً على فـراشه يغط في النوم .

فمن هو الذي ذهب إلى مـدينة الـرياض ، ورأى مـا رأى ، وأخبر بمـا وقع .

أجل ، من هنا تنفتـح أمام الفكـر باب تشرفـه على عـالم جديـد وحياة جـديدة ، مـا كانت تخطر بالبال .

من هنا يمكننا أن نفهم أن كل شخص من الأشخاص ، الذين يعيشون معنا ليس واحداً ، وإنما هو إثنان أحدهما الروح والآخر البدن .

وإن البدن ، هو الذي ينام ويتوسد الفراش ، وإذا نام لا يحس بمن يدنو منه ، ولا يعرف من أمر نفسه شيئاً ، ولا يدرك أمراً من الأمور التي تحدث بين

أهله وجيرانه ، وأهل بلده ، فقد يموت شخص ويسافر آخر ، ويحضر ثالث ، وتقع معركة ، ثم لا يعرف شيئاً من ذلك إلا إذا أخبر به ، بعدما ينتبه .

وأما الروح فإنها ليست كذلك ، بل هي من المجردات ، التي تسرح وتمرح في العالم الذي يناسبها ، ويتلائم معها .

قال الله سبحانه : ﴿ **يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾ . . . . . .

وإذا قال الخالق القوي ذلك في الروح فما عسى أن يقول المخلوق الضعيف فيها ؟ .

أجل إننا لا نستطيع أن نقول في الروح شيئاً ، ولكن لا نستطيع الصمت أبداً لأن الفكر لا يسمح لنا بالوقوف عند هذا الحد .

نعم ، نحن في الوقت الذي نقر فيه بالجهل والعجز عن تحديد الروح ، لا بد لنا أن نقول : لا ريب أن للروح علاقة بالجسد ، ولا أشك في أنه لا يختلف في ذلك اثنان من العقلاء .

ولكننا في الوقت الذي نعتقد فيه بوجود هذه العلاقة ، نعترف بأننا عاجزون عن إدراكها بحدودها ، وبحقيقتها ، وبجميع شؤونها .

والذي يدركه جميع القراء على السواء ، هو أننا نجد الإنسان عندما يكون متمتعاً بالحياة ، يقول : بدني ، وجسدي ، وروحي ، ونفسي .

وهذه الكلمات ، التي تشترك جميعها ، في التعبير عن أحاسيسنا ، ظاهرة في أن الروح غير الجسد ، وأن النفس غير الجسم وذلك كله مما لا ريب فيه ، ولا شك يعتريه .

ثم ، إذا مات الإنسان يقولون خرجت روحه ، ولفظ أنفاسه الأخيرة ثم يشيرون إليه وهو ملقىً على فراش الموت ، فيقولون : هذه جنازة فلان وجسد المرحوم فلان ، ثم إذا دُفن يقولون : هذا قبر فلان ولحد فلان .

من هنا يتضح لنا ، أن النوم موت أصغر بالنسبة للموت الأعظم ، وأن الروح تتجرد بالنوم من الجسد تجرداً جزئياً ، وأنها تتجرد منه بالموت تجرداً كلياً ، وأنها بذلك ترتحل من عالمنا الذي نعيش فيه فعلاً والذي هو محدد بالزمان والمكان ، إلى عالم آخر مجرد عن الزمان والمكان .

وأنها من أجل إرتباطها بالبدن ، كان لا يمكنها الإتصال بالعوالم المجردة .

إذا نام أحدنا نومة هادئة هومت عيناه أولاً ، وطافت حوله صور مختلفة أو طاف فيها ، تلك الصور ليست متجانسة ولا متحدة ، ولا تتكرر .

ثم إذا استولى عليه النوم ، غاب عن الوعي وأصبح لا يشعر بما يحدث حال نومه ، ولا يعرف منه شيئاً ، وإن كان شأناً من شؤونه ، وأمراً من الأمور التي تصدر عنه ، أو تتعلق به ، وبقي كذلك حتى ينتبه .

ولكنه بعدما ينتبه من نومه العميق ، ويتذكر أنه كان نائماً تكون له ثلاث حالات .

فقد يكون متمتعاً بالراحة والنشاط ، ثم يستأنف حياته العملية ، بدون أن يتذكر شيئاً مما رآه منذ ابتداء نومه حتى ساعة انتباهه .

وقد ينتبه حاملاً في ذاكرته صوراً عن حياة عاشها وهو نائم ، كانت كلها تعباً وجهداً وصراعاً ، ثم يجد بدنه منهوكاً ، وبعض عضلاته متألمة وقد يجد أثر ألم الضربة التي عاناها إثر اصطدامه بشجرة ، أو وقوعه عن شاهق ، أو أثر خدش في وجهه أو يده ، أو في جارحة أخرى من جوارحه ، وقد يجد أثر نهشة ، ثم يسأل من كان قريباً منه ماذا رأيت مني حال نومي ؟ فيقول : رأيتك نائماً نوماً هادئاً ، والناس يفسرون هذه بتفاسير ، وهو بطبيعة تعايش المجتمعات ، وإنعكاس الصور المشتركة يكون واحداً منهم وأقل تلك التفاسير ، هو أن حشرة لدغته ، أو ذبابة سامة أو شرسة وقفت عليه وقرصته .

وقد ينتبه مرتاحاً مسروراً ، يشعر بأنه كان يعيش بين أترابه ولداته ، في جوٍ كله مرح ولهو ، يتناول الطعام الشهي ، ويحتسي الشراب الطيب ، ويتبادل

معهم الأحاديث المرحة ، ويستمع النكت ، والمضحكات وقد ينتبه وهو يحفظ شيئاً منها ، ويكون بعضها يعرفه من قبل ، وبعضها الآخر بكراً ، لا يعرف عنه شيئاً من قبل .

وقد ينام جائعاً ثم يتناول الطعام في الطيف ، ثم ينتبه وهو شبعان ، وقد ينام عطشاناً ، ثم يشرب الماء في الطيف ، ينتبه وهو مرتوي .

وقد ينتبه باكياً ويرى أثر الدموع على وسادته ، وقد ينتبه ضاحكاً ويبقى ضاحكاً حتى ساعة الإنتباه ، وقد يرى نفسه وهو نائم ، إنه يمارس بعض الأمور الجنسية ، مع حليلته ، ومع غيرها ، ثم ينتبه ويجد أثر ذلك في سرواله .

ومن الغريب أن ما يفعله أحياناً من هذه الأمور في حال النوم لا يمكن أن يصدر منه في حال اليقظة ، بل ولا يفكر فيه ، بل ولا يخطر في باله ولا بال غيره .

وقد حدثني كثير من الناس أنه رأى نفسه يجامع والدته ، أو بعض محارمه ، والبسطاء منهم يستعظمون ذلك ، ويخيل إليه أنه اقترف إثماً كبيراً ، وارتكب جرماً عظيماً ، ويسأل عما يطهره منه ، أو يكفر به عنه .

وقد سألنا مرة المرحوم العلاّمة الشيخ خليل ياسين ، وكنا جميعاً من أهل العلم وكنا لا نزال في النجف ، بأن من فعل هذا الفعل في الطيف فهل يكشف ذلك عن عدم وجود تلك العدالة عنده أو لا ؟ ، ثم احتدم الجدال ، فقلنا لهم أخيراً : إن عالم الطيف عالم لا يرتبط بعالم اليقظة ، ولذا لو رأى في الطيف نبياً أو وصياً واعلمه بحكم شرعي لا يجوز له العمل به .

ومن الناس من يرى نفسه وهو نائم ، أنه ينظم قصيدة أو مقطوعة شعرية أو ينشيء مقالاً أو خطاباً ، ثم ينتبه من النوم ، وهو يحفظ ذلك كله أو بعضه ، ومن الغريب أنه إذا دونه ثبت ، وإذا أهمل تدوينه لم يتذكر منه شيئاً أو يذكر يسيراً منه .

فلماذا ينساه ؟ ولماذا لا يتذكره ؟ مع أنه لا ينسى ما نظمه في حال اليقظة ، وإذا نسي ما نظمه في حال اليقظة أمكنه تذكره .

فلماذا يتذكر ما نظمه في حال اليقظة ولا يتذكر ما نظمه في حال النوم ؟

ومما جرى معي قبل بدء الأحداث في لبنان أنني نظمت قصيدة على حرف الخاء في حال النوم ، ورددتها وأعجبت بها مع أنه لا يخطر في بالي نظم قصيدة على هذا الحرف في اليقظة ، ثم انتبهت وأنا أحفظ مستهلها فقط ، وهو هذا :

من عظيم الأحداث في التاريخ مفجعات علا لهن صريخي

فدونته على جلد دفتر من مؤلفاتي الخطية ، وحاولت أن أتذكر غيره فلم أستطع ، مع أنني كنتُ في حال النوم كررت تلاوة ما نظمته طمعاً باستقرار حفظه وكنت واثقاً أنني لا أنساه .

هذا وقد يرى الإنسان نفسه وهو نائم ، أنه مشغول في حل مشكلة علمية ، ثم يحلها وهو نائم ، ثم إذا انتبه قد ينسى ذلك ، وقد يبقى متذكراً له ، ومما جرى لي أنا :

إنني كنت معنياً في دفع شبهة تقلقني تتعلق في مسألة علمية، ودام زمناً ذلك زمناً طويلاً ولم أهتدِ لدفعها .

واتفق أنني ، اهتديت إلى حلها في الطيف ، وعندما انتبهت بادرت لتدوينها، واتخطر أنها تتعلق بقاعدة من قواعد الفقه ، المذكورة في أواخره .

وأيضاً زارني حاكم الصلح في مدينة الشطرة في العراق ، وكنتُ يومئذٍ في قلعة سكر ، وذلك سنة ١٩٥٩ م ، وكان يُدعى أبو وجيه ، قال إنه كان يشترك مع أخيه في استعراض دروسهما أيام الإمتحان ، فاستعصت عليهما مسألة ، ولعلها في الرياضيات ، لم تمكنا من حلها ، ثم نام أبو وجيه ، فرأى نفسه في عالم الطيف ، مشغولاً في حلها ، ثم اهتدى إلى حلها ، ثم انتبه وهو يحفظ

الحل ، فدونها وذاكر أخاه فيها ، ومن الصدف أنها كانت إحدى مواد الإمتحان ، التي حصلا بسببها على درجات عالية .

وقد دونت هذا ، وكثيراً من أمثاله في الجزء الأول ، من هذا الكتاب ص (١٩١) وفي الجزء الثاني ص (١٧٩) ، ولست أشك أن كثيراً من هذه الأطياف وقع لكثيرٍ من القراء .

وههنا أسئلة كثيرة تطرح نفسها من هو الذي مارس هذه الأمور في عالم الطيف ، وكيف قارب زوجته وهو نائم ، مع أن زوجته قد تكون ماتت قبل ذلك بسنوات ، وقد تكون موجودة في المطبخ تدير شؤون بيتها .

وكيف يكون ذلك إذا كان هو في قطر وكانت هي في قطرٍ آخر ، وما معنى هذا الواقع الذي يعيشه الإنسان ولا يدرك أبعاده ولماذا لا نفكر نحن في فهم هذا العالم وحل هذا اللغز .

إنه ينام ويرى نفسه قارب زوجته ثم يستمتع بذلك ويجد أثر الجنابة في لباسه .

إنه ينام جائعاً ثم يرى في الطيف أنه أكل الطعام ثم ينتبه فيجد نفسه شبعاناً .

إنه ينام عطشاناً ثم يرى في الطيف أنه وجد الماء وشرب وارتوى ثم ينتبه فيجد نفسه ريـاناً .

إنه ينام وهو يشكو ملمة أحاطت به واحتار في الخروج منها فيرى أنه جاءه شخص وانقذه ، ثم يكون ذلك .

ومن الغريب في هذا الباب ، أن العالم كله يشترك في رؤية الأطياف ، وأغرب منه أن الأطياف كانت في مصر في عهد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الله (ع) ذات أهمية ، وكان الملوك وغيرهم يهتمون في معرفة ما تدل عليه ، وتشير إليه .

وقد عرض الله سبحانه ، في القرآن لوحة جميلة ، عن الأطياف في ذلك

العهد ، فذكر طيف يوسف ، وطيفي السجينين اللذين رافقاه في السجن ، وطيف الملك .

وقد تعرض لذلك بقوله سبحانه :

﴿ إذ قال يوسف لأبيه يا أبتِ إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين * قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً ﴾ [١٢ ـ ٦] .

وقال أيضاً : **﴿ ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه ، نبئنا بتأويله إني نراك من المحسنين ﴾** [١٢ ـ ٣٦]

وهذا يدل على أنّ تأويل الأطياف كان من صفات أهل التقوى والصلاح .

ثم حكى سبحانه ما قاله يوسف لهم بقوله :

﴿ يا صاحبي السجن ، أما أحدكما فيسقي ربه خمراً وأما الآخر فيُصلب فتأكل الطير من رأسه ، قضي الأمر الذي فيه تستفتيان ﴾ [س١٢ ـ ٤٠] .

ولعل معنى القضاء هو الإبرام والنفوذ .

ثم قال سبحانه : **﴿ وقال الملك : إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأُخر يابسات ، يا أيها الملأ افتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون * قالوا : أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين ، وقال الذي نجا منهما ، واذكر بعد أُمة ، أن أنبئكم بتأويله فأرسلونِ * يوسف أيها الصديق افتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأُخر يابسات ، لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون ﴾** [٣٦ ـ ٤٦] .

وأن رجوعه إلى الناس ، وحمل تأويل هذا الطيف إليهم ، يدل على أنه

انتشر بين الناس وأحدث ضجة ، وارتباكاً ، وأن ذلك امتد إلى الجماهير ، وهو يدل أيضاً على إهتمام أهل ذلك الزمان بالأطياف .

فقال تعالى : ﴿قال تزرعون سبع سنين دابأً فما حصدتم فذروه في سنبله ـ لأنه يأمن من السوس ـ إلا قليلاً مما تأكلون * ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد ، يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلاً مما تحصنون ، ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس ، وفيه يعصرون﴾[1] [س ١٢ ـ ٤٩] .

اشتملت هذه الآيات الكريمة ، على عرض لعدة أطياف ، في عدة ظروف ، ولكنها كانت مترابطة مترتبة ، بدأت بفتح أفق جديد في تاريخ آل يعقوب ، وكان أولها بشارة وهناء ، وآخرها هدأة وسعادة ، وكان كل ما بين هاتين السعادتين مصاعب ومتاعب ، وشقاء وعناء .

ولكن الأمل والنور كان يتخلل تلك الفترات ، وسرعان ما يختفي وينطفىء ، وكانت هذه الفترات في هذا التاريخ ، فترات تحوّل غير مترقب ولا منتظر، ومن أجل ذلك عاشت مع من عاصرها من الناس ، وبقيت تسير من جيل إلى جيل ، إلى أن احتضنها القرآن الكريم ، وبدأها الله سبحانه بقوله :

﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص ﴾ .

ولو كانت هذه الأحداث موضع شك عند العرب أو عند أهل التوراة والإنجيل . . . لبادروا إلى إنكارها واستنكارها ، ولأتخذوا منها سلماً إلى تأييد موقفهم المعادي للنبي وللقرآن الكريم ، لذلك كان سكوتهم شهادة واضحة بأنهم سمعوا ذلك عن أسلافهم وبأنه معروف عندهم .

أيها القارىء .

ماذا فهمت من مجموع هذه الآيات بالنسبة للأطياف ؟ وما هي انطباعاتك منها وعنها .

أطبق الكتاب ، وفكر فيها ، وإذا كانت صورتها قد غابت عنك ، فاقرأها مرة أخرى ، وتأمل فيها ودوّن ما خطر في بالك أثناء هذه الرحلة

القصيرة ، ثم عد إلى الكتاب الذي هو بين يديك مرة أخرى ، وأتمم رحلتك فيه .

أما أنا فأول ما أفهمه منها ، هو أنه كان للأطياف في ذلك العهد دور مهم ، بالنسبة للناس بجميع طبقاتها ، لا يقل عن دور المكتشفات والمخترعات في وقتنا الحاضر .

ألا ترى أن يوسف قص طيفه على أبيه ، ولا أشك أنه كان على طفولته وصباه ، يدرك أهمية الطيف ويدرك أنه له تأويل يعود للخير أو للشر ، ولذا استغرب طيفه ، واهتم فيه ، وقصه على أبيه .

ثم أظن أن والده بشره بمستقبله السعيد ، على ضوء هذه الرؤية الغريبة ، وأكاد أجزم بأنه لأجل هذا المستقبل المنتظر أمره بكتمان الرؤيا ، وأصبح يفضله على أخوته ويعتني به ، ولكن ذلك كله لم يقف حاجزاً في وجه ما قدره الله سبحانه ، فإن اهتمام أبيه فيه ، وشدة محافظته عليه ألفتت أنظار أخوته ، وبعثهم على التفكير في شأنه ، والتخلص منه ، ومن تقدمه عليهم .

وظاهر الآيات أن أباه أمره بكتمان نفس الطيف ، لقوله تعالى : ﴿ لا تقصص رؤياك على أخوتك ﴾ .

وهذا يدل على أنه كان لهم إلمام بتأويل الأطياف وإلا فما قيمة الكتمان .

وقد يكون أمره بكتمان تأويله الذي أوله له به ، ويكون الكلام مبنياً على حذف مضاف ، ويكون التقدير لا تقصص تأويل رؤياك على أخوتك ، وهذا النوع من الإيجاز والحذف مبذول في القرآن الكريم وغيره من كلام العرب ، لوضوحه ، وبه يتميز كلام الله عن كلام البشر ، ولكنه مع ذلك مخالف لظاهر قوله ، لا تقصص رؤياك لظهوره بالأمر في كتمان نفس الرؤيا .

ثم إن قوله تعالى :

﴿ لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون ﴾ ، وهذا يدل بوضوح على مكانة الأطياف وأهميتها في ذلك العهد .

ثم أن كآبة يعقوب وحزنه الطويل وبكاءه ، يدلنا على أنه كان يعلم ببقاء ولده حياً ويستشعر محنته ، ويتشوق إلى رؤيته ولقائه ، في اليوم المنتظر السعيد ، وإلا فإن العاقل لا يحزن على ولد فقده بعد أكثر من عقدين من السنين ، لأن هذا الزمن يستدعي الوثوق بالموت ويستدعي الصبر والسلوان .

ثم إن تأويل طيفي صاحبي السجن ، بما أولهما به يوسف بعيد عن الذهن كل البعد ، نعم تأويل أكل الطير من الخبز الذي من الطبق ، يأكل الطير من رأسه يصبح قريباً بعد التأويل ، أما قبل ذلك فإن ما أوله به لا يخطر ببال أحد .

وأغرب من ذلك كله ، تأويل البقرات السمان ، بالسنين الخصبة والهزال بالسنين المجدبة ، فإن ذلك بعيد عن أذهاننا كل البعد .

فلسفة الأطياف :

الإنسان يدرك هذه الموجودات بالحواس الخمس الظاهرية ، وهي الباصرة ، ووظيفتها تمييز الألوان ، والسامعة : ووظيفتها تمييز الأصوات ، والشامة : ووظيفتها تمييز الروائح ، والذائقة ووظيفتها تمييز الطعوم ، واللامسة : ووظيفتها تمييز الحار من البارد والخشن من الناعم وغيرها من الأنواع .

قالوا : وتنتقل صور هذه الأشياء إلى الداخل بواسطة الحس المشترك ، وإنما سُمي حساً مشتركاً ، لأنه يحمل صور المحسوسات بالحواس الظاهرية، وينقلها إلى الحواس الداخلية ، ثم تبقى مخزونة فيها ومحفوظة ، وبهذا اللحاظ سموا مركزها بالحافظة، وبقاؤها فيها نظير ثبوت الصور والأصوات في شريط التسجيل والفيديو .

وقالوا إن مركز الحس المشترك في مقدم الرأس ، ومركز المخيلة في مؤخرته .

وقالوا : إن وظيفة المخيلة خلق الصور وتصديرها بدون إنقطاع .

وقالوا : إن وظيفة المخيلة خلق الصور وتصديرها بدون انقطاع .

وقالوا : إن العقل الباطني ، يعمل في حالتي اليقظة والنوم ، وإنه قد يعمل بانتظام وقد يعمل بدون انتظام .

وقالوا : إن الإنسان إذا نام بقيت الصور التي كان يفكر فيها معه ، فيرى وهو نائم أنه مشغول فيما كان يفكر فيه ، في حال اليقظة .

فرعاة المواشي ، لا تفارقهم مهنتهم حتى في حال النوم ، فجميع أطيافهم تدور في فلك الماشية ، من رعي وسقي ، وذهاب وإياب ، في مرعى خصب تارة وجدب أخرى ، وفي مكان فيه ذئاب تارة ومكان آمن أخرى ، وقد يكافح الذئب ويقتله وقد يغلبه الذئب ويفترس بعض ماشيته .

ومثله الفلاح وصاحب البستان وصاحب الحانوت ، والمهندس وسائر أرباب العلوم ، كل يعمل في حقله ويعيش في الجو الذي كان يعيش فيه حال اليقظة .

وقالوا : كل طيف من هذا النوع لا تأويل له .

وقالوا : إن العقل الباطني ، قد يعمل أحياناً معكوساً ، فيرى النائم نفسه في عالم الطيف ، طفلاً صغيراً ، يلعب ويعبث أو في المدرسة .

وقالوا : إن العقل الباطني قد يفقد توازنه ، أو أنه مخلوق ناقص يفقد التوازن ، ومن أجل ذلك ، قد يحدث من الصور ما لا يخطر في البال في حال الإنتباه واليقظة ، ويسمون ذلك بعبث العقل الباطني .

فقد يرى الإنسان نفسه يطير في الفضاء مع أنه لا يقدر على الطيران ، وقد يرى نفسه يسبح في الماء ويقطع البحار مع أنه لا يقدر على ذلك ، وقد يرى نفسه يقتلع الصخور الضخمة ويرمي بها في الهواء ، وقد يرى نفسه يصارع السباع والنمور والأفاعي ، مع أنه قد يكون لم ير سبعاً ولا نمراً طيلة حياته ، إلى غير ذلك مما لا تحيط به الحدود .

قالوا ، وقالوا ، وسيقولون ، ويقولون ، ما عاش الفكر واستمر الإكتشاف .

وكل ما قالوه فيه شيء من الصواب ، وفيه أشياء لا تزال موضع شك وبحث وارتياب . فهي نظريات محضة ، لا تتجاوز عالم الإمكان ، ولا تستطيع التخطي إلى عالم اليقين والجزم والتصديق .

أيها القارىء إننا جميعاً ندرك هذه الأمور ، لا لأننا نفكر فيها ، ولا لأننا علماء باحثون ، بل لأنها من واقعنا ، الذي نعيش فيه ويحدث بعضنا بعضاً في شؤونه .

فهل لاحظت الطفل الصغير وهو نائم بعد ولادته بأيام أو أسابيع يبتسم تارة وهو غفلان ، ويعيش أخرى ؟ وهل فكرت في ذلك .

أجل إنه يحلم وهو نائم ويرى في نومه ما يسره تارة وما يحزنه أخرى ، وهو عندما ينتبه ، قد ينتبه متبسماً ، وقد ينتبه باكياً ، ولكنه لا يحسن الكلام ، وقد يكون لا يدرك شيئاً من ظروفه . وهل يدل هذا على أن الإنسان خُلق وخُلقت الأطياف معه ؟ .

ولكنه إذا ابتسم نائماً ، أو انتبه متبسماً ، قالت الأمهات والحواضن أنه يضحك للملائكة ، ولعلهن توارثن ذلك عمن هن أسن منهن ، وأما إذا بكى نائماً ، أو إنتبه باكياً فربما فتشن ثيابه وبدنه بحثاً عن موضع الألم ، أو عن أسبابه .

وبعد هذه السيرة الطويلة ، فما هو الشيء الذي سنقوله أو ما هو الشيء الذي سنعتقد به ونؤمن فيه .

أماأنا فأقول إن الله سبحانه ، خلق هذه الكائنات بأسرها ما ظهر منها وما بطن، ولكنه خلق الإنسان على حساب نفسه وجعله معجزته الكبرى ، وخلق ما عدا الإنسان على حساب الإنسان ولذا سخر له كل ما في الوجود ، من أنواع الموجود، الماء والتراب والحيوانات، وسائر الأحياء حتى الجراثيم، الضار منها

والنافع ، ويتحكم في الماء والهواء والنار والبر والبحر والأرض والفضاء ، لأن الله سبحانه ميزه عنها بالفكر والعقل والقدرة والتدبير والنظر في المستقبل فكان ذلك دليلاً على أن من خلق هذا الإنسان أعظم منه فكراً وقدرة وتدبيراً .

إن الإنسان الذي اخترع السيارة والطائرة ، ومركبة الفضاء واكتشف ما اكتشف من خفايا الكون ، وغوامض الحياة ، هو في منتهى القدرة ، بالنسبة لجميع الموجودات ، وبذلك وأشباهه تميز عليها وتحكم فيها ، ولكنه في الوقت نفسه ، هو ذرة صغيرة ، بالنسبة لمن كوّنه وابدعه وزوده بكل هذه القدرات .

ولعل هذا هو ما ورد في بعض الكتب السماوية ، من أن الله سبحانه خلق آدم على صورته لأن الله سبحانه لا صورة له ، وحينئذٍ يمكن أن يكون المعنى المقصود أنه في قدرته صورة مصغرة عن عظيم قدرة خالقه ، ولكن البسطاء من أهل الأديان ، الذين اهتموا في ترجمة الكتب السماوية ، إلى غير لغتها الأصيلة ، كانوا يترجمون الألفاظ المفردة بما يرادفها ، ومن أجل ذلك لم تكن معبرة عن المعنى المقصود منها ، الذي كانت تحمله في اللغة العبرانية والسريانية .

ونظر ذلك ما ترجم به المستشرقون قوله سبحانه في القرآن الكريم : ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾ ، بأن المرأة سروال للرجل والرجل سروال لها ، ولكن إذا ترجمناه بأن الزواج باب من أبواب الستر والشرف ، والكمال للرجل والمرأة ، أو بما يشبه ذلك ، تغير كل شيء .

وهكذا خلق الله سبحانه الإنسان على حساب نفسه ، وزوده بضروب القدرة ، فكان إشعاعة من نور الخالق العظيم ، وقطرة من فيوضاته التي لا تتناهى ، ثم خلق الأرض وما فيها وما عليها ، وما يحيط بها على حساب الإنسان .

﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم﴾ [البقرة - ٢٩] .

ثم جعل الإنسان خليفته في الأرض ، ليمثله في ذرة من ذرات قدرته .

﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفة ﴾ [البقرة - ٣٠] .

فكان وجود الإنسان عند الإنسان دليلاً على وجود الخالق ، ودليلاً على قدرته على إيجاد الشيء من لا شيء ، ودليلاً آخر على قدرته على إزالته وإعادته ، لأن من يقدر على صنع السيارة كان أقدر منه على تحطيمها ، وعلى إعادة مثلها مرة أخرى .

ثم إنه قبل أن ينفخ فيه الروح عرّف ملائكته به ، وأمرهم بالسجود له ، والسجود لا يليق بغيره ، إلا إذا أمر هو به ، فكان ذلك دليلاً على عظمة الإنسان وتفوقه وتميزه عن كل ما خلقه الله سبحانه من سائر الموجودات فقال عز شأنه :

﴿ وإذ قال ربك للملائكة، إني خالق بشراً من طين فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين.﴾ [ص - ٧٢] .

وقال أيضاً :

﴿ وقال ربك للملائكة إني خالقٌ بشراً من صلصالٍ من حمإٍ مسنون ، فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ [الحجر - ٧٢] .

فلم يكتفِ سبحانه بأمرهم بالسجود له بل أمرهم بالوقوع ساجدين الدال على المبادرة والسرعة .

وفي الوقت الذي كرم الله به الإنسان هذا التكريم ، الواضح طوقه بضروب الضعة ، وأصناف الهوان ، ليعرفه بصغره وحقارته في مقابل عظمة الخالق ، فكان .

فكان أول نطفة مذرة ، وآخره جيفة قذرة ، وجعله فيما بينهما يحمل العذرة، ثم زاد في هوانه فجعله مخلوقاً تنتنه العرقة وتؤلمه البقة ، وتقتله الشرقة ، كما أوضح ذلك مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الفقرات الموجزة ، ولعله إنما فعل ذلك به ليحط من كبريائه وتجبره ، ويحد من طيغانه

وغطرسته ، ومع ذلك غلبت صفة الشر على طبيعة الخير . في المتمتعين بالحكم والثروة والنفوذ وقوّة البدن .

* * *

الحاجة زهرة السيد

عصر هذا النهار الخميس ، ١٥ محرم سنة ألف وأربعماية وعشرة هجرية الموافق ١٧ آب سنة ١٩٨٩ م - زارنا الحاج حسين فواز من بلدة تبنين المعروف بأبو شوقي ابن المرحوم الحاج سعيد فواز وصهره على ابنته طالب فواز ، فحدثنا أبو شوقي وصهره المذكور بحديث غريب ، قال : إن أم شوقي زوجة الحاج حسين ، وأم زوجةِ طالب ، وأخو أبو شوقي الحاج محمود فواز وجمعٌ من جيرانهم حدثوهم بما يلي .

كان منزلهم مجاوراً لمنزل الحاجة زهرة السيد ، وكانت قابلة تساعد النساء على الولادة ، قال : إن الحاجة زهرة حدثت جيرانها بأنها رأت في الطيف ، أنها تعيش خمسة أشهر ، وإن الذي أخبرها بذلك أمير المؤمنين (ع) ، وكانت في صحة وعافية، وكان عمر أم شوقي يومئذٍ نحو عشر سنوات ، وعمر الحاج محمود نحو خمسة عشر سنة ، وكانا يمزحان معها ويقولون : كم بقي يوم من عمرك ، ومثلهم غيرهم من الفتيان والفتيات ، وكانت تخط خطاً على الحائط لأجل إحصاء الخمسة أشهر ، ولما مضى ماية وسبعة وأربعون يوماً من عمرها أخبرت الجيران ، بأنه بقي من عمرها ثلاثة أيام ، فجعلت أم شوقي والحاج محمود يكثرون سؤالها عما بقي من عمرها في هذه الثلاثة ، لأجل الضحك واللعب ، وفي اليوم الثالث من هذه الثلاثة ، جاءتها ابنة جيرانهم تخبرها بأن الطلق أخذ أمها ، وإنها مستعجلة ، فاستمهلتها لبينما تؤدي فريضة الصلاة ، فصلّت وسجدت سجدة الشكر فجعلت البنت تستحثها ، لتعين والدتها وهي ساجدة لا تجيب وتبين أنها فارقت الحياة في تلك اللحظة .

قال أبو شوقي وصهره طالب : هذا حادث يعرفه كل جيران الحاجة زهرة

السيد ، ويقول إنها قضت أيامها الثلاثة الأخيرة في زيارة جيرانها وتوديعهم يوماً لهؤلاء ويوماً لهؤلاء ، وإنها لم تضف الخط الذي يعود لليوم الأخير إلى الخطوط السابقة ، فكانت الخطوط التي وُجدت على الحائط ، مائة وتسعة وأربعون خطاً .

وحدثنا طالب فواز أيضاً عن والدته ، قالت : إنه مرض يوم كان عمره ثمانية أشهر ، وذلك في سنة ألف وتسعمائة وثلاثة وأربعون تقريباً وكانت الحرب قائمة ، وقالت : كان جسده فيه بثور تحت الجلد ، ولم ينفع معه دواء ، وكانت بيوتهم متجاورة تفتح كلها على ساحة واحدة يسمونها داراً قالت : جلست في باب البيت ، ووضعته على ركبتيها ، وهو يبكي وهي حائرة في أمره فاحسست بأن شخصاً أخرج رأسه ووجهه من نافذة في جدار الدار ، فذعرت منه وانتبهت ، ثم نزل إلى الدار ، واقترب مني فقمت لأهرب منه فاستوقفها وطلب منها الطفل ، فاستغاثت به وامتنعت عن تسليمه وقالت له : ليس عندي غيره ، فقال لها لا تخافي اعطيني أياه وأنا أرجعه إليك ، فناولته إياه ، فمسح على وجهه وصدره ، ثم مد يده إليها وقال لها : هذه سبع بكرات خيطان احفظيها له ، ثم ناولها خمس علب من النيل ، والنيل اسم لصباغ أزرق ، يُستعمل في تنظيف الثياب البيضاء ثم أعطاها حبوباً ، ولما فعل ذلك قالت له : من أنت ؟ قال : أنا أمير المؤمنين .

قال : ولما انتبهت وجدت طفلها قد برىء من كل ما هو فيه ، قالت : ثم سألني عن تفسير البكرات فسكت ولم أجبه ، ثم قال إن أمه سألت بعض الشيوخ في برج البراجنة ، فأخبرها بأنه يعيش سبعين سنة فقلت له : وأنا أظن ذلك ، ثم قال : ما معنى النيل ؟ فقلت : لعله يدل على الطهر والنقاء في شطر من أيام حياتك ، ووالدته لا تزال حية تُرزق وتتمتع بالصحة والعقل إلى هذه الساعة كما يظهر من حديثه عنها .

* * *

الأطياف الصادقة

حدثنا بنو أخوالنا مكرراً ، ولعل خالنا نفسه حدثنا به ، إن خالنا المقدس الشيخ حسين سليمان رأى فيما يراه النائم أن ابنة اخته فلانة جاءته وأخبرته أن أخاه المتوفي المرحوم الشيخ طالب ، موجود على البيدر ، فقام مسرعاً وذهب إليه وسلم عليه ، وكان ذلك كله في عالم الطيف ، وألح في استدعائه للبيت وهو يعتذر ومعه الحاج فلان وهو من بلدة ميس .

وأخيراً قال له الشيخ طالب : إننا منذ مدة نستأذن في زيارة الإمام الرضا والآن أذن لنا ولا نستطيع التأخير .

ثم قال له : إن الفرس التي عندكم ولدت بغلاً فكيف تتركونها في « البايكة » اسم للأسطبل الذي تربط به الدواب وحدها ، ثم لامه على ذلك وودعه ، وانصرف ، وعاد إلى منزله ، كل ذلك في عالم الطيف ، وبعد ذلك انتبه من النوم ليلاً ، وهو يرى كأنه في اليقظة ، فقال : أريد أن اختبر هذا الطيف لأرى أنه صادق أم كاذب ، وكانت الفرس حملت وهو لا يدري بحملها من حصان أو حمار ، فاشعل « النواصة » ـ سراج صغير من تنك توضع به فتيلة ويُشغل وقت الحاجة ـ قال الخال : والفرس لم يكن عليها أثر الولادة ، لأن العادة إذا قارب وقت ولادتها يبيتون ومعها خادماً أو غيره لئلا تقتل ولدها ، قال : اشعلت النواصة ونزلت من أعلى الدار إلى الموضع الذي فيه الفرس فوجدتها ولدت بغلة .

قلت : أليس في هذا دليل على أن أرواح المؤمنين لها حياة خاصة ، وإن لها نوعاً من الإتصال بنا .

* * *

كان المرحوم الشيخ عباس الخيبراوي له مكانة وشأن في الناصرية وكان قريبه الشيخ حسن الخيبراوي من زملائنا في الدرس ، وكان له مرتبة من الفضل

ثم أقام وكيلاً في جانب من جوانب التاصرية ، والناصرية مدينة كبيرة واسعة ثم حاول القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأعانه على ذلك مكانة الشيخ عباس الخيبراوي الزمنية ، فهاجم الخمارات ، والمقاهي التي يكثر فيها الفساد والغناء ولعب القمار ، فاحدث ذلك ضجة واتصل الأمر ببغداد ثم استنصر برجال الدين في المحيط .

فرأيت من واجبي الديني إعانته ومساندته ، فطلبت من أهالي القلعة عدة برقيات للمسؤولين في بغداد ، وأقدر أنها كانت نحو ستة وعشرين برقية .

ثم ألقى نور السعيد خطاباً في الإذاعة وهدد الأجانب الذين يتدخلون في السياسة برميهم وراء الحدود ، وكان يعني بذلك العلماء المراجع من الإيرانيين وكنت بحكم كوني وكيلاً عن المرحوم آية الله الحكيم لست منهم ، ولكن المخيلة وضعتني أمام أمر واقع .

فإنني فكرت فيما فعلت ، وفكرت في أنني لبناني وفي أن الحكومة العراقية لا تسيء إلى الحكيم مباشرة ، ولكنها قد تسيء إلى أعوانه ، ولا سيما إذا كانوا غير العراقيين ، لأن العراقيين لهم عشائر وعلاقات وشطر من أقاربهم في سلك الدولة ، ومن أجل ذلك يتحامونهم ولا يتحامون الأجانب .

وبينما أنا جالسٌ في ديوان الحاج جعفر عبد العباس ، أفكر في هذا الأمر إذ دخل عليَّ الحاج فاضل عبد العباس ، أخو الحاج جعفر ، وهو من تجار البلد المرموقين ، ويمتاز بالعقل والتقوى وإتقان أموره الدينية من جميع النواحي .

دخل عليَّ وقال من كان عندك الآن ؟ قلت له : رجل كلفني باستخارة ، فقال : أعرفته ؟ قلت : لا ، قال :هذا خريويت الحمزة ، الذي يقول لو أمر المتصرف بإخراج الشيخ محمد تقي من المسجد لقتلت المتصرف قبل خروجه ، ولا يخرج إلا إذا قتلت .

فتعجبت من هذه الصدفة ، ونشطت أعصابي ، وقلت لعل الله سبحانه قد أعد للدفاع عني أربعين خريوتاً وأنا لا أعرفهم .

ثم استدعيت خريـويت وكان صاحب مقهى قرب شط النهر ،وهو قريب من براني الحاج جعفر ، ولما دخل عليَّ دخل مستحياً وأنا لا أعرفه فسألتـه من أنت ؟ فقال : خريـويت، جنابك طلبتني ، فرحبت به ، ثم أمرت له بالشاي ، فقال : أنا صاحب قهوة والشاي هو شغلنا .

ثم استضفته ، قلت له : بلغني عنك أنك قلت كيت وكيت ، فقـال : هسَّ وبعد ، يعني وأقـولها في هذه الساعة وأنا بـاقٍ عليها ، فـأكبرتـه وأحببته وأحببت الإتصال به .

ثم كررت اللقاء به وتحدثت معه ، فسألته عن أمور دينية ، فتبين لي أنه مسوف ، فقربته من الطاعات بما قدرني الله عليه ، وأعلن التوبة والتزم بقضاء الصوم والصلاة وقيام الليل .

ثم كررت اللقاء به وتحدثت معه راردت أن أعرف شجاعته ، فسألته عما صنعه ، فحدثني بحديثين أو ثلاثة أهمها أنه في ـ الإحياء ـ يعني الليلة التي يحييها أهل البلد ولعلها ليلة عاشوراء تكثر اللصوص فكنت أصحب مسدسي معي ، وأراقب الـوضع من تلقـاء نفسي ، فلاحـظت فلانـاً ، وهـو شخص معـروف باللصوصية والفتك وراقبته ، ولما أحس بي ، جلس وكأنه يتبول ، قال : فناديته ووضعت المسدس فوق رأسه ، وقلت له : إذا رأيتك في هذا المكان فلا تلومن إلا نفسك .

ومثل هذا الشخص لا يقدم على إهاجته ، إلا من هو أكثر منه كفاءة ولنا مع خـــريـويت حديث آخر ، في مقام آخر إن شاء الله .

***

قصة تتعلق بالمرحوم الوالد

قبل أيام من هذا التاريخ ، أعني نهار الأحد ـ١٨/٦/١٩٨٨م ـ المـوافق ٤ ذ . ق ١٤٠٨ هـ .

قبل أيام ذهبت لتعزية أبي نسيب محمد أحمد جواد من بلدتنا في منزله وهو مريض ، فوجدت عنده الفاضل الشاعر ,الشيخ حسين زين الدين ، عالم قرية الجميجمة ، وأصله من بلد جبشيت فقال :

ذكرتني بوالدك المقدس، فقد كنت اقترنت بابنة أبي رامز حمود من بلدة شوكين ، وهو أكبر أخوته الشيخ بشير والحاج محمود والحاج أحمد والحاج علي الشوكيني ، وكان قد استعدى عليّ ، الشيخ والدكم ، وكنت آنذاك أدرس عند الحوماني مبادىء النحو والصرف ، فلما دخلت وقفت وأنا وجلٌ منه ، فأمرني أن أجلس ، فقلت له : إجلس حيث تأمرني ، فوسع لي وسألني ، فلما سمع كلامي وجه اللوم لأبي رامز وأمره بمعاملتي معاملة حسنة ، فارتحت نفسياً وامتلأت حباً له

فكنت أعاود منزله وذات يوم كان يتناول الشاي عند مصباح ضرغام وجيه الغبيري وهي من ضواحي بيروت فارتاح ثم قال هذا المجلس ينقصه العلامة السيد عبد الحسين نور الدين ، وبينما نحن كذلك طرقت الباب فقال لي : افتح الباب للسيد عبد الحسين ، ففتحته وإذا به هو وكان السيد يقيم في الجنوب في النبطية الفوقا .

ثم حدثني بحديث سمعته مكرراً من صهرنا المرحوم العلامة الشيخ رضا فرحات ، قال : صنعنا طعاماً على نهر الزهراني للشيخ وللسيد عبد الحسين وهذه عادة كانت متبعة عند المرحوم الحاج محمود فرحات وولده الشيخ رضا المذكور وحفيده ابن أختنا الشيخ محمود إلى وقتنا هذا .

قال : فأتي بدابة وفرس ليمتطيها الشيخ والسيد ، فاختار السيد الفرس وأصر على ركوب الفرس ، مع أن الشيخ لم يركب غير فرس في حياته ، فقال الشيخ : ادعو الله عليك ، فأصر وركب وسارا ، فقال الشيخ : يا رب وقع السيد عن الفرس بدون إيذاء ، فوقع عنها ثم أصر وفعل ذلك به مرتين أو ثلاثة ثم دفع الفرس للشيخ .

ولعل هذه القصة سمعها الشيخ حسين منهما بمناسبة قصة دعائه بمجيئه

وقوله : افتح الباب له ، « وليس ذلك على من أطاع الله بكثير » .

* * *

الحكم والأمثال

من الأمثال الشائعة ، المستعملة في مقام التخويف والحث على الإحتياط قولهم :

الحيطان لها آذان ، وقولهم : ما في بصقة تحت حجر تختفي . وقول العرب : يكاد المريب أن يقول خذوني .

ويقولون في مقابل ذلك : الحرة حرة وإن مشت بين كرة ، « الكرة في لغتنا الدارجة اسم للمائة ألف » ، ويقولون لمن يتحرك كثيراً بدون فائدة : مثل أم العروس ـ يعني مشغولة وليس لديها شغل لأن العمل في تلك الساعة بيد غيرها ، ويقولون لمن لا تبدو على وجهه علامة قضاء الحاجة · لو بدها تشتي غيمت » .

ومن الأمثال العاملية الغريبة : لولا الغيري ما حبلت ميري ، والظاهر أن ميري اسم امرأة . كانت لا تحمل وأن زوجها تزوج عليها أخرى فحملت ، فقالوا : لولا الغيري ما حبلت ميري . ومن أغرب ما شاهدناه ، مما يليق بهذا الباب ، إنه في سنة ألف وثلاثمائة وستين هجرية تقريباً ، عندما كنت في النجف الأشرف ، وكنت أُقيم في محلة العمارة ، في بيت رحيم ـ اسم عائلة ـ اشترى بعض آل شعبان النجفيين الدار الملاصقة لدار بيت رحيم ، العائدة للشيخ صالح الجعفري ، وأخيه الشيخ محمد علي الجعفري ، والذي اشتراه هو الحاج خضير شعبان ، أو والده الحاج فلان ، وكان الحاج خضير واخته المتزوجة بالمرحوم مسلم قمر وحيدين لأبويهما ، وكان الحاج عبد علي ابن الحاج صغير وحيداً لأبويه ، وكان متزوجاً وعنده ثلاث أولاد ، وطالما وقع الخلاف بين الحاج خضير ، وبعض من هم معه في البيت ، وتدخلنا في الصلح ، وكانت لنا علاقة

مع الحاج حضير بالخصوص وهو كهل كامل الجسم فيه شهامة ، وكان يتجر بالعطور ، ويدخلها النجف بدون جمرك في تابوت شبه جنازة ثم يدعو أرحامه لإستقبالها ، ثم يدخلونها منزلهم ، كما يفعل بالجنائز .

في هذا الوقت تزوج الحاج خضير ، بفتاة كردية ، وأحضرها معه إلى النجف ، فحملت زوجته الجديدة ولما حملت حملت زوجته القديمة أم عبد علي وولدت إحداهما إنثى والأخرى مولوداً ذكراً ، وبعد ذلك جرى خلاف بين الحاج خضير وبين والده فتزوج والده وهو شيخ كبير ، فولد له ولد فطمع الحاج خضير بالبيت ، وجرى خلاف بينه وبين أبيه ، فاجتمع آل شعبان عند والد الحاج خضير في السرداب ، وقيل : إنهم ضربوا الحاج خضير ضرباً مبرحاً ، وطردوه من بيت والده ، وكنتُ أراه وعليه آثار الذل ولعل ذلك كله بسبب التوالد الجديد .

وهذا من أغرب ما رأيته وشاهدته بنفسي ، وسمعت ما يشبهه ، ولكنني لست على إحاطة بما سمعته لأرويه .

* * *

العقل والصبر

في ليلة الإثنين ليلة ١٩٨٦/٩/٢٢م ـ الموافق محرم ١٤٠٧ هـ ـ كان عندنا في عنقون في منزل ولدنا الشيخ محمد محسن الفقيه ، الحجة السيد علي مكي ، وكان جمعٌ من المؤمنين ، فتحدثوا بما لا فائدة فيه .

فقلت لهم : ينبغي أن تكون الأندية مشتملة على أحاديث فيها حكمة فليتحدث كل منكم بقصة فيها فائدة إذ كان يستحضر قصة من هذا النوع .

فحدث الحاج علي رضا ـ وهو من أهالي عنقون المحترمين ـ قال : إن بعض الأمراء كان عنده سائق سيارة ، وكان يأتمنه على بناته وعياله ، فاتفق مرة أن ابنته كانت في حاجة للخروج ولم تستطع أمها أن تذهب معها ، ولا غيرها من أهلها ، فذهبت مع السائق المذكور فخدعها عن نفسها فعظم عليها ذلك ،

وأسرت بأمرها إلى أمها ، وخافت أمها أن يقتلها أبوها أو يقتل أحدهما وفكرت في المخرج .

وفي اليوم الثاني قدمت القهوة صباحاً لزوجها ، وجعلت تحدثه بخبر ادعت إنها سمعته ومحتواه نفس القصة ، فقال لها زوجها وقد تميز من الغيظ : وماذا جرى بعد ذلك .

فقالت الزوجة : أخبرت البنت أمها بما جرى وأخبرت الأم أباها به وعظم عليه ذلك ، ثم فكر في ستر القصة ، فأمر السائق بالتغيب عنه إلى بلد آخر ، ثم اشترى معملاً ضخماً وبناية للسكن متميزة وسجلها باسمه ، وأرسل إليه وقال : هذه الأملاك كلها لك ، واخطب ابنتي فلانة مني ، التي ارتكبت منها ما ارتكبت بصفتك أمير غريب وصاحب ثراء ، ففعل وزفها إليه إلى خارج البلاد وبعد مدة ، عاد معها وكان قد ولد له منها ولد ، فاستقبله الأمير عنده ، وستر ما جرى ولم يرتكب دماً محرضاً .

فقال لها الزوج : ومن هو هذا ؟ .

فقالت : إن هذا الأمر وقع عندك ، وإن شهرته تقلل من هيبتك وإن قتلت أحدهما ، وهو طعنه في شرفنا إلى الأبد فأطرق ، ثم فعل ذلك كله .

وبهذه المناسبة ، حدثنا الحجة السيد علي مكي بقصة واقعية قال : حدث الحجة السيد سعيد الحكيم ، والد العلامة السيد محمد حسين والسيد محمد تقي الحكيم ، وجد العلامة السيد صالح وقال :

كان التاجر شاه بندر من أعاظم تجار وقته ، وكان عنده عشرة بنين ذكور ، وكلهم ذو قوة وشهرة وكان عنده بنت واحدة لا غير .

وكان في منطقته تاجر آخر دونه في العظمة والمال ، وكان شديد الحقد والحسد له ، وكان مهتماً في الإيقاع به .

فأرسل عجوزاً إلى بيت شاه بندر وجعلت تتردد عليهم ، وجعلوا البنت في رعايتها .

وفي يوم من الأيام أحتاجت البنت إلى الذهاب إلى الحمام ، ولم تجد من يصحبها من الخدام ، فأمرت والدة البنت العجوز أن تحمل لها ثيابها وتصحبها للحمام .

ولما صحبتها أدخلتها إلى منزل ذلك التاجر بدعوى أنه الحمام ، فاغتصبها ولده ، وكانت الغاية فضيحة شاه بندر وإذلاله .

ولما عادت البنت حكت قصتها لوالدتها ، وهربت العجوز ، فعظم ذلك على أمها ، ويظهر أن شاه بندر كان من أهل العقل والصلاح ، فانفردت به زوجته ، وأخبرته بمكر العجوز وبأنها خانتهم ، وكان ممن يشرب النارجيلة ، فأمر بها ، فقُدمت له ، فأمر بالثانية وهكذا بقي ساهراً حتى الصباح .

وفي الليلة الثانية استدعى بنيه العشرة وجمعهم ، وجعل يؤنبهم قائلاً : إنكم لا تطيعون أمري ، وتعصونني ، فاستعظموا ذلك وكانوا من أبر الناس به وأطوعهم له ، وكانوا أصحاب شأن ومكانة ، وقالوا : لو أمرتنا بقتل أحد لفعلنا وأصروا على إعلان الطاعة .

فقص عليهم القصة ، فاستعظموا ذلك واعلنوا استعدادهم للبطش في ذلك التاجر وولده .

فعلم أبوهم صدق قولهم ، وقال : إسألوني ماذا سأفعل ، فسألوه ، فقال : أُريد أن أزوجها من ابنه ، فعظم عليهم ذلك ، وقالوا : كيف نزوجها منه مع خبثه ومكره وخيانته .

فقال لهم : ألم أقل لكم إنكم غير مطيعين لي فلما قال ذلك أطرقوا ، ثم قالوا : افعل ما تريد ، فإنا لا نخالف أمرك .

ولكن ذلك التاجر كان لئيماً فاعتذر ، وقال : إن إبنه لا يرضى إلا إذا بذلت له أموالاً كثيرة . . . فاستجاب شاه بندر ، وأعلن الأفراح . وشاع الخبر بين تلك المدينة وكانوا كلهم محتاجين للتعامل مع هذين التاجرين ، ويتقونهما ، وظنوا أنهم بعد ذلك سيصبحون احراراً في التعامل .

ثم جرى الزفاف والعقد .

ومن الصدف أنه بعد شهور توفي ذلك التاجر وانتقلت أمواله لولده الوحيد الذي أصبح صهرهم ، ثم حملت البنت وولدت ولداً ذكراً ، ثم بعد مدة يسيرة مات والد الطفل .

وعادت البنت إلى منزل أهلها مع ولدها ومع جميع ما تركه ذلك التاجر ، وبالطبع إن شاه بندر قال لبنيه بعد ذلك : أرأيتم آثار الصبر ، وآثار الورع عن المحارم وآثار الإلتجاء إلى الله سبحانه .

أرأيتم سوء النوايا ، وخيانة أعراض الناس ، والإهتمام بفضيحتهم كيف انتهت بهؤلاء المكرة .

* * *

الروعة في الأدب الشعبي والفطري

الأدب الشعبي والفطري

للمساجلات في الأدب الشعبي ، سوق في بلادنا منذ القدم ولا يزال كما كان في العصر الإسلامي الذهبي ، وفيه من الروائع ما لا يخطر في بال المفكرين ، ولا يعرف ذلك إلا من يتذوق لغة بلادنا فقد كان الراجز يركب بعيره في المربض في البصرة ، ويركب مساجله بعيراً وكان يرتجز أحدهما ويجيبه الآخر .

ومما أحفظه أنهما اجتمعا مرة ، وما زالا ينشدان حتى اختلفت أعناق راحلتيهما ، وكان الراجز يركب بعيراً والآخر يركب ناقة قال :

إني وكل شاعر من البشر   شيطانه أنثى وشيطاني ذكر

فعلق الناس على هذا البيت ، وانهزم راكب الأنثى مغلوباً ، ونظيره من الأدب الشعبي ، ما حدثني به معروف زيعور وجيه بلدة عنقون ، وذلك عندما اجتمع فلان وفلان اللبنانيان للمقاولة ، فقال أحدهما :

مهما علا الصفصاف ما يحمل جنى   ولو عاش طول العمر بضفاف الغدير
تاصير مثلك صعب أتاخر أنا   وتتصير مثلي بعدك مطول كتير

فاستحسن الناس هذا وغلب الآخر .

والمقصود تشبيه خصمه بالصفصاف ، وإنه مهما اخصب وعظم لا يحمل ثمراً فيه حلاوة وإن عاش على ضفاف الغدير يشرب الماء العذب ، بخلاف هذا الشاعر المنشد .

ثم قال له : حتى أكون مثلك ينبغي أن أرجع إلى الماضي وأيام الجهل والضعف ، ومن الصعب أن مثلي ينحط بعد علوه ، وأما أنت فإنك تحتاج إلى زمن طويل كي تصبح مثلي في الشعر والكمال .

ونظيره عندما تساجل الشاعر زين شعيب الشيعي ، مع مساجله الشاعر المسيحي في الدامور في حشدٍ عظيم ، والعادة تقرير مثل ذلك في وقتٍ معين وتوجه الدعوة للجماهير ، وكان الموضوع ، المفاضلة بين المرأة والرجل ، فاختار أحدهما الرجل وشرع في ذكر محاسنه واختار شعيب المرأة ولم تتضح غلبة أحدهما إلى أن قال شعيب :

العذرا مرا جابت مسيح بلا رجل . هت لي رجل خلف مسيح بلا مرا

والمعنى أن مريم بنت عمران استطاعت أن تلد المسيح بدون زواج من رجل ، وأنا أتحداك أن تأتيني برجلٍ يستطيع أن يلد مثل المسيح بدون امرأة . ومن الصدف أنني كنتُ أقلب موجات الراديو ، فسمعت أحد شعراء الزجل يساجل آخر فعلق في ذهني هذا البيت ، وكان نظيره يتهمه بأنه يحسده ، وهو هذا :

منهو الحسد أعمى على عكازتو ومن يحسد الميت عحسن المقبرا

ومعناه يحسد الأعمى على عكازه الجيد ، ومن ذا الذي يحسد الميت على جمال قبره ، وهذا يصلح مثلاً سائراً ومثله كثير .

في هذا النهار الثلاثاء الرابع عشر من شهر رجب سنة ألف وأربعمائة وستة هجرية ـ وردنا خلق كثير بمناسبة تعزيتهم لنا بفقيدنا الغالي أخي العلامة الشيخ عبد العزيز الفقيه رضوان الله عليه .

منهم الشيخ حسين مديحلي ، وهو رجل عاقل كامل ورد النجف حوالي سنة ١٣٦٥ هـ لطلب العلم ولم يتهيأ له ما يساعده على ذلك فتوجه ولده الشيخ عبدالله مديحلي لطلب العلم وهو قاضي صور الفعلي ـ وعاد إلى لبنان ليهيىء أمور معاشه .

زارني وذكرني إنني كنت ذاهباً للجدول ومعي السيد مهدي الحكيم ، نجل آية الله السيد محسن الحكيم ، والشيخ جعفر الصائغ والسيد محمد علي إبراهيم ، والشيخ محمد عز الدين ، والشيخ عبد الحسين نعمة وغيرهم ، وكان هذا أمراً معتاداً لي ، فجلسنا قرب الماء واقترحنا المطاردة والمنافسة في الشعر ، ثم اقترحنا وصف تلك الجلسة ، فقال الشيخ حسين مديحلي ، وكنا جلوساً بين النخيل قرب النهر والفجل قد أزهر وله ألوان :

لقد اجتمعنا والنخيل يحوطنا ... والزهر يبسم والنسيم عليل
نتناشد الأشجار فيما بيننا ... طرباً وكل في الصفات جميل
والنهر يجري قربنا متدفقاً ... والطير تصدح والغصون تميل

وهذه الأبيات تصور الواقع المحسوس ولا تزيد عليه ، ثم سألته هل كنت تزاول الشعر ؟ فقال : ابتدأته في العراق ، وأرسلت قصيدة إلى البلاد في ماية وثلاثين بيتاً ، ثم انشدني بيتين في الغزل ، يشبّه فيها وجه الحبيبة البيضاء المورد بإجتماع النار والثلج ، وإن النار لم تذب الثلج ، والثلج لم يطفىء النار ، ثم يعجب قائلاً : النار تحرق من يقترب منها ، ونار وجنات الحبيب تحرق على البعد .

وفي هذا النهار وردنا ، أيضاً الحاج جعفر شمس الدين ، ابن المرحوم العلامة الشيخ حسن شمس الدين ، الذي كان يقيم في حناويه ، وقال : نظمت أبياتاً أرجو أن تسمعها لي ، وكان قد تأخر مع بعضهم عن الخروج في فنزلنا فقال :

سألوني وأين تذهب عصراً ... قلت رداً على السؤال النزيه

أقصد الشيخ فالمعارف زفت ... من على منبر التقي الفقيه

يرد الناس منهلاً عرفوه ... حوله كل عالمٍ وفقيه
فهو في الدين للأنام إمامٌ ... وهو في الجود من أعز بنيه
صانه الله من شرور الأعادي ... وارف الظل بعد فقد أخيه

* * *

أخبرني مخبر، أن السيد محمد نجيب فضل الله يقول: إنني إن لم استمر معه في العطاء هجاني، فأجبته: إن من لا يخاف من السنان لا يخاف من اللسان، ثم نظمت بهذه المناسبة الأبيات التالية لأتلوها عليه إذا التقيت به، وهي:

وغداً إذا يوم الحساب رأيتني ... قرب النبي وكنت عنه بعيدا
أيقنت أن رنين شعرك لم يكن ... إلا طنيناً لا يهز أسودا

وعلمت أنك ظالماً وبأنني ... ما كنت عن نهج الهدى لأحيدا
ولقد رضيت بحكم آل محمد ... إن كان خصمي في النزاع عنيدا

* * *

وفي أوائل سنة ١٩٨٦ م، الموافق أوائل جمادي أول، سنة ١٤٠٦ هـ، إشتريت شقتين في صور في الرمل - حي الرمل - ورأيت البائع ماطل في إتمام العمل فقلت فيه وفي أعوانه:

وفتية مؤمنة ... على الصلاح جبلوا
فكل من وافاهم ... ببهجة يستقبلُ

الشاي موجودٌ إذا ما استعجلوا أو أمهلوا
وهو شراب جيد يخدع فيه (الأهبل)
في مكتب رواده من كل حدب شكلوا
جميعهم في عمل لكنهم لم يعملوا
وعد وخلف دائم والخلف داء معضل
والعذر ميسور إذا ما أعذروا واستمهلوا
سألت شخصاً زارهم يعقل ما لا أعقل
ماذا ترى أجابني جوابه مفصل
أمكتبٌ، أم ملعبٌ أم مكذبٌ، مدوبل

* * *

للمؤلف على عفو الخاطر بمناسبات مختلفة .

في سنة ١٣٧٠ هـ تقريباً رأيت الطيور مغردة على أشجار البساتين فقلت له :

أنتِ تستغفرين من غير ذنبٍ وأنا كان ذنبي استغفاري

* * *

وقلت في سنة ١٣٨٠ هـ بمناسبة ما :

وفدت إليك وأوفدتهم ومثلك من يقبل الوافدين

وفي سنة ١٣٨٩ هـ :

المعاني التي تجول بفكري هي أعلى من مستوى الألفاظ

أيضاً :

وهـيـجني إني لمحـت بـوجـهـهـا　　عـلامـات مشتـاق لمن هـو أشـوق

أيضاً :

وتـزيـنـت لـلنـاظـريـن فـليتـني　　ممـن لهـم تـتـزيـن الحـسـنـاء

* * *

حدثني السيد رضا الشخص الأحسائي ـ وهو خطيب أديب ، أن السيد محمد باقر إبراهيم العاملي من بلدة كونين القريبة من بنت جبيل ، كان يسكن يونين ، وهي بلدة قرب مدينة بعلبك ، فنظم قصيدة من الأدب الساخر .

والسيد محمد باقر هذا ، أظنه هو والد السيد يوسف إبـراهيمي ، الذي كان طالب علم متفوقاً ، ثم ابتلى بالجنون ولا يزال حياً ، وله قصيدة يمدح بها الشيخ الوالد ، أعلا الله درجتيهما ، ويـقـرض كتابه حقائق الإيمان :

بيـونين قـد أبصرت كـل العجـائب　　فخـذ من خبير صـادقٍ غـير كـاذب
رأيـت أنـاسـاً يلبـسـون ثيـابهـم　　على «الزلط» والأبصار تحت الحواجب
حمـيرهـم آذانها في رؤوسـهـا　　وذنـابها من خلف مثـل الثعـالب

ولعل القصيدة أطول ، ولعله أراد إمتحان عقولهم بها أو مداعبتهم .

قيل : إن بعض السادة من بيت خلف ، قصـد خنجر افنـدي العبدالله مسترفداً ، فخيبه ، فكتب له :

قـل لـلذي يـرجـو الـنـدى　　مـن خـنـجـرٍ هـيـهـات تـظفـر
مـا أنـت إلا شـفـرة　　كـذب الـذي سـماك خـنـجـر

شاع نبأ بأن الزعيم يوسف بك الزعيم قد توفي ، وتبين كذبه فوفد عليه الشاعر الشيخ علي مهدي شمس الدين وهنأه بقوله :

تـفـاءل يـا أخـا العـليـا بـخـير　　ولا يـفـرح سـواك بمـا لـديـه

فيوسف قد أشاعوا الموت عنه   وأصبح ملك مصر في يديه

ولبعضهم :

وقد زعموا أن المحب إذا دنا   يمل وإن البعد يشفي من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا   على أن قرب الدار خير من البعد
على أن قرب الدار ليس بنافعٍ   إذا كان من تهواه ليس بذي ود

* * *

الخميس ٢٦ ربيع الثاني ، ١٣٩٧ هـ ، كنت جالساً في مكتبتي في حارة حريك في الطابق الثاني من بناية الريحان قرب دكاش ، فسمعت وطء أقدام على الدرج فقلت : جاءنا كاظم يدب على الأرض دبيب الأسود في الغابات ، ثم جاء ولدي الشيخ صالح فلم أشعر به حتى دخل فنظمت أبياتاً بهذه المناسبة أصف بها وأولادي ، وهي :

جاءني كاظم يدب على الأرض   عرفناه بوطئة الأقدام
كبرياء وعزة جعلته   يتعالى بهيبة وإحترام
هي نفسٌ كبيرة بين جنبي   حازم متقن دقيق النظام

* * *

وأتى صالح يسير الهوينا   بهدوء وعفة وسلام
يتحلى بالعقل والصبر   وطيب الذات والإبتسام
دخل البيت ما أحس به   الحاضرون لولا ابتداؤه بالسلام

* * *

وشبيه أخوه يوسف فيه   فهما في صفاتهم توأمان
غير أني أكاد ألمح في يوسف   إعتزازاً ورفعة باتزان
حدث السن غير أني أراه   واضعاً نفسه مع الشبان

وإذا ما ذكرت محسن فأذكر لوليا يستدير كالصولجان
دائم البشر لا يبالي بما كان ولا ما يكون من حادثات الزمان
يتغنى بالآي من القرآن كأنها مثالث ومثانِ

* * *

والذي يجمع المعاني جميعاً هو عباس فهو كل المعاني

* * *

للعالم الفاضل السيد عبدالله الأمين ابن السيد عبد الحسين الأمين الفاضل الشاعر الوجيه المعروف في أيامه بأبو علي - في تقريظ كتابنا حجر وطين :

إعطني الطين وناولني الحجر لنصوغ الفكر من أبهى صور
يا فقيه العصر كم من منطق يعجز الفكر ويهواه النظر
لمست كفاك فيه مقولاً فغدا الحسن لدينا وازدهر
هو بحرٌ أم كتابٌ زاخرٌ فيه نحظى بالآلىء والدرر
فكشفنا الساق كل يبتغي خوض بحرٍ من لجين أو نهر

* * *

وقلت في سنة ١٤٠٥ هـ تقريباً :

مولاي أوصاف العبيد كثيرة أنا منهمُ كلٌ على مولاه
ولفرط إخلاصي له لا أرتجي لا أرتجي لحوائجي إلاه

* * *

وقلت بمناسبة أخرى :

بعدما مرت دهور كنتَ في داجي الحلك
كنت معدوماً ولا تدري الذي قد دبر لك

صرت موجوداً فهل فكرت في من أوجدك؟

* * *

وللأديب الفاضل الحاج جعفر شمس الدين بن العلامة الشيخ حسن شمس الدين ، في ولدنا عباس :

ظلموك إذ سموك عباساً ووجهك غير عابس
لك في المحافل رتبة ما نالها أبداً منافس
آل الفقيه فتاكم كالشيخ ثوب الفضل لابس
سيكون يوماً في الهدى كأبيه نبراس المجالس
فالمجد والخلق الرفيع صفاته والله حارس

* * *

وله أيضاً مقرظاً هذا الكتاب حجر وطين :

من مثل شخصك في الخلود جدير وعظيم سفرك للأنام سمير
فيه من الأدب الرفيع روائع ومن المروج زنابق وعطور
قد صاغه الشيخ التقي جواهراً أبداً لها عند الأنام نظير
سطعت بأنوار البيان حروفه وتألقت بسما العلوم سطور
هو روضة نظْرت وكل زهورها عَبق وللزهر النظير عبير
أم دوحة ما حط فيها بلبل إلا وهمت للغناء طيور
من أرض عامل حاكه شيخ التقي ببراعة ما جف منها النور
فأنظر إلى الحجر الثمين وطينه قد شيد منها للسرور قصور
سيظل شخصك يا فقيه مدى الحيا نجماً وفي فلك الزمان يدور
ويظل سفرك للأنام ذخيرة هو للعطاشى الظامئين نمير

* * *

وأرسل لنا من صور إلى مدينة عنقون هذه المقطوعة في أوائل سنة

١٤٠٧ هـ :

مـولاي طـال الإنـتـظار وإنـنـا نصبـو لهـاتيـك الجـواهـر والـدرر
أضحـت مـروج حيـاتنـا بغيـابكم علم الهـدى ظمأى وقـد خف المطر
فـأرفـق بحـال المؤمنـين وصلهم يـا من لـه حسن المـآثـر والسمـر
حبـل المـودة والأخـوة والـلقـا بـانت لقـاءات الأحبـة في خـطر
أمسى بعنقـون تبـاعـد شـخصـه لكن بقلبي صـورة الـوجـه الأغـر
قـالـوا لنـا هـذا التقي يـا ذا فضله بحـرارة قلنـا وهـل يخفى القمـر

* * *

وقلت بمناسبة ما يوم كنت في العراق :

قـمـرٌ بـأبـراج المـحـبـة في الـقـلـوب غـدا يـدور
لم ابـنِ بـيـت محـبـة إلا ولـوح بـالـقـصـور
قـال الـعـواذل لـلمـحـب المـغـرم الجـلد الـصـبـور
لِمَ لا تـفـكـر بـالـوصـال فـكـم بـه شـفـيت صـدور
فـأجاب هل بـعـد الوصال سـوى التـفرق بـالقـبـور

* * *

وقلت في سنة ١٣٩٩ هـ بمناسبة ما على عفو الخاطر :

كـدت أن أفـضـح سراً كـان مـا بـيـني وبـيـنـك
والـذي يـفـعـل هـذا لـن تـرى عيـنـاه عـيـنـك

* * *

ذهبت في شعبان سنة ١٤٠٤ هـ ، لـزيـارة أبي هيثم الأستـاذ ريـاض إسماعيل في بلدته زوطر الشرقية ـ قريب مدينة النبطية ـ فاستقبلتنا عياله بالحاح ولم يكن موجوداً ، فشربنا القهوة وكان معي الحاج حسين مشيمش فقلت :

قصدت أبا هيثم زائراً ومثل أبي هيثم من يُزار
فألفيت في داره لبوة كريمة عند كريم البُخار

* * *

اجتزت مرة بخطيب على منبر يتكلم بكلامٍ متسلسل قليل الفائدة قلت فوراً :

يا خطيباً خطابه كان خطباً
كل قلب دعاه يقلب قلب

* * *

ومررت على كهفٍ بين شقراء وتبنين قرب عين المزراب ، فتأملت في دقة حفره فقلت :

لست أدري كيف صارت هذه الصخرة غارا
أي كفٍ نحتتها فأحالتها سوارا

* * *

وقلت معرضاً ببعض المؤمنين ، وكان قد وعدني بوعودٍ كثيرة واخلف :

يا أحسن الناس قولاً وأقبح الناس فعلاً
وعدت وعد كريم وعاد وعدك بخلاً
فصرت أبخل فعلاً وكنت أكرم قولاً

* * *

وقلت في تشطير بيتين ينسبان إلى بعض العلويين في اللاذقية ، وذلك سنة ١٣٩٣ هـ ـ وهما مع التشطير فيما يلي :

يا باكياً يبكي على ربه جهلك جهل لست تدري به

أفق من الغي فمن لم يفق   لست بحمد الله من حزبه
يبكي على المقتول في كربلا   من أخصب الإيمان في قلبه
من لم يذبه الكرب من أجله   لا خفف الرحمن من كربه

* * *

وقلت في أثناء سفري لإيران سنة ١٣٩٥ هـ :

يظن الناس بي خيراً وإني   لأعلم بالذي قد كان مني
مضى عهد الصبا وله هنات   وليست هنات حسب ظني
وإن وعد الكريم وفا وإني   لوعد الله أعظم مطمئن

* * *

وقلت في سنة ١٤٠١ هـ الموافق تشرين أول سنة ١٩٨١ م . وكنت راكباً في سيارة بمناسبة استعراض بعض الماضي :

وصارعت الحياة وصارعتني   وخاتلت الرجال وخاتلوني
وكنت أفوز في العقبى عليهم   وكنت أراهم في الروع دوني
وكنت أحب أن يبقوا طويلاً   ليعلم أينا ليث العرين
وكنت إذا ضربتهم برأيي   أذقتهم به طعم المنون
فإن هربوا فتحت لهم طريقاً   وإن فاؤوا بسطت لهم يميني
وأصبح بعضهم إخوان صدقٍ   وقيتهم الأذي وهم يقوني
تعلم فالكريم له خصالٌ   تعود عليه بالريح الثمين
تعلم كيف تكتسب المعالي   وكيف تفوز في دنيا ودين

* * *

وقلت أبياتٍ موجهة إلى ولداي الفاضلين صالح ومحسن ، حفظهما الله تعالى :

جد كل الجد في الدرس تصب   كل ما تصبو إليه وتحب

واجتهد في طلب العلم فمن — طلب العلم بجد لم يخب
وإذا ما جنك الليل فنم — أول الليل قليلاً ثم ثب
فقليل النوم فيه متعة — وهو للأبدان من أفضل طب
فإذا داعب عينيك الكرى — قل له عني تنحى واجتنب
وتوضأ واذكر الله فما — خاب من في الليل لله اقترب
ثم قم للدرس تلقَ متعةً — وتنال العلم من غير نصب

* * *

حدثني الحاج عبد الهادي سويدان ، والد العلامة الشيخ نجيب سويدان مفتي صور وهو من بلدة ياطر قرب حاريص .

قال : أرسله والده إلى حاريص في طفولته ، إلى الحاج خليل يحيى ، أو كان موجوداً عنده ، وكان ولده محمد الحاج خليل يريد طلاق زوجته ، سوغة بنت الحاج محمود خليل حمود ، وهي بنت خالة الوالد ، فناداه والده قائلاً ، يا محمد يا محمد وكان غير راضٍ بطلاقها :

كمشة مشمش لا تكمش — دوّر على اللوزية
حسن النسوان لا تأخذ — طلّع على الأرمية

ومعنى البيتين لا تتناول قبضة من المشمش بدون اختيار ، بل اختر المشمش اللوزي ، ولا تنظر إلى حسن البراءة إذا أردت زواجها بل أنظر إلى أصلها .

* * *

في محرم سنة ١٤٠٢ هـ ، الموافق تشرين الثاني ، سنة ١٩٨١ م . حدثني الأستاذ أبو هيثم رياض إسماعيل ، من بلدة زوطر ، القريبة من النبطية وكان مدرساً سابقاً ثم اشتغل بالتجارة ، إن بعضهم نظم بيتين ، معرضاً بقاسم وهو من وجهاء حاصبياً ، فقال :

حاصبيا بلدة مظلمة — تجلب الهم إلى قادمها

قسمت قسمين فسق وخنا　　　لعنة الله على قاسمها

* * *

قال الرقيب كامل قاسم الزين وهو من بلدة شحور ، ويُكنى بأبي نواف ، في تحويل قول الشاعر من اللغة الفصحى إلى اللغة العامية ، ونعني به قول الأول :

كعصفورة في كف طفلٍ يهينها　　　معذبة والطفل يلهو ويلعب
فلا الطفل ذا عقلٍ يرق لحالها　　　ولا الطير مطلوق الجناح فيهرب

فأخذ هذا المعنى ونظمه باللغة الدارجة :

قلبي يا ليلى واقع بحبك أسير　　　وقعة الطير بقبضة الطفل الصغير
ولا الطفل عندو عقل يرحم صيدتو　　　ولا الطير مطلوق الجناح حتى يطير

* * *

وقال أبو غسان الحاج علي حرب من بلدة جبشيت قرب النبطية ، سنة ١٣٩٧ هـ ، في ثلاثة من خيار المؤمنين ، وذلك عندما أهدى لنا قميصاً صوفياً فاشتركوا هم بدورهم وأهدوا قميصاً ثانياً ، فقال فيهم على سبيل المفاكهة :

الإنسان حتى يظل عالي المستوى
ما يميل مثل الغصن مع نسمة هوى
حجاجنا لبدهم الجنة مسوكرة
عا حق كنزة تشاركوا ثلاثة سوى

* * *

قال فيهم أيضاً :

حجاج عاعرش الكمال تربعوا
ظباط في جيش الإمام تطوعوا

تـايـقـبـضـوا مـن دون سـؤال ولا جـواب
ووقـت الـدفـع ألـفـين خـيري بـيـفـقـعـوا

* * *

ثم أرضاهم بقوله :

حـجـاجـنـا الـلـبـديـنـهـم مـا تهـاونـوا
شـو قـال الله في كـتـابـوا آمـنـوا
بـيـتـعـاونـوا عـالـبر والـتـقـوى سـوى
عـالإثـم والـعـدوان مـا بـيـتـعـاونـوا

* * *

حكي أن محمود قاسم المعروف بمحمود حداثا ، التقى بشاعر شعبي دونه في المكانة ، فسأله شعراً ، وحيث لم نحفظه بلفظه الفناه بالنحو الآتي :

بـدي إسـألـك يـا خـي عـن شيء لا أم ولا بَيّ
بيـولـد وبيـكـبر وبيـصـغـر ويمشي شـوىً شـوي
وبيظل طـول العمـر عـايش لا مـيـت ولا حَـي

فأجابه : هو الهلال ، ولا ريب أن هذه القصة مقتضية .

* * *

عنـدمـا طبـع آيـة الله السيـد محسن الحكيم ، الجـزء الأول من كتبـه « مستمسك العروة الوثقى » ، أبرق إليه العلامة الأديب السيد صادق الهندي ابن السيد باقر الهندي ابن السيـد محمد الهنـدي ، الذي كـان له مـرجعية في وقته ، والسيد صادق يقيم في مدينة قرب سامراء . فأرسل إليـه برقيـة يـطلبه منه ، جاء فيها :

يبقى بـلا مستمسـك منكم مستمسك بـالعـروة الـوثقى

فأرسل إليه وأجابه نجله حجة الإسلام السيد يوسف الحكيم ، بما يلي :

كيف بلا مستمسك يبقى ... مستمسك بالعروة الوثقى

ومن أجوبة السيد يوسف الحكيم المستملحة ما يلي :

- ورد كتاب للسيد الحكيم من طلاب إحدى الجامعات في باريس ، يقول فيه ما مضمونه : إن الشيعة لا يورثون الزوجة من الأرض التي يتركها زوجها بعد موته مع أن ذلك على خلاف عمومات الكتاب ، والسائل من أهل السنّة كما يظهر .

فأجابه السيد يوسف ، إن الشيعة عملوا الأحاديث الخاصة ، وهي مخصصة لعموم الآية ولعل أول من خصص عمومات الكتاب بالحديث هو الخليفة الأول أبو بكر وذلك عندما منع الزهراء من ميراث أبيها مدعياً بأن الأنبياء لا يورثون ، لرواية رواها وهذا على خلاف عموم آيات ميراث الأبناء للآباء .

* * *

وأرسل لنا الأديب الفطري السيد عبد الكريم الأمين المعروف بأبو مفيد وهو ابن العلامة المعروف المرحوم السيد علي محمود ، وكان هو والسيد نجيب فضل الله أشهر علماء جبل عامل في وقتها وربما تصرفنا في بعض كلماتها .

مولاي ما لي في مداك أقصر ... فلأنت عال ما لأفقك معبر
غنيت فيك قصائدي ومدائحي ... وغدوت احتضن القريض واشعر
أنت التقي محمد علم الهدى ... أنت الفقيه العالم المتبحر
يا من تسمى للنبى باسمه ... وغدا بأثواب العلى يتدثر
جمع المحاسن والفضائل كلها ... فإذا نروح نعدها لا تحصر
الله أعطاك الكمال جميعه ... والله يعطي من يشاء ويقدر
فلأنت للإسلام حافظ شأنه ... سيف على أهل الضلال مشهر
قد رحت للإسلام ترفع راية ... لولاك ما كانت تذاع وتنشر

يـا قـدوة الـعلماء أنت أمينهم ... أنـت الـعـماد لهـم وأنـت المـنـبر
هـذي أيـاديـك الكـريمـة دونت ... للمسـلمـين صحـائـفـاً لاتنكـر
قـد رحت تنشر لـلأنـام رسـالـة ... فيهـا تعـاليـم الهـدايـة تـظهـر
أوضحت فـيهـا كـل أمـرٍ مبهـم ... مـا راح قـول بـعـد ذلـك يعسر
مـاذا أقـول فـلا أكـون مبـالغـاً ... مـا أنت من عـرض ولكن جـوهـر
مـا أنت من بشرٍ يعيش عـلى الـثرى ... بـل أنت للمـلأ العـلى تتحـدر
ولأنـت مـن سر الإلـه وقـدسـه ... كنـز بمكنـون الـطهـارة يـزخـر
ولأنت من وحي الـرسـالـة نفحة ... عبقت بـوجهه الكـائنـات تعـطر
قلبٌ يفـيض عـلى الأنـام .حنانه ... أصفى مـن المـاء المعـين وأطـهـر
ولقـد خسرت أبي فقـوض عيشتي ... وخسرت كـل العـطف فيمن أخسر
حتى رأيت أبي بشخصـك مـاثـلاً ... يحنـو عـلى القلب الكسـير ويجـبر
آل الـفـقيـه لأنـتـم في عـامـلٍ ... شـمس تـشـع بـنـورهـا نستبـصر
الله يعـطيك البقـاء عـلى المـدى ... وتـظل في ثـوب الهـنـا تـتـدثـر

١٦ تموز / ١٩٨٨

* * *

- ولـه بعد بلوغـه الثمانـين من العمر ، وذلـك يوم الإثـنين ٢٣ / تشرين الثاني / سنة ١٩٨٧ م ، الموافق ٣ / ع٢ / ١٤٠٨ هـ :

هذي الثمانون قد أخنت عـلى كبدي ... واستبـدلتني لـذيـذ العيش بـالنكـد
سمعي قليـلٌ وهـذا راح يـزعجني ... والعـين مني في دوامـة الـرمـد

* * *

وقال أيضاً عند بلوغه الخامسة والسبعين :

لم يـبـقَ لي ومـا أرجـو بـقـيـات ... إلا مـتـاعـب في جـسمـي وآهـات
خمس وسبعون من عمري قد انصرمت ... يبقى القليـل ومـا يبقى حثـالات

وقال عندما بلغ السبعين من العمر :

أنـا في السبعـين من عمـري انتهيت ذهـب الأهــل وصحـبـي وبـقـيـت

وقال عندما ترك الدكان والحانوت :

ودكــان أقــمــت بهــا طــويــلاً جـنـيـت ثـمارهـا قـالاً وقـيـلا
لقـد حـاولت أن أثـري بجهـدي ولـكـني طـلبـت المـسـتـحيـلا

وقال بهذه المناسبة أيضاً :

وفي شـقـراء دكـان فـتـحـت لقـد ذهب الشبـاب ومـا نجحت
لقـد ظـن الـغـبي وذاك ظـني بـأني في التـجـارة قـد ربـحـت
إذا مـا سـامني في البيـع شـارى لـيـأخـذ سلعـة مـني بحـحـت
وكـم من بـيـعـة في الخمس ردت وقد اشرطـت فيـهـا وأصـطلحـت

نهار الإثنين ٢٤ / ١١ /٨٦ الموافق ٢٢ / ع١ / ١٤٠٧ هـ وردنا في صور عصراً الشيخ جعفر شمس الدين ابن المرحـوم العلامـة الشيخ حـسن شمس الدين ، وقدم هذه الأبيات لولدنا الشيخ يوسف الفقيه :

إن قيـل أين ذوو النبـاهـة والنهى أو قيـل من يـأبى المكـارم يعـرف
فـأشر إلى دار الـفقيـه فيـوسـف شبـل العرين وبـالشجاعـة يـوصف
بـدر بحـاريص الجنـوب طلوعـه عن أرض عـامـل نـوره لا يخسف
فـأبـوه عنـوان المعـارف والتقى هـو لـلأنـام معـلم ومـؤلـف
مـا كـان مـدحي للفقيـه تكلفـاً إذ لـيس في مـدح الكـرام تـكلف

* * *

يوم الأربعاء ٢٥ / ١٠ / ١٩٨٩ م الموافق ٢٥ /ع١ / ١٤١٠ هـ زارنا العقيد فلان عباس ابن الحاج عباس من عيترون ومعه شخصان آخـران ، من آل الفقيه أحدهما ابن أخ المحافظ المرحوم ابراهيم الفقيه والآخر من كفرتبنيت حسبما أتخطر ، وحدثنا العقيد أن أباه يجيد الشعر فظننته يريد الشعر الزجلي ،

فقال : لا ، بل الشعر الفصيح ، ثم قال أنه لا يستطيع الوصول إلى والده بسبب الشريط الحدودي لا هو ولا من يتعلق به ، ولكنه بمناسبة العيد أرسل إليه ابنته الصغيرة واسمها ريم ، فأجلسها على ركبتيه أو في قربه فجعلت تداعبه ولا تجيد النطق بلفظ جدي بل تقول زجدي فأنشأ هذه المقطوعة وهي من أروع الشعر المعبر وهي هذه :

ريم دنت مني وداعب كفها ... خدي ولاح على الشفاه سؤال
مثل الحمامة رفرفت وترغلت ... في لثغة يحلو بها الأطفال
(زجدي) لماذا شعر رأسك أبيض ... وبوجنتيك تجعد وهزال
(زجدي) وزندك ما عراها إنها ... كانت يخاف نزالها الرئبال
والقامة الهيفاء كيف إحدودبت ... فكأن غصن البان حال هلال

* * *

ردت عليها من رموشي أدمع ... كالأرجوان سخية تنهال
يا ريم يا كبدي فإن نظارتي ... حالت إليك فلا أحالك حال
أذوي أنا فتزهرين وانطفي ... فتشعشعي ويتابع الموالُ
جمّعت أمتعتي وتلك حقائبي ... ملأى ينوء بثقلها الحمال
إن غبت عن دنياك لا تتأسفي ... شأن الحياة الحل والترحال

* * *

كانت النسوة العامليات ، ولم يزلن يتعاطين الشعر الزجلي ، ولا سيما بمناسبة الأفراح والأحزان .

قالوا : دخلت الحاجة أمينة سعد من بلدتنا حاريص على الشيخ الوالد ، وهي والدة إحدى زوجاته الحاجة فهدة حجازي ، وكان السماور قد بدأ بالفوران والسماور ، كما يعرفه بعض القراء عندما يهم بالفوران تكون له أنغام تشبه رنين العود، فقال لها : ماذا يقول هذا السماور ؟ قالوا : فأنشدت :

إنـي أنـا المـاء بـالـوادي جـريـت
وعود الـسـقـيـتـو عدت بـناروا انـكويـت

والمـراد أن الماء عنـد فورانـه يقول : أنـا الماء الـذي جريت في الأوديـة وسقيت الأشجار حتى نمت وصارت خشبـاً ثم صنعت فحماً ، ثم عـادت إليَّ وكوتني بنارها .

وإذا كانت تعرّض بالشيخ الوالد لأنها كانت قد زوجته ابنتها وطلقهـا ، يكون هذا الشعر من أبلغ ما قيل في مورده .

* * *

ومن الأهازيج التي تغني بها العامليات عند ما تهز سرير طفلها :

عـيـني طـرفهـا الهـوى ومـنـين بـقـالي عـين
وشـكـيـت لـقـاضي الهـوى لـقيتـو اعمـى من الـتـنتين

* * *

تريد بالهوى الحب ، وقولها طرف الهوى ، أي أن الريح مرت على عينها فجرحتها في طرفها ، ولما ذهبت لتشكو أمرها لقـاضي الهوى ، وجـدت عينيه كلتيهما مجروحتين وفي هذين البيتين من التورية الجميلة ما فيهما .

* * *

وفي السماور يقول أحدهم ، ولا أشك في أنه عراقي نجفي :

نديـم كلما أججـت نـــاراً باحشاءه غدا طرباً يغني
يـغني ثـم يسـقـيـني كـؤوسـاً الا أفـديـه عـن سـاق اغن

* * *

عندما رجع الشيخ الوالد من العراق إلى جبل عامل وأقام في مسقط رأسه بلدة حاريص ، وذلك سنة ١٣٢٧ هـ كان للأدب الزجلي سوق عامرة ، وكان للنساء منه حظ وافر ، وقد رأيت امرأة من حداثا عاصرت محمود حداثا قاسم ،

وقد أسمعتني من أقواله وأقوالها الشيء الكثير ، وهي والدة الحاجة أم رضا زوجة أبي رضا الحاج حسين شعيتو من بلدة الطيري قضاء بنت جبيل المتوفي سنة ١٤٠٠ هـ تقريباً ، وقد توفيت قبله بيسير .

قالوا : عندما قدم الشيخ الوالد لم يكن السماور معروفاً في ذلك الوقت، فكان يصنع الشاي فيه ، ويوضع في الديوان ، ويجتمع الشيوخ والكهول في الديوان وربما تنادموا بالشعر الشعبي ، وفي إحدى المرات كان موضع الإنشاد هو السماور فقال كل منهم فيه شيئاً ، وذكروا قول المرحوم الحاج سليمان حجازي :

شاي وماء جيبوا للسماور   وفاض الرزق عندو وللسما ور

أي فاض الرزق عنده ورمى به إلى السماء ، فتناول عنه القول محمود قاسم المعروف بمحمود حداثا قال[1] :

نحن العوادل بالكرم هلينا   والضيف من يقبل به هلينا

ويقصد بالعوادل أجداد آل الفقيه ، وقد صرح بذلك العلامة الشيخ أحمد بن علي الفقيه العاملي العادلي حيث قال في افتتاحية ديوانه المخطوط .

أما بعد فيقول أقل الورى عملاً ، وأكثرهم في الله خطأ وزللاً ، احمد بن علي الفقيه العاملي العادلي ، إلخ .

وقد رأيت هذا الديوان المخطوط في مكتبة المرحوم الشيخ محمد السماوي ، وكان هو وديوان السيد نصرالله الحائري في مجلدٍ واحد . وقد اشترى

---

(١) حدثني سبطه علي زهر من بلدتنا حاريص أنه توفي في قرية حانين بقضاء بنت جبيل ، وأنه نبت على قبره شجرة من الرمان ولا تزال موجودة ، وقبره يعرف بها وأنه زار قبره ، وقد توفي المرحوم علي زهر في سنة ١٤٠٢ هـ تقريباً ، وقد سجل لنا بعض القصائد قصائد جده ، محمود حداثا بصوته ، كما أنه نظم قصيدة اثنى فيها على أخي الشيخ علي وعلينا ، وكله محفوظ عندي .

السيد الحكيم مكتبة السماوي ، بعد موته بمدة وجعلها وقفاً عاماً باسم مكتبة الحكيم » .

شاعرة عربية سودانية

قالت إحدى الأمهات السودانيات أبياتاً تشجع ولدها على الحروب وقد حفظناه من الإذاعة حفظاً غير متقن :

يا حسين ماني أمك ولا أنت ابني   مكرش يا يمّه وبالأكل متهني
كل العذارى بك عيرنّي   كالنلى ، حسين لا جارح ولا مجروح

والمعنى يا ولدي حسين لا أنا أمك ولا أنت ابني ، وإنك تهتم بملء بطنك ، وكل العذارى عيرنني بك قائلات : حسين لا جارح ولا مجروح يعني إنه لا يباشر الحروب والمعارك .

تمهيد وفوائد

كل إنسان متنبه يتوق إلى فلسفة التشريع ويتمنى أن يعرف السبب في تحريم الحرام وتحليل الحلال ، ويرغب في معرفة ما تنطوي عليه المحرمات والمكروهات ، من المفاسد والمضار ، ليتجنبها عن معرفة وبصيرة ، كما يرغب في معرفة ما تنطوي عليه الواجبات والمستحبات من الفوائد والمصالح ليفعلها بشوق ورغبة وطمأنينة .

ونحن في عصرنا هذا نقف أمام تيار عارم من المسائل الموجهة إلينا من هنا وهناك من اليمين والشمال ، بل من سائر الجهات ، تارة مشافهة وتارة مراسلة وثالثة بواسطة إنسان ثالث ، وقد يكون مدعي الوساطة صادقاً عندما يقول كلفني شخص بأن أسألك ، وقد يكون متنكراً .

ولا ريب أن شطراً من السائلين إنما يسأل عن قصدٍ حسن ، وضميرٍ طاهر ولا يحاول من وراء سؤاله أكثر من الانتفاع والمعرفة وزيادة التبصر في الشريعة لتطمئن نفسه ، وليستطيع الدفاع عن معتقداته عندما يهاجمه المشككون والمعاندون .

ولا ريب أن إقناع هؤلاء سهل ، وإن الحديث معهم له أول وله آخر .

ولكن كثيراً من الناس يسألون ولا يهدفون من وراء السؤال إلا لما يضر ولا ينفع ، فبعضهم يحاول عرض عضلاته ليري الحاضرين أنه يعرف كيفَ يسأل ويعرف كيف يجادل ، ويعرف كيف يبقي ساحة المعركة مفتوحة ، فإذ

انهزم في الجهة التي كان يسأل عنها فتح جبهة أخرى للجدال .

وهناك من هم أشد سوءاً وأعظم خطراً، وهم العقائديون ، الذين لا يهدفون من السؤال إلا زرع الشك في نفوس السامعين ، وهذا الصنف من الناس المرضى الذين لا علاج لهم إلا القوة ، لأن المنطق لا ينفع معهم أبداً ، إذا أقرعته بالحجة ، وأسكته بالمنطق ، وارتاح السامعون إلى الجواب ، هل تعرف ماذا تكون آخر كلمة له ؟

آخر كلمة له إذا حوصر من كل الجهات قال لك : اسمح لي أنا غير مقتنع وضميري غير مرتاح ، أو يقول : غيرك لا يقول بهذا ، أو يقول : قرأت في جريدة أو مجلة لعالمٍ كبير مقالاً لا يوافق على ما تقول .

وإذا طالبته بالجريدة يقول : راح اسمها عن بالي ، ومن هذا الصنف وذاك المتحللون من الأنظمة ، واللامبالون بالتشريع والقوانين ، وهؤلاء يحفظون ما يسمعون من الشبهات المسمومة ، ولقوتها يقصد فتح باب المعذورية أمام من يتفقدهم ، وربما خرج من الخلية بالنكتة ،أو الإعتذار الساخر أو من يأمن عواقبه وغوائله .

وهذه الأمور تستفحل وتنتشر إذا انشغل الناس بالفتن والحروب ، وأصبح القائمون على حماية القانون في شغلٍ شاغل عن هؤلاء وأمثالهم .

فإذا استتب الأمن وانتظم أمر السلطان خفت هذه الأصوات حتى كأنها لم تكن .

وهذا كله ليس جديداً ، بل كان موجوداً في أكثر العصور وسيبقى موجوداً ، وذلك لأن الشك وُلد قبل اليقين ، ولأن الجهل يولد قبل العلم ، لأن الإنسان يولد جاهلاً غافلاً ، ثم يغزوه الشك ثم ينتهي بعد البحث والتجربة إلى اليقين .

وقد ولدت الشيوعية قبل أكثر من نصف قرن ، وبُنيت على نظرية النشء والإرتقاء ، وكانت نتيجتها إنكار للقيم ، والإستهتار بكل نظام رفيع يميز الإنسان عن الحيوان ، ثم بعد التجربة والإختبار ، فتح الإنسان الذي عاش

معها عينيه ، فرآها شر ما اختاره الإنسان للإنسان ، ثم هي اليوم كما رأيناها بأجمعنا محتضرة تتخبط على فراش محشو بالأشواك ، والنصال ، وهؤلاء هم قادتها وأعوانهم تحصدهم ايديهم بسيوف نقمة الحق الغاضبة ، وتحطمهم القذائف والدبابات والإنفجارات ، وسيلد الغد ما ولده الأمس ، ويعقبه ما أعقب غيره ، وذلك لأن الجهل يولد قبل العلم ، والشك قبل اليقين ، وكلاهما يولدان ما ولد الإنسان .

كان العلماء ولا يزالون يقفون أمام أسئلة كثيرة تدور حول التشريع الإسلامي ، وكان المفكرون منهم ولا يزالون يجيبون عن تلك المسائل ، بأجوبة تتلائم مع ذهنية السائل ومع الظروف التي يعيشها السائل والمسؤول .

وإليك نموذجاً لبعض تلك المسائل :

١ ـ ما هي الحكمة في تحريم الربا ؟

٢ ـ وما هي الحكمة في تحريم كثيره وقليله ؟

٣ ـ وما هي الحكمة في تحريمه على المقترض والمقرض والكاتب والشاهدين ؟

٤ ـ وما هي الحكمة في الترخيص به ، بين الوالد وولده ، وبين المرأة وزوجها ، وبين السيد ومولاه ، وبين المسلم والحربي يأخذ منه ولا يعطيه .

ولكن على ضوء اعتقادنا بتبعية الأحكام للمصالح والمفاسد ، وعلى ضوء إيماننا أيضاً بكون المشرع حكيماً ومحيطاً بشؤون عباده ، وعالماً بجميع ما يصلحهم في جميع الأحوال وجميع الأزمنة ، وعلى ضوء إيماننا أيضاً بأن النبي الذي يخبرنا عن الله سبحانه معصوم ، لا يكذب ولا يخطىء ، على ضوء ذلك كله يحصل لنا الإعتقاد الإجمالي بوجود المفسدة الكافية الموجبة لتحريم الربا في موارد تحريمه كما يحصل لنا الإعتقاد الإجمالي بعدم وجودها في موارد الترخيص به .

وهو جواب كاف عن كل شبهة تتعلق بأنظمة الإسلام ، فإن الإيمان

بالطبيب يدعو المريض للإستسلام له ، ويبعث على تناول الدواء بلا قيد ولا شرط ، وكما لا يجب أن يعرف المريض عناصر الدواء وفعالياته التي من أجلها أمره الطبيب بتناولها . كذلك لا يجب أن يعرف المخلوق المصالح والمفاسد التي من أجلها أمره الله تعالى بما أمره به ، أو من أجلها نهاه الله عما نهاه عنه .

هذا وقد أخرجنا كتاباً سميناه الربا في مذهب أهل البيت[1] يقع في ماية وخمسة وعشرين صحيفة ، بقطع الربع ، وقدمنا فيه : عرضاً واسعاً عن الربا ومفاسده من الوجهة الإقتصادية ، والأخلاقية والسياسية والإجتماعية .

ونحن كما نستطيع ذلك في باب الربا ، نستطيع تقديم مثله في سائر المحرمات كالزنا والقمار والسرقة والكذب والنميمة والغيبة وغيرهن .

ونستطيع أيضاً تقديم عرض عن المصالح المترتبة على الواجبات والمستحبات .

ولكننا في الوقت الذي نذكره فيه الحكم والمصالح والمفاسد التي تنطوي عليها الواجبات والمحرمات والمكروهات والمستحبات ونقنع السائل ، ونرفع الشك من نفسه ، لا نشعر براحة الضمير ، لأننا لا نستطيع الجزم ، بأن ما نذكره ، هو المقصود للمشرع ، وبأنه هو الذي بعثه على التشريع لا غيره .

وذلك لأننا نعلل الأحكام ، بحسب ظروفنا التي نعيش فيها ، وبقدر الملابسات التي تحيط بنا ، فنحن في الحقيقة ننظر إليها من زاويتنا ، ونعللها بقدر طاقاتنا ، ثم نسمي ما أدركناه حكمة في التشريع ، والحقيقة والواقع ، أن المشرع ، أكثر إحاطة منا ، وأوسع آفاقاً ، وأعرف بما يصلح عباده وبما يضرهم .

ولذلك لا يصح منا ، أن نجزم بأن ما نذكره ، هو السبب الباعث على

---

(١) طبع سنة ١٩٦٧ م ، الموافق ١٣٨٦ هـ . ثم أُعيد طبعه مرتين في دار الأضواء في بيروت في سنة ١٩٨٧ م ، وما بعدها ، وقد استأذن منا بعض العراقيين في ترجمته إلى لغة أخرى ، أو الأخذ عنه ورخصناه ، ثم صادرت الحكومة العراقية النسخ الموجودة في الأسواق (وبذلك أصبح الكتاب مرغوباً عند القراء) .

التشريع .

ومن أجل ذلك كله ، تجد العلماء ، عندما يعجزون عن إدراك الحكمة الكاملة ، التي يقتنع بها جميع الناس ، في جميع الأزمنة ، يقولون كلمتهم الأخيرة ، المشرع حكيم ، وهو محيط بشؤون التكوينيات والتشريعيات ، ومحيط بالظروف والملابسات الممتدة مع التاريخ ، وعالم بما يصلح العباد ، وهو حكيم ، والحكيم لا يأمر إلا بما فيه مصلحة ، ولا ينهي إلا عما فيه مفسدة ، والمبلغ عنه معصوم ، ونحن قد ندرك شيئاً ، ونعجز عن إدراك أشياء ، ولو كان باستطاعتنا الإحاطة بكل شيء ، لكان كل واحد منا إلهاً ، أو نبياً أو فيلسوفاً عملاقاً ، ولكان الحاكم والمحكوم بنسبة واحدة من حيث التشريع ، ولما إمتاز إنسان عن إنسان ، ولا عالم عن نصف عالم .

أما الآن ، فسنضع بضعة صحائف من ذلك الكتاب بين يدي القارىء ، تنفع كل النفع فيما نحن فيه . ولا سيما وأنها من خلاصات علمية عالية يعرفها أهلها وهي هذه[1] .

الأحكام تابعة للمصالح والمفاسد .

وهل هي موجودة في نفس الأمر والنهي أو في متعلقه ؟

وعلى تقدير كونها موجودة في متعلقه فهل هي ذاتية في الأشياء ، أو تابعة للعناوين والإعتبارات

الحسن والقبح العقليان .

(١) نُقل حرفياً من كتاب الربا في مذهب أهل البيت من صفحة ١٢ إلى ٢٨ .

تبعية الأحكام للمصالح والمفاسد

نحن نعتقد بتبعية الأحكام للمصالح والمفاسد ، ونعتقد بأن الله سبحانه حكيم ، وبأن الحكيم لا يأمر إلا بما فيه مصلحة ، ولا ينهي إلا عما فيه مفسدة ، ولا يجب أن يدرك المكلفون تلك المصلحة والمفسدة ، وإلا لما امتازت عقلية الحاكم عن عقلية المحكوم ، وللزم أستغناء الناس عن المشرعين بجميع أنواعهم .

ونحن نعتقد أيضاً ، بأن المصالح والمفاسد ، قد تكون ذاتية في بعض الأشياء ، بمعنى كونها علة تامة في الحسن والقبح وحينئذٍ لا تقبل التغيير والتبديل . وقد تكون ذاتية بمعنى كونها إقتضاءات أولية ، وحينئذٍ تكون قابلة للتغيير والتبديل ، بحسب اجتماع الشرائط وفقدها ، ووجود الموانع وارتفاعها ، وخلوها من المزاحمات والمضادات ، أو ابتلائها بها ، وقد تكون لا إقتضائية أصلاً ، وهذه تتبع عناوينها فقط ، وتختلف حينئذٍ باختلاف العناوين والإعتبارات ، والظروف والملابسات .

وقد تكون المصالح والمفاسد في نفس الأمر والنهي لا في متعلقهما كالأوامر والنواهي الإمتحانية ، التي يقصد بها إختبار نفسية المكلف فقط ، كقول الوالد لولده ناولني الماء ، وهو لا حاجة له بالماء ، وإنما يريد أن يستوضح مقدار إطاعة ولده له .

فنحن نعتقد بتبعية الأحكام للمصالح والمفاسد ، ونعتقد بأن المصالح

والمفاسد الموجودة في الأشياء ، تختلف قوة وضعفاً ، فبعضها قد يكون عللاً تامة في التأثير وبعضها قد يكون إقتضاءات أولية ، فتؤثر أثرها إذا لم تقترن بالموانع والمزاحمات ، كما أن بعض الأشياء ، قد يكون بطبعه خالياً من المصلحة والمفسدة، ويُسمى لاإقتضائياً .

ومن أجل هذا يمكننا أن نقول بأن المصالح والمفاسد ليست ذاتية في الأشياء ، بل تتبع العناوين والملاحظات

ومعنى هذا أن الشيء قد يكون بطبعه فيه مفسدة ، فيكون قبيحاً ، ويكون فاعله مستحقاً للذم ، ثم تعرض له جهة محسنة تقتضي حسنه ، فيصبح حسناً وذا مصلحة ويستحق فاعله المدح .

وذلك كالسم ، فإنه بطبعه مضر ، والطبيب يحذر منه ، ويكون شاربه مذموماً ، ولكنه عندما يستعمل جزء من الدواء يصبح نافعاً وحسناً ، وفيه مصلحة .

وقد يكون الشيء ذا مصلحة وحسناً ، ثم تعرض له جهة مقبحة ، فيصبح ذا مفسدة ، ويصبح قبيحاً ، كالصدق فإنه بطبعه فيه مصلحة وهو حسن وفاعله ممدوح ، ولكنه عندما يؤدي إلى قتل نبي أو هلاك أمة بأسرها ، يصبح قبيحاً ويصبح ذا مفسدة ويصبح فاعله مذموماً .

وقد أشار الله سبحانه ، إلى تأثير الجهات المحسنة والمقبحة ، وملاحظة الموازنة بينهما بقوله تعالى :

﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ﴾ .

ومن أجل ما أسلفناه ، يتضح لنا أنه لا مانع من كون الشيء الواحد حلالاً في حال ، وحراماً في حالٍ أخرى ، كأكل الميتة فإنه حرام بطبعه ، لأن فيه مفسدة ، فإذ توقف حفظ الحياة عليه صار واجباً ، لأن المفسدة الحاصلة من التغذي بالميتة ، تتضاءل في جنب مصلحة حفظ الحياة .

قال الله تعالى س٢ ـ ١٧٣ وس ١٦ ـ ١١٥ :

﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهلّ بـه لغير الله فمن اضطر غير باغٍ ولا عادٍ فلا إثم عليه إن الله غفورٌ رحيم ﴾ .

إختلاف الأحكام باختلاف الملابسات

قد يفهم بعض القراء ، من هذا العنوان أن الأحكام الإسلامية ، تتطور بتطور الزمن ، وأن كل زمان له من الشريعة ما يتناسب معه .

وهذا تفكير خاطىء ، لا حظّ له من الصواب ، فإن المسلمين متفقون على ما تضمنه الحديث الشريف :

حلال محمد« ص » حلال إلى يوم القيامة ، وحرامه حرام إلى يوم القيامة .

كما أن العلماء المحققين متفقون على حصر نوعية الأحكام في أمورٍ أربعة :

١ ـ الأحكام الواقعية الأولية ، كوجوب الصلاة والصيام وحرمة الكذب والظلم .

٢ ـ الأحكام الواقعية الثانوية ، كالأحكام الإضطرارية .

٣ ـ الأحكام التابعة للعناوين الثانوية كالأحكام المجعولة في موارد العسر والحرج والضرر .

٤ ـ الأحكام الظاهرية ، كالوظائف العملية المجعولة في ظرف الشك والجهل بالحكم الواقعي .

وإذا لاحظنا أنواع الأحكام الأربعة ، وجدنا النوع الثاني والثالث ناشئين عن أمورٍ عارضة، توجب إنقلاب الحال السابقة إلى حال جديدة ، ويكون لها حكم جديد غير الحكم السابق .

فالشعور بالمشقة والعسر ، يبيح الصلاة من جلوس ، وخوف الضرر من الصوم يبيح الإفطار في شهر رمضان ، وخوف الهلاك من الجوع يبيح أكل الميتة .

ومن هذا العرض يتضح أن كلاً من الإضطرار والعسر والحرج والضرر يغير نوعية الأحكام ، ويبدل إتجاهاتها .

ومنه أيضاً يتضح أن الظروف والملابسات ، وملاحظة العناوين التي توجب تعنون الشيء بعنوان حسن أو قبيح لها أهميتها في عالم التشريع .

ولكن الشريعة فوضت تشخيص الضرر والعسر والإضطرار للمكلف نفسه ، لأن خوف الضرر من الصوم المبيح للإفطار ، وخوف الهلكة المبيح لأكل الميتة ، والشعور بالمشقة من الوقوف المبيح للصلاة من جلوس ، أمور تنبع من أحاسيس الإنسان نفسه ، ومن أجل هذا فوضت الشريعة أمرها إليه .

أما تعيين الظروف والملابسات في باب التشريع ، فإنه حق للمشرع نفسه ، لأنه أوسع إحاطة ، وأعرف بالمصير ، ولو أطلق الشارع أمر التشريع للناس ، لكان كل إنسان له دين وله شريعة ، يستوحيها من ظروفه ، وينظر بعد ذلك للمجتمع من زاويته ، ولا سيما وأن عقول الناس متباينة ، ومداركهم متفاوتة ، وأن الشهوات محيطة بهم ، فتشق طريقها على أكتاف الشريعة والتشريع ، من أجل ذلك كله جعل المشرع الحكيم تعيين الظروف والملابسات بيده لا بيد الناس ، واعتبر السلطة التشريعية حقاً من حقوقه حماية للقانون ، من تحريف الإنتهازيين ، وتخليصاً له من إسفاف ضعفاء الفكر ، وحماية للمجتمع من انتشار الفوضى .

وكثير من عوام أهل العلم فضلاً عن أذكياء العوام ، يسمع بشيءٍ مما بسطناه في هذا الموضوع ، فيظن أن الشارع جعل للناس الصلاحيات الواسعة

في عالم التشريع ، فيجهد قريحته في الوصـول إلى المصالـح والمفاسـد ويرجـح ويخاصم وينتقد الأحكام أو الحاكمين ، وهو بذلك كحاطب ليل . يخبط خبط عشواء ، ومصيره عند الله أقبح مصير فإنه ضال مضلل .

الحسن والقبح العقليان

للباحثين في الحسن والقبح العقليين ، وفيما يتفرع عليهما من إثبات عدالة الصانع ، وعصمة الأنبياء ، وتبعية الأحكام للمصالح والمفاسد ، كلام ، وإتجاهات ، ونسب .

منشؤها قلة تدقيق أكثر الباحثين من جهة ، وسوء فهم كلمات بعضهم بعضاً من جهة أخرى ، والإشتباه في النقل من جهة ثالثة ، وإهتمام بعض أهل المذاهب في التهجين على الآخرين من جهة رابعة ، وتتبع مواطن الضعف في كلامهم من جهة خامسة .

وأسوأ من هذا كله ، نسبة شيء إلى أمة بكاملها ، بسبب مقالة عالم من علمائها به ، مع أن العلم مشاع ، والآراء حرة ، والانصاف هدف المحققين ، ولكن الأفهام متفاوتة ، ومن أجل تفاوتها يقع الإختلاف مع وجود التحقيق والإنصاف .

وأما المتعصبون ، فإنهم فصيلة أخرى .

والحقيقة : أن ههنا مسائل .

الأولى : أن المصالح والمفاسد هل هي ذاتية في الأشياء والأفعال أو أنها تابعة للعناوين والإعتبارات ، الحاصلة بسبب ملاحظة الظروف والملابسات ، أو أنها مختلفة ؟

والحق أنها مختلفة ، فقد تكون المصالح والمفاسد في بعض الأشياء ذاتية بمعنى كونها عللاً تامة في تأثير مقتضياتها كالظلم ، وقد تكون ذاتية بمعنى كونها اقتضاءات أولية ، وتؤثر أثرها ، إذا لم تقترن بالموانع والمزاحمات كالسم وقد تكون خالية من المصلحة والمفسدة فإذا طرأ عليها جهة من الجهات المحسنة صارت ذات مصلحة ، وإذا طرأ عليها جهة من الجهات المقبحة صارت ذات مفسدة، **فالأشياء إذن مختلفة**،منها ما هو علة تامة، كقبح الظلم ، ومنها ما هو ذو اقتضاء أولي ، كقبح الكذب ، ومنها ما هو ليس اقتضائياً أصلاً ، كأكثر الأمور ، وتُسمى في الشريعة مباحات .

الثانية : أن المدح والذم ، ليسا من الأوصاف اللاحقة للأفعال ، بل من الأوصاف اللاحقة للفاعل ، بواسطة الفعل .

الثالثة : أن الحسن والقبح من صفات الفعل ، لا من صفات الفاعل ولا من صفات ما في الفعل ، فالظلم فيه مفسدة ، وهو قبيح ، وفاعله مذموم ، والإحسان إلى اليتيم فيه مصلحة ، وهو حسن ، وفاعله ممدوح .

الرابعة : أن الحاكم العاقل والعادل ، هل يمكن أن يأمر عبده بشيءٍ فيه مفسدة عليه وعلى عبده ، من غير أن يكون فيه مصلحة لأحدهما ، أهم من المفسدة التي تصيب الآخر أو لا ؟ .

الخامسة : أن العقل هل يدرك الحسن والقبح أو لا ؟

وهذه المسألة ، هي العنصر الفعال ، في وقوع الخلاف في تبعية الأحكام للمصالح والمفاسد ، وفي مسائل أخرى ، ذات أهمية ، وهي مفترق الطرق ، **بين الشيعة والأشاعرة**، لأنها ترتبط بأصل العقيدة .

فعلى ضوء الإيمان بها نؤمن بعصمة الأنبياء وأوصيائهم ونعتقد بنزاهتهم عن إرتكاب الرذائل ، وعلى ضوئها نؤمن باستحالة الجبر ، وعلى ضوئها نؤمن بتبعية الأحكام للمصالح والمفاسد ، وعلى ضوئها نعتقد بوجوب إرسال الأنبياء ، ولزوم تعزيزهم بالمعجز ، وبوجوب نصب الأوصياء ، والنص عليهم ، وتعزيزهم بالكرامة ، وعلى ضوئها نؤمن باستحالة حكم الشارع في

المستقلات العقلية بما يخالف حكم العقل ، فهذه الأمور كلها تقوم على الإعتراف بهذه القاعدة ، وتنهار بإنكارها .

فالشيعة يقولون بالحسن والقبح العقليين ولهم أدلتهم ، والأشاعرة ينكرون ذلك ولهم أدلتهم .

ونحن وإياهم ، متفقون على أن كل ما أمرنا به الشارع فهو حسن ، وكل ما نهانا عنه فهو قبيح .

غير أن الشيعة يقولون ، بأن المصلحة سابقة على الأمر ، وهي سبب الحسن ، والمفسدة سابقة على النهي ، وهي سبب القبح ، سواء كان سبقهما تكوينياً أو لحاظياً[1] ، وأنه لولا وجود المصلحة في المأمور به لما أمرنا به الشارع ، ولولا وجود المفسدة في المنهي عنه لما نهانا عنه الشارع ، فالأمر والنهي واقعان في سلسلة المعلولات للمصالح والمفاسد ، ونحن بعد ورود الأمر والنهي ، نستكشف وجود المصلحة والمفسدة في متعلقيهما ونؤمن بذلك وإن لم نتوصل له تماماً بعقولنا .

وأما الأشاعرة ، كما يظهر من كلامهم المحكي عنهم ، فإنهم يقولون بأنه قبل وجود الأمر لا مصلحة ، وقبل وجود النهي لا مفسدة ، وبأن العقل لا يدرك شيئاً من المصالح والمفاسد ، وبأن الحسن ما حسّنه الله والقبيح ما قبحه الله ، فتكون المصالح والمفاسد على تقدير إعترافهم بها ، واقعتين في سلسلة المعلولات للأمر والنهي .

ولو وقف الخلاف عند هذا الحد ، لم يكن مهماً ، لأنه خلاف علمي محض ، وليس له ثمرة عملية ، لأنه لا يتصل بعمل الناس بوجهٍ من الوجوه .

ولكن إنما أعاره العلماء طرفاً من الإهتمام ، لأنه ينتهي بأمر آخر ، له أهميته ، وله وزنه ، وهو وجوب تأويل ما يرد في الشريعة من الأوامر والنواهي

---

(١) تكويني كقبح الظلم ، ولحاظي كقبح الصدق المستوجب لهلاك أمته .

المخالفة لحكم العقل، وهذا باب من أبواب الإجتهاد طبعاً ، وإليه يرجع جعل العقل من الأدلة الشرعية .

فالشيعة يقولون : يمتنع عقلاً أن يأمرنا الشارع بفعل ما يستقل العقل بقبحه كالظلم ، أو ينهانا عن فعل ما يسقل العقل بحسنه ، كالإحسان لليتيم ، ويقولون بأنه لو ورد في الأدلة اللفظية ، ما يظهر منه ذلك ، وجب تأويله ، إن كان قطعي الصدور ، كالكتاب الكريم ، والسنة المتواترة ، وأما إذا كان ظني الصدور ، فإنه يجب تأويله أو طرحه .

وبعد هذا كله ، يتضح لنا أن القول بتبعية الأحكام للمصالح والمفاسد، قول يسير مع المنطق جنباً لجنب ، وأن هذه النظرية من النظريات الواضحة ، التي لا ينبغي أن يختلف فيها إثنان من أرباب الفكر .

ويدلك على هذا ، أن كل ناشيء من المسلمين وغيرهم عندما ينفتح أمامه باب الفكر ، يتجه بفطرته للبحث عن المصالح والمفاسد والمضار والفوائد ، التي تنطوي عليها أنظمة الإسلام وتعاليمه .

كما أن كل من يحاول فهم الإسلام ، يتجه قبل كل شيء لهذه الناحية .

كما أن من يعتنق الإسلام ، ومن سائر أهل الأديان ، يعتنقه غالباً على هذا الضوء ، لأنه يجد تعاليمه العالية ، توافق أحدث المكتشفات ، وآخر ما توصل إليه الفكر البشري ، من العلاجات للفرد ، وللعائلة ، وللجماعات ، من حيث الأخلاق ، والسياسة ، والإقتصاد ، والصحة .

كما أن خصوم الإسلام ، عندما يحاولون الطعن فيه ، يركزون أهدافهم ، على إنكار الحكمة والمصلحة في بعض أنظمته .

إن هذا كله يدلنا على أن تبعية الأحكام للمصالح والمفاسد فطرية ، يدركها العقل كما يدرك سائر الأمور الواضحة .

ثم إن أهل الرأي ، ونعني بهم ، الفقهاء الذين يرجعون إلى الإستحسان ، عند فقد النص ، من الكتاب والسنة ، وهم من غير الشيعة

طبعاً ، قائلون بالتبعية من حيث لا يشعرون ، لأن إنكار التبعية ، لا يتفق مع الرجوع للإستحسان ، الذي هو حصيلة ملاحظة المصالح والمفاسد ، المترتبة على الأفعال .

والفرق حينئذٍ بين علماء الشيعة ، وبين هؤلاء ، أن علماء الشيعة يقولون : إنّ الله سبحانه هو الذي يعلم المصالح والمفاسد ، وأنه بمقتضى لطفه وحكمته ، ورحمته ورأفته ، ركز أحكامه عليها ، وأن الآخرين يقولون : بأن الفقيه ، هو الذي يلاحظ المصالح والمفاسد ، ويركز نظرياته عليها ، ويشرع الأحكام من أجلها .

ومن أجل هذا يقول هؤلاء بالتصويب ، ويعنون به ، أن ما يراه المجتهد ويختاره ، هو حكم الله تعالى في الواقع ، فلو أن عدداً من الفقهاء اختار كل منهم ما يخالف الآخر ، كانوا كلهم مصيبين ، وكان عملهم حقاً .

أما الشيعة ، فإنهم لا يوافقون على ذلك ، بل يقولون أن لله سبحانه حكماً واحداً في كل واقعة ، قد يصيبه المجتهد ، وقد يخطؤه ، وقد اشتهر على ألسنة كتاب المسلمين ، أن للمجتهد المخطىء أجراً واحداً ، وللمصيب عشرة ، وهذا نفسه دليل على صحة مذهب الشيعة في باب التخطئة والتصويب .

ونحن على ضوء هذه الأبحاث نحاول فهم الأنظمة الإسلامية التي تطوف حولها الشكوك ، ونبحث عن المصالح والمفاسد المترتبة عليها ، ثم نحاكمها محاكمة دقيقة .

الإسترقاق في الإسلام
هل الإسترقاق مشروع في الإسلام ؟
وما هي الحكمة في تشريعه ؟

وكيف يستعبد الإنسان أخاه الإنسان ، وهل ترضى الشريعة بما لا يرضى به الضمير ؟

هذه أسئلة وجهها إليَّ إنسان فاضل[1] أيام شبابي ، منذ عهد بعيد ثم تكرر توجيهها من آخرين في أزمنة مختلفة تتخللها الفترات .

وقد افترقنا بعد أخذ ورد وكأنا لم نفترق ، لأن الفكر بقي يطوف حول المشكلة ، وينقب عن خفاياها العميقة ، والفكر جندي مسخر ، تسخره غريزة حب الإطلاع ، ومن أجل ذلك يتجشم الرحلات البعيدة ، في سبيل فهم أيسر النظريات ، وهو من أجل ذلك أيضاً يحاول أن يكتشف حركات النملة والنحلة والحشرات ، كما يحاول أن يكتشف غوامض الكون ، وأسرار الطبيعة ، ويحاول أن يعرف ما في تخوم الأرض وأعماق البحار ، كما يحاول الوصول إلى القمر والمريخ ، ولكن مهما شككنا في شيء فلا نشك في أن كل كائن يهتم في حفظ ذاته ، ويعمل على حساب نفسه والإنسان يسير في ركب هذه الكائنات .

فالإنسان صديق نفسه قبل كل شيء ، بحكم طبيعة الكائنات ، وعلى

(١) هو الطبيب المعروف في النجف الميرزا صادق الخليل النجفي المتوفى سنة ١٤٠٥ هـ تقريباً .

حساب هذا الصديق يحب الآخرين ، فهو على حساب نفسه التي هي صديقه الأول يحب ولده ووالده ، وأهله وأرحامه ، وقد قال الحكماء من قبل : القرابة تحتاج إلى صداقة ، والصداقة لا تحتاج إلى قرابة .

ولهذا كان الإنسان يبتعد عن كل من يزاحمه في موارد حياته ، وقد يهاجمه ويدافعه ، فالإنسان إذن صديق نفسه قبل كل شيء ، وعلى حساب هذا الصديق ، يصادق الآخرين ويحبهم . وعلى حسابه يبتعد عمن يضره .

وهذه الظاهرة تتجلى في الإنسان والحيوان على السواء ، فإن طبيعة الكائن تدعوه لحفظ ذاته . بل يمكننا القول بأن جميع الموجودات كذلك . ومن أجل ذلك نتنازع البذور التي يدفنها الفلاح في التراب مع التراب ، فالتراب إذا تغلب على بعضها أحالها تراباً ، والبذور إذا تغلبت على التراب استهلكته وجعلته جزءاً من ذاتها .

وبعد هذا يمكننا توجيه السؤال الآتي إلى هذا السائل نفسه فنقول له : لو خُيّر الجندي المجهد الذي يعاني الجروح والقروح ، وهو في ساحة المعركة ، بين الحياة والموت ، وبين القتل أو الأسر ماذا يختار ؟ هل يؤثر الموت على الحياة ، أو يؤثر الحياة على الموت طمعاً بأن يعود إلى حليلته وبنيه وأمه وأبيه ، ويستمتع بهم ويستمتعون به ؟

كان الجواب عند العقلاء واضحاً ؟! .

ثم لو فكر هذا الجندي مرة أخرى ، وتنبه إلى أنه إذا آثر الموت على الحياة حُرم هو وذووه من كل ذلك ، وهُزمت عشيرته وأُمته ووطنه ودولته من الإنتفاع به إلى الأبد ، وأما إذا آثر الحياة مع الذل والأسر طمعاً بأن يتحرر يوماً ما ، وبأن ينجب البنين والبنات ، والأحفاد والأسباط ، ثم يصبحون جنوداً ينصرون عشائرهم وأوطانهم ، وأديانهم ومبادئهم ، لو تنبه إلى ذلك كله ماذا يختار ؟ ولو استشار قائده ، وسادته بماذا يشيرون عليه ؟ ـ أجل إن الجواب عند العقلاء واضح .

وقبل هذا الإسهاب في الجواب ، نجيب عن هذا السؤال بجواب موجز

فنقول : كانت أبواب الإسترقاق قبل الإسلام مفتوحة على مصراعيها ، وكانت أسبابه كثيرة ، وكان كل من استطاع الإستيلاء على شخصٍ من البشر يسترقه ويستعبده ثم يستغله أو يبيعه ويستمتع بثمنه كما يبيع سائر السلع ، ولما أشرق فجر الإسلام ، واستنشق العالم رائحة الحرية والرحمة ، وجد العالم غير مهيىء للمفاجأة بالغاء الرق ، لذلك ألغاه بطريق غير مباشر فسد جميع تلك الأبواب وأبقى منها باباً واحداً مفتوحاً للإسترقاق لحكمة بالغة ، وفائدة عظيمة كما ستعرفه في الجواب المفصل ، ثم فتح في مقابل هذا الباب مائة باب للعتق ، فأوجب على من يرتكب معصية واحدة من شطر من المعاصي المخالفة للدين أن يشتري عبداً ويعتقه كفارة عن ذنبه ، وعندما نستعرضها ، سيعرف القارىء أن معظم المسلمين لم يسلموا من الوقوع في بعضها ، ويعرف الجميع بعد ذلك أن الأبواب المفتوحة للعتق فيها مكافحة هادئة وإعلان حرب صارخة على الإسترقاق .

أما الباب المفتوح للإسترقاق فهو باب واحد ، وهو أسر الكتابي الذي يشهر حرباً على المسلمين ، فإنه إذا أُسر في هذا الحال يخير بين الإسلام والإسترقاق والفداء . .

وأما أبواب التحرر فكثيرة جداً منها :

أن يمن عليه ولي المسلمين فيطلقه ، ومنها عتقه فإن الإسلام رغب في العتق ترغيباً وجعله في أعلى مراتب الأمور المدرب عليها ، ويشهد لذلك النصوص المتواترة التي بلغت من الكثرة والإنتشار في كتب الحديث حداً أصبح من الصعب معه أن يشير الباحث إلى مواردها فضلاً عن استقصائها .

وإليك بعض الموارد التي يجب على المسلم أن يعتق فيها رقبة ، إما بأن يعتق عبداً ملكه ، أو يشتري عبداً من ماله فيملكه ثم يعتقه ، أو ينهبه من غيره ويملكه ثم يعتقه ، أو يعتقه غيره عنه .

- من قتل نفساً كان من جملة كفارته أن يعتق رقبة .

- ومن أفطر يوماً واحداً من شهر رمضان من دون عذر ، كان من جملة

كفارته أن يعتق رقبة ، فمن أفطر ألف يوم مثلاً ، وجب أن يشتري ألف عبد ويعتقهم .

ـ ومن حنث في نذره كان من جملة كفارته وجوب عتق رقبة، فلو نذر ألف نذر وحنث وجب أن يعتق ألف رقبة .

ـ ومن حلف يميناً وحنث وجب عليه العتق في بعض الحالات ، ولو تكرر الحلف والحنث تكرر العتق .

ـ ومن لم يفِ بعهده ، وجب عليه العتق ، في بعض الحالات ، ولو تكرر ، تكرر العتق .

ـ ومن ظاهر زوجته وجب عليه العتق ، ولو تكرر تكرر ـ ووو .

ويطيبُ لي أن أذكر أو أعرض صورة للمقارنة بين الرق والأسر وذلك لأن القوانين الحديثة حرمت الرق ، وأباحت الأسر .

أيها القارىء :

إن الأسر هو أول مراحل الإسترقاق وأصعبها ، ولكن الدول بأسرها متفقة على شرعية الأسر، وتكاد تكون متفقة على تحريم الإسترقاق .

ولا ريب أن مشروعية الأسر في ساحات الحرب باب من أبواب استنقاذ حياة الإنسان وهو من أجل ذلك أصبح مشروعاً عند الدول ، كما أن الشرائع الدينية تبيحه وترجحه إذا كان القتال مشروعاً فضلاً عما إذا كان غير مشروع .

ولولا مشروعية الأسر لكان هم الجندي القوي هو القضاء على الجندي الضعيف بأي وسيلة من الوسائل ، وإذا عرفنا أن الذي يأسر جندياً أو أكثر ، في ساحة المعركة يحصل على مكافأة مالية ، أو ترقية عسكرية ، عرفنا أن السبب في ذلك هو الإهتمام في حفظ أرواح البشر ، ولا ريب أن هذا عمل إنساني شريف .

ويوجد من الأُسراء اليوم في العالم ، وفي كل يوم عشرات الألوف ، ففي إيران والعراق وحدهما عشرات الألوف من الأسرى فضلاً عن غيرهما من الدول

مما لا نعرفه ولا تسمع به ، لأنه لا يرتبط بنا .

وهذا بالنسبة للحروب الصغيرة بين أمم أصغر من غيرها ، أما في الحروب العامة فحدث عن عدد الأسرى ولا حرج ، ولو قارنّا بين حياة الأسراء ، وحياة الأرقاء ، لوجدنا حياة الأرقاء أفضل بكثير .

إن الأسير لا يستطيع التفاوض مع من أسره ، ولا مع الدولة التي أسرته ، بل تكون المفاوضة بين دولتي الآسر والمأسور ، فهو إذن لا يملك من أمر نفسه شيئاً .

وإن الاسير يعيش في معتقل محاط بالأسلاك الشائكة ، أو بما هو أشد منها حصانة ، ولا يقدر أن يأكل أو يلبس إلا ما تجود به عليه الدولة التي هو أسير عندها ، وكل القراء الذين يقرأون الصحف ، ويستمعون الإذاعات يعرفون عن أوضاعهم المتردية شيئاً .

وأن الأسير لا يستطيع الزواج ولا الإتصال بزوجه إذا كان له زوجة ، ولا ببنيه ولا أبيه ولا أمه ، ولا بأخوته ولا بأرحامه ، وأصدقائه وخلانه ، ولا التحدث معهم ، ذلك كله لأنه أسير ، وأي كبت أعظم من هذا الكبت .

ومع ذلك فمعظم الأسراء ، أو شطر منهم يستدعى بين الحين والآخر للإستنطاق والإستجواب ، ويتعرض للضرب والإهانة والسخرية، وللإستهزاء به وبدولته ، مع أن هؤلاء الأسرى الضعفاء لم يمارسوا الجريمة باختيارهم ، وإنما زجهم فيها غيرهم ، وأن الأسير ممنوع من حرية العمل وحرية القول وحرية الإكتساب ، وحرية التنقل ، وسائر الحريات التي يتمتع بها غيره ، حتى مراجعة الطبيب وحرية ممارساته الدينية في معظم الحالات .

أجل أننا إذا لاحظنا حياة الأسير وحياة العبد ، وجدنا فرقاً شاسعاً ، فإن العبيد أحرار بالنسبة لكثيرٍ من هذه الأمور ، لأن العبيد الذين يملكهم الأمراء والقواد وذوو الشأن يكون لهم من النفوذ والسلطان والرفاه في العيش ما لا يحلم به معظم أحرار البشر .

نعم إذا كانوا عند سائر البشر فإنهم يكونوا شركاء لهم في العمل والعيش

وشركاء لهم في حياتهم الخشنة ، ولا ريب أن طباع الناس مختلفة فمن الناس من يتمتع بالسخاء والرحمة مع بنيه ورحمه وجاره وشريكه وعبيده ، ومنهم من هو على خلاف ذلك ، ولا ريب أن الموكلين بالأسراء يكونون بحسب العادة من هذا القسم .

أيها القارىء .

لا ريب أن أبواب الأمل والفرج مفتوحة أمام الذين يسميهم الناس عبيداً ، وهي أبواب واسعة شاسعة ، وأما الأسرى فإنه ليس أمامهم إلا باب واحد للفرج ، ولكنه ضيق إلى أبعد حد من حدود الضيق ، وذلك الباب هو إتفاق الدولتين على الإفراج عنهم إذا شملهم الحظ ، فإن الدولتين قد تتفقان على عدد محصور في وقتٍ معين ، ثم قد ينفذ ذلك الإتفاق وقد لا ينفذ ، وقد يكون الأسير ممن شمله ذلك الإتفاق ، وقد لا يكون .

أجل إن الذي أفطر يوماً من شهر رمضان أو أياماً ، يستطيع شراء عبد أو عبيد ويعتقهم كفارة عنه .

ولكن زوجة الأسير ووالديه وأقربائه وأحبائه ، لن يستطيعوا إنقاذه وإن بذلوا من المال مهما بذلوا .

وإن الذي حلف وحنث ، أو نذر وحنث ، أوعاهد وحنث ، يستطيع أن يشتري عبداً ويعتقه .

ولكن دول الأرض غير الدولتين المتخاصمتين ، لن تقدر عن الإفراج عن أسير واحد قبل حصول إتفاق تلك الدولتين .

إلى هنا يتضح للقارىء أن العقول التي حرمت الإسترقاق رحمة بالإنسان كانت تفكر في سعادة الإنسان ، ولكنها ما كانت تبصر أبعاد الطريق الطويل ، وإن الإسلام كان يعرف الطرق كلها ، ويحيط بمبتداها ومنتهاها .

إن الذين يتطوعون بعتق العبيد ، والذين يوصون بعتق العبيد ، والذين يوصون بالأموال الطائلة لشراء العبيد وعتقهم عدد في الناس لا يستهان به ،

ولكن هذا العدد نفسه لو اجتمع هو وعدد آخر مثله : لن يستطيعوا الإفـراج عن أسير واحد في العالم ، لأنهم لا يسمح لهم بالإتصال بالدول الآسرة ، فضلاً عن الإتفاق معهم على الإفراج عن أسير من الأسراء .

كان الإمام زين العابدين (ع) علي ابن الحسين (ع) يعتق في كل يوم من شهر رمضان عبداً ، فإذا كان يوم العيد اعتق بقدرهم ، أو أكـثر ، وكان كثير من المسلمين قبله أو بعده ، يفعلون ما يشبه هذا الفعل .

وما أكثر الأثرياء المحسنين في هذا الزمان ، وما أكثر المستعدين لبذل المال في سبيل الإفراج عن الأسرى أو عن بعضهم ولكن أنى لهم بذلك .

ولا شك أن كلا من الأسر والإسـترقاق قبيـح ، ولكن الإنسان الشريـر الذي يتحاكم إلى البندقية والسيف ، أشد قبحاً منهما ، وهذا الإنسـان الشرير بـطبعه ، لا بـد وأن يرتكب الجـريمة ، ولا بـد من وقـوعـه في إحـدى هـذين القبيحين ، ومن أجل ذلك أباحت الشريعة أخفهما قبحاً .

ولو أن الشرائع حرمت الأسر ، وحرمت الإسترقاق لكان هم الوحـوش البشرية حرمان خصومهم الضعفاء من الحياة ومحوهم عن الوجود .

وفي النهاية نقول لهذا السائل : ارجـع إلى ضميرك وفكـر فيما قلنـاه لك وكن أنت الحكم واختر ما يحلو لك . ودع لنا ما اخترناه .

من فلسفة التشريع الإسلامي

الإهتمام في حماية صحة الفرد والمجتمع في الإسلام
النجاسات وسائر المحرمات

قالوا : أن باستور إنزوى في غرفة عمله مع معاونيه ، وأخذوا مكبراتهم بأيديهم يتحرون الأوبئة الفتاكة التي تفتك بألوف البشر ، حتى أكتشف المكروب ، وأنواعه وأسباب نموه ، ووسائل أفنائه ، فأفاد البشر فائده عظيمة .

ولا ريب أن باستور يستحق التمجيد والشكر ، ولكن ذلك لا يمنعنا من القول بأن الإسلام سبقه بثلاثة عشر قرناً ، وإذا كان باستور يخطىء ويُصيب ، فإن الإسلام يُصيب ولا يخطىء لأنه من صنع السماء .

إن الشريعة الإسلامية لم تكن روحية فحسب ، بل كانت شريعة إنسانية تحاول أن تعيش حيث عاش الأنسان ، وتحاول أن تربط الأنسان بالله في جميع الأحوال ، وكانت في الوقت نفسه شريعة روحانية كأعظم الشرائع ، فإنها بروحها وجوهرها لا تقدر عملاً من الأعمال ما لم يقصد به وجه الله سبحانه ، ليكون الأنسان صديق الأنسان ، وصديق نفسه ، وصديق الله في كل عملٍ يعمله قبل كل شيء وتكون حصيلة ذلك أنه ليس له أن يمن على أحد بالخير الذي يعمله ، وأنه ليس له أن يطالب المجتمع بثمن جهوده بل عليه أن يشكر الله سبحانه وبطلب أجره منه وفي ذلك من الفوائد ما فيه .

والإسلام يعتني بالصحة العامة ، والخاصة ، كأعظم جمعية إنسانية ،

وسنعرض لقرائنا هذه المرة نبذة من الأنظمة الصحية في الاسلام ، ثم نقارن بينها وبين أحدث النظريات الصحية الحديثة ، التي يعتمدها الأخصائيون ، ومع ذلك ، فنحن نعتقد أن العلم لا يزال في طريق الأكتشافات ، أما الأسلام فقد أنهى هذه المراحل كلها ، ومع ذلك فإن الشريعة لم تُكتشف بوضع النظام الصحي فقط بل إهتمت في تطبيقه كإهتمامها في تطبيق أنظمتها السياسية والأدارية والروحية وأعتبرت من تهاون في شيء من ذلك كله مجرماً يستحق العقاب ، وأقل العقوبات حرمانه في الدنيا من الحقوق المدنية فلا يتولى القضاء ، ولا يأم المسلمين في الصلاة ولا تُقبل شهادته ، ولا حديثه ولا فتواه ، ويضاف إلى ذلك كله الوعد والوعيد فقد وعدت الشريعة المطيع بالثواب ، وأوعدت العاصي بالعقاب ، وفي الوقت نفسه فتحت باب بالتساهل والتسامح ، فجعلت التوبة باباً من أبواب التخلص من تبعات مخالفة القانون ، وباباً من أبواب العودة إلى صفوف المؤمنين المقبولين ، ونستطيع أن نجمع الأنظمة الصحية ، التي وضعتها الشريعة الأسلامية في العناوين الآتية :

١ ـ النجاسات ٢ ـ المطهرات ٣ ـ المآكل المحرمة ٤ ـ المشارب المحرمة ٥ ـ آداب المائدة ٦ ـ الزواج المحرم ٧ ـ الفيتامينات ٨ ـ الحمية ٩ ـ الطب والدواء .

=١=النجاسات قسمان ـ خبثية وحدثية .

النجاسات الخبثية ، تنحصر في أمورٍ معدودة وهي :
البول * الغائط * الكلب * الخنزير* الميتة * الدم * المسكر * المني * الكافر * عرق الجنب من حرام * عرق الأبل الجلالة *

وسنتحدث في ما يأتي عما تحمله النجاسات من الجراثيم الضارة ، وعما يتولد بسببها من العدوى ، وعما يشتمل عليه الأمر بهجرها من المصالح ، ولسنا نعتقد بأن الغرض الوحيد الملحوظ للشارع في مقام تشريعها هو الجهة الصحيّة فقط ، بل نعتقد أن الملحوظ أوسع من ذلك ، وإنها تضع الحدود الفارقة بين الإنسان والحيوان ، وأنه بها وبأمثالها يرتفع مستوى الإنسان عن مستوى الحيوان والبهائم والوحوش الخ .

البول والغائط :

تعد الشريعة الإسلامية البول والغائط من النجاسات ، إذا كانا من حيوان محرم اللحم ، وكان له أوداج تشخب دماً حين الذبح [1] ، ولم يكن من الطير وقد أثبتت الإكتشافات في هذا العصر أن البول والغائط يحملان من الجراثيم ما لا يحملها غيرهما من الفضلات كالريق والعرق ، ولا تزال الصحف والأذاعات والنشرات الصحية تحذر الناس من الجراثيم المنتقلة بواسطة البول والعذرة ، وثبتت التعاليم الكثيرة للتخلص من أضرارها وهنا لا بد لي من طريفة حدثت .

قرأت في سنة ـ ١٩٣٢م ـ ١٣٥٠هـ في جريدة الأحرار البيروتية ، فصلاً مضحكاً ، عن حيات الجريذي ، وذكر الكاتب أثناء هذا الفصل أن أمانة العاصمة في بيروت أعلنت حرباً على الجرذان ،وإهتمت في إبادتها ، فكانت تدفع لمن يأتيها برأس جريذي واحد خمس قروش سورية [2] ، وإنها ، قلدت باريس بهذا العمل ، ومن أجل ذلك إهتمت بيروت في قلع الصبير لأن الجريذي يتخذه مسكناً له .

من فلسفة التشريع الإسلامي

ثم ذكر الكاتب أن سببب أتفاق العاصمتين على محاربة الجريذي ، هو أنه أول حيوان يُصاب بالطاعون أو إنه يحمل جراثيم الطاعون ، وأن البق والبرغوت يجتمع مع الجريذي لصداقة بينهما ، فإن البق كثيراً ما يتخذ صوف الجريذي عشاً له ، وبعد ما يكتمل ويطير تكون إبرته ملوثة بذلك الجرثوم الكائن في الجريذي فيُلقح الإنسان به وتسرى العدوى وينتشر الطاعون .

---

(٢) فائدة : كانت العملة في ذلك الوقت مشتركة بين سوريا ولبنان وكانت الليرة تُسمى ليرة سورية ، وكانت كل خمس ليرات ونصف سورية ، تُعادل ليرة عثمانية ذهباً ، فكانت قيمة كل مابة وعشرة رؤوس من رؤوس الجريذي ، تُساوي ليرة ذهبية عثمانية ، والليرة العثمانية اليوم في سنة ١٩٨٩ م ـ تعادل نحو ستين الف ليرة لبنانية اليوم ، فيكون رأس الجريذي الواحد نحو ثمانماية ليرة .

وفي أثناء قراءتي تذكرت أنني في طفولتي كنت أستغرب عندما أسمع الناس يقولون بعرة الفار نجسة ، فإذا وقعت في سائل حرم أكله وشربه مهما كان جنسه ، ومهما كانت قيمته ، وكانوا يقولون أن بعرة الضأن طاهرة ، فكنت أسائل نفسي عن السبب ، ولا أهتدي للجواب ، وأخيراً إستسلمت للتقليد ، وللخضوع للشريعة ، ولكن بعدما إنتهيت من قراءة هذا الفصل ارتفعت مقاييس الإيمان في نفسي ، وأيقنت كل اليقين بما يهدف إليه الأسلام ، وأن شريعة الإسلام من صنع السماء لا من صنع البشر ، لأن البشر لا يميز بين بعرة الفأر وبعرة الشاة .

إن الإسلام أتخذ التدابير الكثيرة ، للوقاية من مكروب الطاعون وأشباهه ، واستغنى بذلك عن إعلان الحرب على الجرذون . وتركه يعيش حراً بسلام ، لأنه قد يكون مسخراً لجهات نافعة للإنسان .

إن الإسلام أمر بغسل النجاسات بالماء بعد إزالتها إزالة تامة ، عن البدن والثوب والآنية ، وحرم أكل ما يتلوث بها ومنع من شربه ، وأمر بغسل الأناء الذي يموت فيه الجريذي سبع مرات .

وإذا لاحظنا ذلك كله ، تعجبنا لماذا يغسل هذا الإناء سبع مرات دون ما عداه ، ووجدنا الماء ذا أهمية في إبادة هذه الجراثيم الضارة ، بواسطة إبعادها عن البدن والثوب والمطعم والمشرب .

وإذا لاحظنا الأهتمام في نظافة الآنية والمطعم والمشرب بالخصوص ، علمنا أن الفم هو الطريق المهم لنقل الجراثيم إلى الأعضاء الرئيسية ، وإن الشريعة إنما إهتمت فيه من أجل ذلك .

وقد إهتم الشارع في الفم أيضاً إهتماماً زائداً ، فأمر بالخلال بالاستياك بعود الاراك ، وإلا ففي عود الرمان ، وإلا ففي أي عود رطب ، وإلا فبالخرقة والإصبع ، وأمر به قبل الوضوء ، وعند الإنتباه من النوم ، وعقيب كل صلاة ، كما إنه أمر بالإبتداء قبل الطعام بأكل الملح والاختتام بعده بالملح ، ولا ريب أن السواك والملح والخلال ، من أعظم المطهرات للفم من جهة ،

وفيه محـافظة عـلى راحة النـاس عندمـا يلتقي بعضهم ببعض ، فإن الذين يهملون هذه الأمور ، تصعب مجالستهم والتحدث معهم بسبب الروائح الكريهة التي تصدر عنهم .

* * *

من فلسفة التشريع الإسلامي
الماء وبعض أحكامه في الإسلام

الماء عنصر من عناصر الوجود ، وهو المادة الأولى للحياة لأنه يساهم أعظم مساهمة في تكوين الإنسان والحيوان والنبات ، وقد جمع الله سبحانه ذلك كله في القرآن في آية واحدة بقوله تعالى : ﴿ **وجعلنا من الماء كل شيء حي** ﴾ ، [س ٢١ ـ ٣٠] فالماء من أفضل النعم التي منّ الله بها على هذا الخلق .

وروى صاحب العقد الفريد أن ملك الروم طلب من الخليفة معاوية بن أبي سفيان أن يرسل له من بذور كل شيء فلم يدرِ ما يصنع فبلغ ذلك بعض أهل البيت عليهم السلام فقال له ؛ إبعث له قارورة من الماء . ألا تسمع قول الله عز وجل : ﴿ **وحلقنا من الماء كل شيء حي** ﴾ ففطن معاوية لذلك ثم فعل ،فتعجب ملك الروم وقال : هذا شيء لا ينبغي أن يكون إلا من بيت النبوة ، ولم يكن قد علم أن الذي أشار عليه به هو من بيت النبوة .

وقد إعتنى الإسلام بالماء عناية كبيرة ، فجعل الماء الموجود بطبعه في الأنهار والعيون والآبار من المباحات الأصلية التي يشترك فيها جميع الناس على أختلاف مللهم ونحلهم وحرم منعها عن من يحتاجها لنفسه أو لزرعه أو لحيواناته ، إلا إذا كان قد حازه لحاجته .

والماء الذي يكون مملوكاً للإنسان بإيصاله من النهر لأرضه أو بإستنباط من باطن الأرض كالآبار الإرتوازية أو بجمعه من المطر أو بحيازته من الأنهر والعيون والآبار في ظرف أو آنية إو غيرهما فهو ملك لمن حازه ولا يجوز لأحد مزاحمته فيه

كل ذلك وإحتراماً لعمل العامل ، وتحريكاً للآخرين على العمل وإعلان حرب باردة على البطالة أو البطالين بشكل هادىء .

ثم إن الشريعة الإسلامية وجهت عنايتها للماء مرة ثانية فنهت عن إفساده وجعلت إتلافه بلا فائدة من التبذير والتبذير أسوأ من الإسراف ، ونهت عن البول فيه ولا سيما إذا كان راكداً . وقد إكتشف العلم الحديث أن البول في الماء يورث البلهارزية وهو مرض خبيث يوجب بول الدم وينتهي بنهايات رديئة .

ثم نظرت الشريعة للماء نظرة ثالثة فربطته بحياتنا الدينية ربطاً محكماً فجعلت الطهارة من الأخباث والأحداث شرطاً في صلاتنا ومطعمنا ومشربنا ، وجعلت الماء من المطهرات فإذا تلوثت بعض أعضائنا أو أمتعتنا وغسلناها بالماء صارت طاهرة ، وكانت صلاتنا صحيحة ، وإذا صلى أحدنا بدون غسل بدنه وثيابه إذا كانا نجسين كانت صلاته باطلة وغير مقبولة ، وقد أقر العلم الحديث والطب نظرية التطهير بالماء .

صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والشواهد على صدقه كثيرة ، وأقلها بعض الأحاديث التي ينفرد بها أهل بيته عن جميع الصحابة وسائر المسلمين ، ونعني بها تلك الأحاديث التي إكتشف العلم أسرارها .

لقد كنا نحن معاشر علماء الدين،نروي الأحاديث المتضمنة للنهي عن البول في الماء ونحدث بها المؤمنين ، وننهي الناس عن البول فيه ، وكنا جميعاً نعتقد أن الهدف من ذلك هو حماية المياه من التقذير والتلوث .

ولم يكن يخطر في بال الإنسان القديم أو المعاصر أن البول في الماء يوجب إصابة البائل بمرض البلهارزيا مع أن هذا المرض كان موجوداً من قبل ، ولكن لم يخطر في بال الأطباء القدماء ،فضلاً عن غيرهم أنه مسبب من البول في الماء .

إلى هنا يتضح لنا أن الدين والعلم توأمان ، وأن الإكتشافات الحديثة جاءت متأخرة لتقنع أهل هذا العصر بأن الإسلام بوجه عام هو وحي من الله سبحانه ، وبأن مذهب الشيعة بوجه خاص هو المذهب الصحيح من بين

المذاهب الاسلامية .

وإليك بعض ما تتضمنه الأحاديث الشريفة بالنسبة للبول في الماء

قال الإمام الصادق (ع) : ولا تبل في ماء نقيع ، فإنه من فعل ذلك فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه ، ومن فعل شيئاً من ذلك لم يكد يفارقه إلا ما شاء الله .

وبعض النصوص خوفت من يفعل ذلك بالإصابة بالجنون ـ وبعضها تضمنت أمراً أغرب ، فيها قوله (ع) ، أن للماء أهلاً فلا تؤذهم[1] ، ولعلها تشير إلى أن الماء مملوء بالأحياء والمخلوقات النافعة ، وإنها إذا تلوثت بالبول تحولت إلى جراثيم ضارة وإنها إذا أوذيت دافعت عن نفسها ، ودخلت البدن من طريق مخرج البول مثلاً ، وربما تتحول إلى جراثيم تؤذيه ينشىء بسببها مرض البلهارزيا .

وهذا الحديث وأمثاله يشهد بأن أهل البيت والقرآن الكريم هما المنطلق الأساسي للاسلام ـ بعد النبي (ص) وقد قال رسول الله (ص) : إني مخلف فيكم الثقلين ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبداً ، وقال (ص) : مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح ، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى .

ومن هنا يتضح أن من حاد عن القرآن الكريم وعن أهل بيت النبي يميناً أو شمالاً ، أو تقدم عليهما أو تأخر عنهما ، كان بعيداً عن الإسلام الكامل كل البعد .

ومن فلسفة التشريع أيضاً :

زرت العلامة السيد مرتضى العسكري في منزله في بغداد أنا والمرحوم

(١) الوسائل م١ ص ٢٤٠ باب ٢٤ من أبواب أحكام الخلوة الحديث السادس .

العلامة العزيز السيد مهدي الحكيم[1] وتناولنا طعام الغداء عنده ، ولما حضرت المائدة استدعيت الملح ، فقال لي السيد مرتضى كأنك : تحب الملح ؟ فأجبته : الملح صديق لي ، ولا أحب أن تفرق بيني وبين أصدقائي .

ثم كررت الطلب ـ فأعاد السؤال وأعدت الجواب ـ .

فقال لي وهو رجل هادىء الطبع لين الكلام : ومن قال لك أني أفرق بينك وبين أصدقائك ؟ فقلت له : قلما جلست على مائدة واستدعيت الملح إلا وفاجئني واحد بل آحاد ببيان أضرار الملح وحاول إرشادي إلى تركه ، أما إذا كنت كما تقول فهات ، ثم حضر الملح وسكت ثم حدث وقال :

لي صديق طبيب يعمل في بعض المستشفيات ، تحدثت معه فحدثني عن المكرسكوب وإنه يكبر الشيء مئات ألوف المرات أو أكثر ، فقلت له : أني أود رؤيته فأحضره اليَّ وبعد مغادرته ، وضعته على عيني ونظرت إلى بغداد فلم يتميز شيء عن شيء لعظم المنظر ، ثم نظرت إلى بركة ماء في الحديقة فرأيت بحراً عظيماً متلاطم الأمواج ولم أدرك نهايته .

ثم خطر في بالي أن أغترف غرفة من تلك البركة في كأس كبير كان إلى جنبي ففعلت فرأيت بحيرة واسعة شاسعة ، وجعلت أتأملها فرأيت فيها حيوانات كثيرة تروح وتجيء ، واكثر ما ميزته فيها أن الماء يشبه خيوط متعاكسة ، وتأملت تلك الحيوانات فلم أميز إلا ثلاثة أصناف ، أحدها فأرة تشد ذنبها إلى خيط من تلك الخيوط ، وتمص الماء فتنتفخ ، وثانيها حيوان يشبه طبقاً يسير مع الماء ينفتح وينطبق ، وثالثها حية طويلة، فذُهلت ، ثم وضعت

(١) السيد مرتضى العسكري من الفضلاء اللامعين والمؤلفين البارعين أهداني بعض مؤلفاته ومنها ، أم المؤمنين عائشة ، وقد أدهشني في سلامة ذوقه ، وسعة إطلاعه وبراعة أسلوبه ووصوله إلى غايته بأوجز عبارة وأوضح بيان وكنت وما زلت أتمنى أن أكون مثله .

وأما السيد مهدي فهو ولدي ورفيقي وأخي وصديقي ، عهد إليَّ والده الأستاذ الحكيم بتربيته، فكنت أقرب صورة عن أبيه ، وكان شبه صورة عني ، ثم فصلتنا السياسة فإن الخط الذي سار هو فيه كنت قد نهيته عنه مع حسن ظني بحسن قصده وإن أخطأ ، وقد اتضح ذلك كله بعد التورط ، وإذا قيل لمن هوى من الطائرة وهو يهوي : استمسك ! ماذا يكون جوابه ؟ .

المنظار ولاحظت في قربي مملحة (آنيـة فيها الملح) ، فخـطر في بالي أن أقبض مقداراً منها وأضعه في الماء ، ففعلت ثم عدت إلى المنظار فرأيت الحيوان الذي يشبه الطبق قد مات ثم ماتت الحية وبقيت الفأرة الخبيثة حية ، فقلت له : من قال لك أن الطبق مات والحية ماتت ؟ فأجاب : كنت أُلاحظهما يتحركان قبل وضـع الملح حركـة شبه إراديـة ثم أصبحت أراهما بعـد ذلك أسـيرين يُقادان للتموجات المائية .

وهنا إنتقلنا إلى الحديث عن الملح وعن قتله للجراثيم ، وروينا ما نحفظه من الأحاديث الواردة عن أهـل البيت من إستحباب الإبتـداء به قبـل الطعـام والإختتام به بعد الطعام .

هذا وقد حدثني شخص أنه إلتقى بطبيب وفتح معه موضوع الملح فقال له الطبيب : إنني مشغول في تأليف كتاب في الملح وأنه ثبت لـديه أن لـه كذا وكذا فائدة .

فقال الرجل : نحن نروي عن أهل البيت (ع) أنه له سبعين فائدة .

غريزة الجنس في الإسلام ونظامها

تتلخص الحكمة في تحريم الزنا ـ واللواط ـ والعادة السرية ـ أعني جلد عميرة ، والمساحقة ـ بأنها تسبب الأمراض السفلية ، والعقم ، والحمى ، وتشويه الذرية ، ثم الإنهيار العصبي والجنسي ، حتى يصبح الرجل عاجزاً عن إتيان حليلته .

غريزة الجنس : من جملة الغرائز ، التي تُولد مع الحيوان ، ولا فرق بين الإنسان وسائر الحيوانات ، وهذه الغريزة كغيرها من الغرائز تؤدي واجبها وتقوم به أحسن قيام ، وعلى أتم نظام ، بدون توجيه ولا تمرين ولا تعليم ، وهنا تتضح لنا قدرة الخالق المبدع ، ومن الغريب أن قيام هذه الغريزة بما خُلقت له ليست على نهج واحد .

فلقاح الكلب والبعير يغاير لقاح الهر والضأن ، ولقاح الجميع يخالف لقاح الإنسان كل ذلك مع الإشتراك في أصل الخلقة ، وكل ذلك غير مسبوق بالإرشاد والتعليم والتوجيه ، بل بالفطرة .

ومن الغريب أن هذه الغريزة تؤدي رسالتها في الحيوان بشكلٍ منظم من حيث الكم والكيف ، وبدون أن تدرك الغاية ، وبدون أن تنتبه إلى ما يترتب عليها من النتائج ، من حيث المصالح والمقاصد .

فإن الحيوان له فصل خاص ، لا يتجاوزه ، تهيج فيه الغريزة وتقوم بواجبها وبعد إتمام عملية اللقاح ، لا يتكرر منه هذا العمل ، حتى كأن الذكر

لا يعرف الأنثى ، والأنثى لا تعرف الذكر .

وأما الإنسان فهو على العكس في ذلك كله ، فإن عملية الجنس بالنسبة له لا تختص بزمان ولا بحال ، بل تتكرر في كل زمان وكل حال حتى في حال المرض ، والحمل ، ومن أجل ذلك احتاجت إلى قانون يحددها لتستمر في تأدية واجبها على وجهٍ كامل صحيح طوال العمر ومدى الحياة .

ولا ريب أن تفضيل الإنسان على الحيوان بهذه المتعة يدل على إعتناء الخالق به وتكريمه له كما أنه فضله على الحيوان بالعقل والإدراك .

الإنسان يؤدي واجبه الدنيوي ، ويقوم بالأعمال المؤدية إلى حفظ حياته واستمرار لقائه بدافع الغريزة ، ولا فرق بينه وبين سائر الحيوانات في هذه الجهة ولكن الإنسان الذي فضله الله على غيره يقوم بأمورٍ أخرى لا يعرفها الحيوان ولا يتمكن من إدراكها ، فالإنسان يعمل الخير لنفسه ولغيره ويحافظ على نفسه وعلى غيره ، فهو يحافظ على الحيوان والشجر والنبات ، كما يحافظ على نفسه ، أما الحيوان فليس كذلك ، ثم يشترك هو وغيره في الإنتفاع بذلك كله ، أما الحيوان فلا يقوم بشيء من ذلك ، ومن أجل ذلك كله أصبح مستحقاً للتمييز والإعتناء ، على ضوء ذلك كله فضله الله تعالى فأرسل له الرسل والأنبياء ، وزودهم بالتعاليم الكريمة ، والإرشادات النافعة التي تجعله مخلوقاً يمثل قدرة الخالق ويجسدها عملياً ، من حيث التفكير والتدبير والإحسان إلى سائر الموجودات ، ويدبر أمر معيشته ومعيشة عياله ، ويهتم المتفوق من الإنسان في حفظ نظام العالم ، فهو يرحم الضعيف ، ويعطف على الصغير - تبارك الله أحسن الخالقين .

إذا عرفت هذا فاعلم أن الأنظمة الإسلامية تحرم الزنا ، وتحرم اللواط ، وتحرم جلد عميرة، وتحرم المساحقة ، وتحرم وطء البهائم، وتُحرم الزواج من سبعة أصناف من الأقارب : الأمهات ، والبنات ، والأخوات ، والعمات ، والخالات ، وبنات الأخوة وبنات الأخوات ، ويُسمي هذا تحريماً نسبياً ، ويُحرم أنواعاً أخرى ، ويسمي تحريماً سببياً ، كزوجة الأب ، وأخت الزوجة جمعاً والربيبة ، وهي بنت زوجة الرجل من غيره ، ما دامت أمها في حبالته ، فإذا

ماتت الأم أو طلقها ، وكان قد دخل بها حرمت البنت مؤبداً ، أما إذا عقد على امرأة وطلقها أو ماتت قبل الدخول بها ، فإنه يجوز له أن يتزوج ابنتها من غيره طبعاً .

ويحرم المطلقة تسعاً تحريماً أبدياً ، وإن نكحت غيره بين كل ثلاث تطليقات وجعل ذلك عقوبة وعلاجاً للنظام العائلي .

ونحن إذا رجعنا إلى هذه الأمور ، ولاحظنا الجهات التي أدركناها نجد الشريعة تُحافظ تمام المحافظة على سعادة الرجل من الجهة الصحية والإجتماعية والتناسلية .

ولنبدأ أولاً بتحريم الزنا ـ واللواط ـ وجلد عميرة ـ والمساحقة ـ ووطء البهيمة ، فنقول :

كان الناس يظنون أن الحكمة في تحريم هذه الأمور هي المحافظة على بقاء الجنس البشري ، ثم المحافظة على صيانة القرابات والأنساب ، من الضياع بسبب اختلاط المياه ، وتهيىء المجتمعات الصغيرة لتكوين المجتمع الأكبر .

فإن الزنا بذات البعل يستوجب ضياع النسب ، وكذلك تعاقب الآحاد على الواحدة ، مضافاً إلى أنه خلاف الغيرة، والنخوة التي توجد في ذكور جملة من الحيوانات فضلاً عن الإنسان ، ولا ريب أن انتهاكها يؤدي إلى الخصام والنزاع وتحريك الحساسيات ، وزرع الأضغان والأحقاد ، كما أن إباحة اللواط والعادات السرية ووطء البهيمة ، يجعل مستوى المرأة في مستوى البهيمة ، ويستدعي الإستخفاف بمقامها ، ويجعلها أداة للشهوة والعمل ، ويحفزها في النهاية إلى البحث عن بديل عن الرجل .

فإن إباحة وطء البهيمة مثلاً . يجعل البهيمة عند الرجل محترمة كالمرأة .

هذه هي الأمور التي كنا نعرفها من الحكمة في تحريم هذه الأمور قبل القرن العشرين ، وكان مَن يستطيع الوصول إلى هذه الفلسفات يعد فيلسوفاً .

ثم لما أشرف القرن العشرين بمكتشفاته ، وعرفنا مضار هذه الأمور ، وجدنا أن الشريعة الإسلامية سبقته إلى ذلك بثلاثة عشر قرناً . غير أن الشريعة كانت تأمرنا بالشيء كما يأمر الطبيب المريض بتناول المصل أو الجرعة من الدواء من غير أن يبين له عناصرها ومحتوياتها .

وقد أثبت العلم الحديث أن الزنا مدعاة للأمراض التناسلية كمرض السفلس والحب الافرنجي ، وتشويه الذرية ، ولو في ولد الولد ، وانقطاع النسل إذا التهبت الخصية، أثبت كل ذلك أنه ناتج عن اجتماع النطف الغريبة في رحم واحد ونتائجه السيئة تكون في الرجال والنساء على السواء[1] .

وأما اللواط وجلد عميرة ، فإنهما مدعاة إلى جملة من الأمراض الآنفة ، مضافاً إلى تسبيبها للعنة والرخاوة ، ويظهر أثر ذلك بعد الزواج بأمد يسير وقد يسبب الروماتيزم ، ونشاف الرئتين وغير ذلك[2] . بعد الإنتهاء من هذا المبحث حاولت الإستراحة وأخذت استمع إلى إذاعة « لندن » ومن الصدف أنها كانت تتحدث عما حمله العقد التاسع للعالم ، ثم تحدث المذيع عن مرض «الإيدز» وقال : إنه اكتشف في سنة ١٩٨١ م ، إحدى وثمانين بعد الألف والتسعماية .

وقال أيضاً : مرض الإيدز مرض عضال لا دواء له ، يصبح الجسم بسببه عاجزاً عن الدفاع عن نفسه ، وهو من أجل ذلك يكون معرضاً للإصابة بجميع الأمراض السارية . وهذا المرض يعد اليوم أشد خطورة على الإنسان من مرض السرطان ، فإذا أُصيب الجسم بمرض قبل إصابته بالإيدز ، أو بعد إصابته به ، فلا دواء له ، فلو استعمل الأدوية التي يستعملها الأطباء علاجاً لتلك الأمراض ، لم ينتفع بها المصابون بالإيدز ، ولكن غيرهم من المرضى ينتفع بها .

ثم تحدث عن أسباب مرض الإيدز وقال : إن سببها الشذوذ الجنسي ،

---

(١) المصادر كتب كثيرة ونشرات متعددة ، وإرشادات طبية من تلك الكتب ذكراً وأنثى خلقهم ، والحب والزواج تأليف وترجمة نقولا حداد ، المطبوع حوالي سنة ١٣٦٠ هـ تقريباً .
(٢) المصدر نفسه .

ولعله قصد به اللواط والمساحقة .

أقول هذا لأنني لم أكن محيطاً بمعلوماتٍ عن هذا المرض من قبل .

وقال أيضاً : إن المصابين به في نيويورك هي وبعض المدن الأخرى سبعماية وخمسين ألفاً ، أو ثلاثماية وخمسون .

وقال أيضاً : إنه انتقل لبنيهم بالوراثة ، وقال أيضاً : إن المصابين به ممن لم يشملهم الفحص والتحليل قد يكون كثيراً ، وإنه قد يكون موجوداً في بلاد أخرى ولكن الأطباء في تلك البلاد لم يتوصلوا إليه بعد .

قلت : نجد مرضى كثيرين ينتقلون بين المستشفيات في دول العالم ، ومع ذلك لا يزالون مرضى، ومجهول مرضهم . ولعل هذا هو مرض الإيدز .

المحرمات النسبية والسببية :

الحكمة في تحريم المحرمات النسبية كالأم ، وإن علت والبنت وإن نزلت ، وسائر الأرحام الذين تقدم ذكرهم سواء كن من النسب أو من الرضاعة ، هي الحث على تحرك سلسلة الوحدة البشرية من عشيرة إلى عشيرة ، وتنقلها في الأحياء من حي إلى حي ، وفي الأفخاذ والبيوت بواسطة المصاهرة والخؤلة ، فإن هذه العملية فيها حرب للعصبيات العائلية والقبلية مضافاً إلى تقوية الدم والعصب بواسطة هذا التلقيح الطبيعي ، وقد أثبت العلم أن زواج الأقارب يقصر مدة الحياة ، ويشوه العقل والجسم ويقلل النسل[1] ونحن بحسب استقرائنا ومشاهداتنا نجد بعض البيوت التي تقتصر على زواج الأقارب والأرحام قليلة النسل نحيفة الأجسام .

---

(١) لاحظ مجلة الحكمة البيروتية للدكتور عبد المغني الشاهبندر ـ الخامسة صفحة ٣٠٧ .

أزمة أخلاقية تطرح نفسها وتطالب بالحلول

في الأوساط رغبة ملحة ، تطالب بتربية الجيل الصاعد ، تربية دينية موجهة وتطلب المساهمة من المفكرين في هذا الحقل ، وتقترح على المسؤولين جعل الدرس الديني رسمياً في جميع المدارس .

إن هذه الجماهير تعبر عن إرادتها بإصرار ، وإن المسؤولين يعرفون ذلك ويعرفون أن ما تطلبه الجماهير هو الحق ، والسبب في ذلك كله الإنهيار الأخلاقي الذي يسير بالناشئة إلى المهوى السحيق .

أجل إن الإنسان مخلوق كريم ، خلقه الله على حساب نفسه ، وخلق الكون كله على حساب هذا الإنسان كما في الحديث ـ خلقت الأشياء كلها لأجلك وخلقتك لأجلي ـ فكان الإنسان أشرف موجود ، ولذا سخر له كل ما في الوجود فالإنسان سيد الطبيعة من أدناها إلى أعلاها ، يسيرها كما يشاء ، ويسخرها لما يريد .

ولقد أصبح الإنسان في هذا العصر ، يحاول أن يسخر السماء ، كما سخر الفضاء .

ولكن الإنسان الذي بلغ القمة ، في عالم المادة، يسير منحطاً في حياته الروحية ، بشكلٍ سريع ، يوشك بعد هذا أن تتحطم حضارتنا الرفيعة على أقدام هذا الإنحطاط .

وهذا مما يبعث الرعب في قلوب المفكرين .

كان الإنسان يحترم الإنسان ، ومضت فترة كان يحاول فيها أن يحترم الحيوان ثم يحاول أن يحترم النبات ، وربما يجيء زمان آخر يحترم الإنسان فيه التراب ، فيحرم طم منخفضات المنازل به ، ويحرم رميه في البحر أو في الأنهار التي تسوقه إلى البحر ، لأن ذلك يوجب حرمان الإنسان من ثمرات ذلك التراب ، وربما يأتي زمان ثالث يحترم فيه الأسمدة والقمامات ، أجل إنها فصول مترقية ، يصل إليها الإنسان المفكر .

ولكن الشيء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده ، فهذه الثورات وهذه ضحاياها ، وهذه المؤامرات ، وهذه ضحاياها ، وهذه جنود الإرهاب وهذه ضحاياها ، إنها كلها تدلنا على أن الإنسان في الوقت نفسه لا يحترم الإنسان ولكنه مع ذلك يفكر في احترام الحيوان ، فهو يحرم صيد الطيور ، وصيد السمك في فصل التناسل ، ويحرم قطع الأشجار أيضاً ولكنه لا يحرم قتل الشباب والشابات. أيأمن الحيوان والنبات من الإنسان ،ولا يأمن الإنسان من الإنسان ؟ إن حياة الإنسان اليوم أسوأ بكثير من حياة العرب في العصر الجاهلي .

إن الثورات ، وجنود الإرهاب تزعزع عروش الرؤساء والملوك ، وتربك حياة الناس بأجمعهم ، حتى لا يكاد يأمن أحد من أحد ، ولا يكاد يأمن مسافر من الخطف سواء أكان ذلك في البر أو البحر ، أو الجو ، فخطف الطائرات واحتجاز الأبرياء وقتلهم أو قتل بعضهم كلنا نعرفه ومن أجل هذا أصبحت الجماهير في العالم كله تشعر بالحاجة إلى الإصلاح ، وتطالب بالعلاج ولا تعرف علاجاً غير الدين ، لأن الدين عصمة نفسية تحول بين الإنسان ، وبين الجريمة ، إن الدين يبتدىء برفع مستوى الإنسان عن مستوى الحيوان ، وينتهي بصيانة الجماعات ، في جميع خطوطه وخطواته ، لأن لغة الأديان في هذا الحقل واحدة.

ومن أجل ذلك أيضاً أصبحت الجماهير تتنكر للأحزاب ، وتنفر من العقائديين بقدر ما كانت تميل إليهم وترغب فى العمل معهم ، وهي تبحث

عن المخرج ولا تهتدي إليه ، فالناس يظنون أن العمل مع الحزب الثاني هو ذلك المخرج الذي يبحثون عنه ، فإذ انضموا إليه وعملوا معه وجدوه أسوأ من سلفه ، ووجدوا أنفسهم في دوامتهم ، ومثلهم في ذلك مثل حمار الناعور الذي غُمضت عيناه ورُبط وبدأ يسير حول البئر ، وجعل يجد السير ليصل إلى النهاية ، ولكنه لا يزال يدور في مكانه حول ذلك البئر .

واعلم أن قادة الأحزاب في البلاد المتخلفة ، يتخذون العقائد سلماً للحكم ويبدأون أولاً بتدمير الأنظمة التي يسيرها الحاكمون ، وبتدمير الحاكمين أنفسهم فإذا وصلوا إلى الحكم كان الفساد أكثر ، وكان الحاكمون ذئاباً كاسرة ، همهم الإنتقام من خصومهم وإشباع شهواتهم ، وبعد هذا يتنكر الرئيس الجديد لاعوانه ، ويتنكر أعوانه له ، ثم يستعين عليهم بآخرين ، كما أن أعوانه يصبحون أعواناً لخصومه ، وقد شاهدنا ذلك ورأيناه في الدول التي عشنا فيها ، وفي الدول التي نسمع أخبارها .

والقادة قسمان ، قسم منهم انتهازي محض ، وهو يعرف نفسه ، ويعرفه الناس بعد وصوله للكرسي .

والقسم الاخر مخلصون ، فهم يفقدون التجربة ، والوراثة، وهؤلاء هم الذين يظنون أنهم يتوصلوا للإصلاح المنشود بالقضاء على الحاكمين ، وينسون أن ما يرتكبونه في طريق الإصلاح أعظم فساداً وأشد خطراً . .

قال الله عز وجل : ﴿ **وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض ، قالوا إنما نحن مصلحون ،ألا إنهم هم المفسدون ، ولكن لا يشعرون** ﴾ ـ ٢ ـ ١١ ـ .

وقال الصادق عليه السلام : ادعوا لسلطانكم بالصلاح ، ولا تدعوا عليه بالهلاك، **لنقل جبلٍ من مقره أهون من نقل الملك** .

إن المشكلة التي يعانيها حكام المسلمين وشعوبهم هي مشكلة الضياع ، وأساس هذا الضياع هو القسم الثاني من المصلحين ، فإن هذا الصنف يبتدىء عمله بالحملة على الحاكمين ، وينظر إليهم بعين واحدة ، وهي عين السخط ، ويهتم في توجيه الملاحظات والإنتقادات ، ناسياً كل محاسنهم ، وجميع جهودهم

ولا ريب أن المحكوم أضعف من الحاكم ، والمرؤوس أضعف من الرئيس ، ولا ريب أن الحاكم والرئيس لا يستجيب لكل ما يقوله هـذا الصنف من الناس ، لأنه لا يقدر على ذلك ، ومن أجل ذلك يطالب هذا الصنف من المصلحين بكل شيء يراه ضرورياً للفرد وللجماعة ، ويجهل أن في الدولة شؤوناً أخرى قد تكون بنظر الحاكم والمسؤول أهم بكثير مما يطالب به هذا الصنف من المصلحين .

ومثلهم في ذلك ، مثل الأطفال عندما يطالبون رب البيت بالكسوة الجيدة والطعام المهيىء ، والفراش الوثير ، والسيارة الممتازة ، وهم يجهلون مقدارات والدهم ، ويجهلون بأنها لا تفي بكل ذلك ، ويجهلون بأنه مريض ، وبأنه يكتم مرضه ، لأن دخله لا يسعده على علاج مرضه و . . و . .

لا ريب أن معـظم الحاكمـين والمسؤولين يعـرفون كـل ما يعـرفه هؤلاء المصلحون ولا ريب أنهم يشاركـون الجماهـير في أحاسيسهم ، كـما يشارك رب العـائلة أفراد العـائلة بأحـاسيسهم ، ولكنه يعـرف نفسـه أنـه عـاجـز وهم لا يصدقون .

إنهم يطالبون بالمدارس والمدرسين ، وبالمستشفيات والأطباء ، وبإصـلاح الطرق وتأمين السير والتنقل ، والترفيـه على الشعب ، ورفـع رواتب الموظفـين وأجور العمال وتشغيل العاطلين وإصلاح الأراضي ، وتعميم الكهرباء واستنباط الماء من بطون الأرض .

إنهم يـطالبون بـذلك كله ، وبـأكثر منـه ، وسيستكـثرون عـلى الحـاكم والمسؤول كل شيء ، وينسون أن له ميزة المسؤول والحاكم .

هذا كله إذا كان المسؤولون والحكام من أهل الصبر والأناة والتجـربة ، وأما إذا كانوا من صنفٍ آخر ، فهناك تنصب المشانق ، وتهتم الدولة في توسعة السجون ، وهي المشكلة العظمى والمصيبة الكبرى التي يعانيها العالم الثالث .

من هنا يبدأ هؤلاء المصلحـون في التفكير في إزاحـة المسؤولين والحكـام واستبدالهم بغيرهم ، ومن هنا يبدأ تـدبير الإنقـلابات والإغتيـالات ، وتفخيخ السيارات ، وخطف الطـائـرات وإخـافـة السبـل .

إلى هنا تتضح لنا أن مصيبتنا تبتدىء بالمطالبة بغير المقدور ، ممن يجهلون أنه غير مقدور ، ويجهلون أيضاً بأنهم لو حكموا كانوا كسلفهم .

ومن هنا أيضاً يبتدىء تدمير الجيش والسلاح والمسـت ، وتبديـد ثروة البلاد ، والرجوع إلى الوراء بمقدار ما قطعه من سبقهم من المسافة ، هـذا إذا كان الانقلاب أبيض أو نصف أبيض ،وأما إذااستعمل الطرفان السلاح، فتلك هي الطامة الكبرى ، والمصيبة العظمى ، التي يطول عمرها ويصعب حلها ولا سيما إذا غذاهم اعداؤهم بالسلاح ، وباعوهم المواد باضعاف أثمانها .

هذا ما نعانيه نحن اليوم في لبنان منذ أربع عشرة سنة .

وأما الدين الإسلامي ، وأعني به المذهب الشيعي الجعفري لأنني محيط به دون ما عداه ، فقد حل هـذه المشكلة بأبسط الحلول ، وبناها على قاعدة التزاحم بين المهم والأهم ، القاضية بتحمل أخف الضررين ، تفادياً من الوقوع في أشدهما .

فإذا كانت الحلول العسكرية بعد البحث والتأمل أقل ضرراً ، جاز الإقدام عليها ، وإذا كان الصبر على أغلاط الحاكمين أقل ضرراً ، وجب الصبر والتحمل ومحاولة الإصلاح بالأساليب السلمية ، وانتظار الفرج السماوي .

من هنا وهناك

في زوايا التاريخ ـ ١

الطبري ج٢ ـ ص ٢٦٠ ـ قال : وفي تلك الغزوة قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام ما قال ، انتهى بلفظه .

لماذا لم يذكر الطبري ما قاله « ص » لعلي ، ولا ريب أنه خير ، ولذا عقبه بقوله عليه السلام .

الطبري أيضاً ج ٢ ، ص ٢٦١ ـ قال : الراية بيد علي في غزوة كرز ، وروى في تلك الصفحة حديث عمار عن النبي ، إنه قال لعلي : يا أبا تراب ، وإخباره إياه عن أشقى الأولين والآخرين ، ثم استطرد بسبب تسميته بأبي تراب .

الطبري ج٣ ـ ص ١٣٧ ـ حديث ذي الخويصرة ، وهو « رجل من الخوارج » .

أيضاً ج٣ ـ ص ١٩١ ـ حديث عائشة أن رسول الله (ص) خرج بين رجلين من أهل بيته ، أحدهما الفضل بن العباس ، ورجلٌ آخر .

أصحيح أن عائشة لا تعرف الرجل الآخر، وهو من أهل بيت النبي (ص) ومن بني هاشم ، وكلهم من قبيلة واحدة ، وبلدٍ واحد ، وأهل هجرة واحدة ، فلماذا لم تسمه هي ؟ وإذا كانت سمته فلِمَ لم يسمه الراوي ؟

الطبري ج٣ ـ ص ١٩٣ ـ أئتوني أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعدي ، وفيه

وصيته بثلاث وصايا إخراج المشركين ، وإجازة الوفد ، ثم لم يذكر الطبري الثالثة ، إما عمداً ، وإما متابعة للراوي .

فلماذا لم يذكر الثالثة يا ترى ؟

الطبري ج٣ ـ ص ١٩٥ ـ قال رسول الله (ص) في مرضه : إبعثوا إليَّ علي فادعوه فقالت عائشة : لو بعثت إلى أبي بكر ، وقالت حفصة لو بعثت إلى عمر ، فاجتمعوا عنده جميعاً فقال (ص) : انصرفوا ، فإن تك لي حاجة أبعث إليكم .

أليس الإرسال خلف أبي بكر وعمر كان على خلاف رغبة النبي ، لأنه لو كان له رغبة لقال لعائشة : بلى أرسلي خلفه ، ولقال لحفصة : بلى أرسلي خلفه ، مع أنه لم يقل ، ولو كان له رغبة في حضورهما لما أمرهما بالإنصراف عند حضورهما .

أليس من الواضح أن النبي (ص) كان يريد امرأ ، وإن زوجتيه حالتا بينه وبين ما يريد ، ولا ريب أنهما خالفتا أمره ، فلم ترسلا رسولاً لعلي وحده .

فإن قلت كان يمكنه (ص) زجرهما ، الجواب أن سيرة النبي (ص) سيرة أرفع من ذلك ، فهو في لينه ودماثته أكثر مما يمر في الخيال ، وهو بهذا امتاز على الملوك والقادة ، فقد دخل عليه وحشي ، قاتل عمه حمزة ، ودخل عليه أخو عثمان الذي هدر دمه ، ومع ذلك لم يسمعا منه كلمة واحدة غير مرضية .

الطبري ج٣ ـ ص ١٩٥ ـ أيضاً ، روي أنه أمر أبا بكر بالصلاة ، وأنه وجد في نفسه خفة ، وأنه خرج بين رجلين ورجلاه تخطان الأرض ، وإنه هو أتم الصلاة .

إذا كان هو الذي أمره فلماذا خرج وقطع صلاته ، وأتمها هو (ص) وأي خفة لمريض يخرج بين رجلين ، ورجلاه تخطان الأرض ؟

أليس هذا دليل على أنه لم يأمره ، وعلى أن دعوى الأمر فضولية ، وعلى أنه خرج متحاملاً على ما به ليفهم الناس عملياً إنه لم يأمره بذلك ؟

الطبري ج٣ ـ ص ١٩٨ ـ فقالت الأنصار أو بعض الأنصار ، لا نبايع إلا علياً وفيه في الصفحة نفسها : قول عمر والله لأحرقن عليكم .

أجل ، قال عمر هذه المقالة قبل إكتمال بيعة أبي بكر ، كما هو واضح وعمر حينئذٍ ليس خليفة ، ولا مأذون من قبل خليفة ، بل هو واحد من المسلمين .

فكيف يجوز له إجبار غيره على البيعة ، ولا سيما إذا كان غيره من أهل الحل والعقد ؟ .

وكيف يدعي المدعي أن المسلمين أجمعوا على بيعة أبي بكر مختارين مع أن الأنصار كلهم أو بعضهم امتنعوا وقالوا : لا نبايع إلا علياً ، ومع أن بني هاشم وأتباعهم كالزبير وسلمان والمقداد ، وأبي ذر وعمار امتنعوا عن البيعة ، ولم يبايعوا إلا بعد التهديد بالإحراق ، ولا ينبغي أن يغيب عن ذهن القارىء أن المسلمين كانوا خارج المدينة ، وكانوا في جيش أسامة الذي جهزه النبي إلى الروم .

في شرح النهج لابن أبي الحديد ج١ ـ ص ٤٦١ ، قال فيما قاله : أن علياً أثنى على أزد البصرة ، وقال إنها أول القرى خراباً ، إما غرقاً ، وإما حرقاً ، حتى يبقى مسجدها كالسفينة ثم قال للضبياني : أين منزلك فيها ؟ فقال : مكان كذا ، فقال : عليك بضواحيها .

أيضاً في ج ١ ـ ص ٤٦٧ ، إخباره عن أمور ثلاثة ، إنه سيموت قبل معاوية وأن معاوية سيملك ، وأنه سيأمر الناس بسبه .

وقد تحقق ذلك كله وبقي السب إلى زمن عمر بن عبد العزيز ، وقد أسهب الشارح هنا في نقل القصص والروايات .

ومن العجيب أن يأمر معاوية بسب خليفة كانت خلافته مسلمة عند جميع المسلمين .

ثم يبقى هو وجميع المسلمين الذين شاركوه في سب علي مصونين مكرمين غير محكوم بفسقهم ، ولا بكفرهم عند العلماء من السنّة ، ثم هم أنفسهم

يحكمون بفسق من يسب أو يتهم بسب غير علي من الصحابة !

إن هذا سؤال يطرح نفسه ويتطلب الجواب . الجواب منهم عليه .

* * *

حكمة في قصة

اجتمع جملة من الأعيان عند الدكتور علي بدر الدين ، وهو من مدينة النبطية وكان نائباً في البرلمان اللبناني في بعض دوراته ، فتحدثوا في السياسة ، فأطالوا وهو ساكت .

فاستنصتهم واستأذن منهم في الكلام فاستمعوا قال :

وقعت كارثة ، على بنات آوى بسبب تفشي الجهل بينهم ، ففرقتهم أيدي سبأ ، بين قتيل وجريح ، ومريض وفقير ومنفي ومهجر .

وبقي منهم عدد قليل على هذا الحال ، وكان أحدهم وهو شيخ هرم يعيش في طمأنينة ودعة ، فرآه شاب منهم ، وغبطه واتصل به وأحب أن يتعرف على طريقته في العيش ، فجلس بين يديه ثم قال له : كيف حالك ؟ وأين تعيش ؟ فأجابه : أنه يعيش قرب مزرعة للدجاج كثيرة العدد والتناسل ، وأنه في كل يوم يتناول منها دجاجة أو ديكاً ، وأن صاحب المزرعة لا يشعر فيه .

ثم قال : إنني اختفي قرب المزرعة ، وقد رأيت صاحب الدجاج يدخلها كل يوم مبكراً ، فيضع لهم العلف والماء ، وتعلوا الضوضاء ويشتغل بعضهم ببعض ، فصرت أدخل في ذلك الوقت، واختفي في بعض الزوايا المظلمة ، وإذا خرج وأطبق الباب ، اخترت واحداً وأسرعت في خنقه ، وأنا أعرف كيف يفتح الباب ، ثم افتحه بحركة سهلة جداً ، وأخرج ، وأُعيده كما كان ، وما أزال على ذلك منذ عهدٍ بعيد . فأراد ابن آوى الشاب أن يفعل مثله ، فدخل ، وتناول فرخاً ، ولكنه لم يعرف طريقاً للخروج ، ولا للإختفاء ، فدخل صاحب المزرعة ، فوجده بين الدجاج ، فهاجمه بعصا كانت في يده ،

فنفر ابن آوى الشاب وهرب بدون روية ولا تفكير ، فانحصر طريقه بسوق الصباغين ، فجعل كلما التقى بواحد من الصباغين رماه بالصبغ الذي عنده ، فاجتمعت عليه ألوان كثيرة حتى صار لونه يشبه فرخ النمر .

ثم لما جاع دخل المزرعة مرة أخرى كما دخلها أول مرة ، ولما جاء أولاد صاحب المزرعة ، حسبوه فرخ نمر ، فخافوا منه وهربوا ، وصاروا كلما جاؤوا إلى المزرعة يتحاشونه ، وكان هو أيضاً لا يزال يحمل نفسية ابن آوى ، فكان يهرب ويختفي وراء شجرة أو حطام ، ثم دخل ابن آوى الهرم فرآه في عيشٍ رغيد ، وكان فصل الشتاء قد اقترب فسأله من شأنه ، فأخبره بما جرى وأنه أصبح فرخ نمر وإن أرباب المزرعة يخافون منه ، فنصحه بالخروج قبل مجيء فصل الشتاء مخافة أن يصيبه المطر ويفقد الألوان التي اكتسبها فلم يسمع النصيحة .

وبعد أيام هطل المطر ، وخرج ابن آوى الصغير يستحم ، فذهب كل ما تجمع عليه من أصباغ ، فدخل أصحاب المزرعة ، فرأوه وعرفوه ، وأحاطوا به وقبضوا عليه ، فجعل يستغيث حيث لا مغيث ، فرآه ابن آوى الهرم فشكى إليه ، فقال له : ينبغي أن تتحمل العذاب لأنك لم تسمع النصيحة .

ثم قال : إن شبابنا اليوم مثل ابن آوى الصغير .

* * *

في زوايا الكتب

قال في كتاب المستطرف في كل فن مستظرف ، لشهاب الدين في ج ٢ ، ص ٢٦٠ ما لفظه :

الرابع والسبعون في تحريم الخمر وذمها والنهي عنها ، وقال ما لفظه : لقد أنزل الله تعالى ، في الخمر ثلاث آيات ، إلى أن قال : فشربها من المسلمين من شربها وتركها من تركها ، حتى شربها عمر رضي الله عنه فأخذ بلحيي

بعير ، وشج به رأس عبد الرحمن بن عوف ، ثم قعد ينوح على قتلى بدر ، بشعر الأسود بن يعفر ويقول :

أيوعدني ابن كبشة أن سأحيا ... وكيف حياة أصداء وهام
أيعجز أن يرد الموت عني ... وينشرني إذا بليت عظامي
ألا من مبلغ الرحمن عني ... بأني تاركٌ شهر الصيام
فقل لله يمنعني شرابي ... وقل لله يمنعني طعامي

فبلغ ذلك الرسول (ص) ، فخرج مغضباً ، يجر رداءه ، فرفع شيئاً كان في يده ، فضربه به فقال : أعوذ بالله ، من غضبه وغضب رسوله فأنزل الله تعالى الآية : **﴿ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ﴾** ـ الآية . انتهى بلفظه .

* * *

قال القاضي أحمد بن محمد الأرجاني المتوفي سنة أربع وأربعين ، وخمسمائة :

أحب المرء ظاهره جميل ... لصاحبه وباطنه سليم
مودته تدوم لكل هول ... وهل كل مودته تدوم

والبيت الأخير يشتمل على صنعة متعبة ، فإنه يقرأ معكوساً من آخره إلى أوله ، ولا يتغير منه شيء .

ومثله ما روي عن ابن خلكان ، قال : كان بين العماد الكاتب ، تلميذ القاضي الأرجاني ، وبين القاضي الفاضل محاورات على هذا النهج فمن ذلك ، أنه لقيه يوماً وهو راكب فرساً فقال له العماد :

سر فلا كبا بك الفرس .

فأجابه القاضي : دام علا العماد .

وكل من القول وجوابه ، يُقرأ معكوساً من آخره إلى أوله ولا يتغير المعنى .

من هنا وهناك

أول من بنى قبة في النجف على قبر أمير المؤمنين (ع)

في مجمع البحرين للعلامة المتبحر الطريحي في مادة « فهد » ما لفظه :

حكى ابن خلكان المؤرخ ، أن الرشيد العباسي ، خرج مرة للصيد فانتهى به الطرد إلى قبر علي عليه السلام ، حيث هو الآن ، فأرسل الفهود على صيد فتبعت الصيد إلى مكان قبره ، فوقفت ، ولم تقدر على الصيد ، فعجب الرشيد من ذلك ، فجاءه رجل من أهل الحيرة فقال : يا أمير المؤمنين ، إن دللتك على قبر ابن عمك علي بن أبي طالب ما لي عندك ؟ قال : أتمَّ مكرمة ، قال : هذا قبره ، فقال له الرشيد : من أين علمت ، قال : كنتُ أجيء مع أبي يزوره ، وأخبرني أنه كان يجيء مع جعفر الصادق (ع) فيزوره ، وأن جعفراً كان يجيء مع أبيه محمد الباقر وأن محمداً كان يجيء مع أبيه علي بن الحسين (كذا) فيزوره ، وأن علياً كان يجيء مع الحسين (ع) فيزوره ، وكان الحسين أعلمهم بمكان القبر ، فأمر الرشيد أن يحجر الموضع ، وكان أول أساس فيه ، ثم تزايدت الأبنية فيه في أيام الثمانية (كذا) ، وبني حمدان ، وتفاقم في أيام الديلم ، وفي أيام بني بويه انتهى .

وقيل : إن عضد الدولة هو الذي أظهر قبر علي ، وعمّر المشهد هناك ، وأوصى أن يُدفن به ، واسمه « فنا خسرو » وأبو شجاع بن ركن الدولة بن الحسن بن بويه الديلمي ، وكان عظيم الدولة ، وأعظم بني بويه مملكة ، انتهى بلفظه .

قلت : وقد حكى الدميري هذه القصة أعني قصة الرشيد ، في كتابه

« حياة الحيوان » في الجزء الثاني (ص ـ ٢٢٦) في مادة « الفهد » .

والذي أحفظه سماعاً من خطباء المنبر الحسيني ، ومن الكتب التي عندي المختصة بتاريخ النجف ، أن الرشيد بنى عليه بناء ، ووضع في أعلاه حباً أزرق شبه القبة ، وأن هذا الحب لا يزال موجوداً في الخزانة الموجود في محلها المعروف في النجف التي تحتوي على نفائس التحف ، وأقلها تاج نادر شاه المرصع بالمجوهرات ، والستائر المصنوعة من الذهب ، والتي صُنعت بمناسبة زواج إحدى بنات آل بويه ـ والمصادر في مكتبتي وهي بعيدة عني فعلاً ، فإذا وصلت لي أعدت النظر فيما دونته .

* * *

« حكمة في قصة »

حدثنا أبو أديب ، الحاج محمد جواد الصايغ ، من بلدة القصيبة ، قضاء النبطية ، وهو طبيب أسنان لامع في منطقته ، وله مكانة زمنية كما أنه مستعد للضيافة في كل حين .

قال : كان فلان ، ولعله سماه ، يسير في الطريق ، فالتقى بأحد معرفي الحاج وهو يركب حماره ، فسلم عليه وقال له : أتأذن لي بأن أسر حديثاً إلى حمارك هذا ؟ فقال : إنه لا يفهم عليك ، فقال له الرجل : إنه يفهم لغة الحمير ، ثم دفع له مبلغاً من المال فأذن له بأن يتكلم مع الحمار بكلمتين أو ثلاثة لا غير .

فجاء الرجل ووضع فمه عند أذن الحمار ، وتكلم معه بكلماتٍ غير واضحة ، وألقى في أذن الحمار سيكارة كانت في يده ، وهي لا تزال مشتغلة وابتعد .

فأحس الحمار بألم النار ، وجعل ينفض رأسه ويرمح برجليه ، ويتحرك بحركات الحمير المزعجة .

فقال المعرف : ماذا صنعت ؟

فأجابه الرجل : قلت له : أُريد أن أشتريك وأكرم مثواك ، بشرط أن أجعلك معرفاً للحجاج ، فغضب غضباً شديداً ، ولا يزال مغضباً ثم افترقا ، ولم يعلم صاحب الحمار بالمكيدة ولكنه فهم المقصود .

* * *

قصص الحاج خليل وهبي

الحاج خليل وهبي من بلدة عيناتا ، قضاء بنت جبيل ، وهو مختار بلدته ، ومعروف بسرعة الجواب ، وقد اتصل بي قبل أكثر من خمسة عشر سنة ، ولكنْ أجوائي لا تتلائم مع أجوائه ، وقد حدثني عنه أكثر من واحد ، وبعضهم من أهل العلم عن ذكائه .

ومن قصصه : أنه اجتمع بأبي أنيس حميد سويدان ، مختار بلدة ياطر ، وبعد الأخذ والرد وعدم اقتناع أبي أنيس ، قال له : كان لأحد الأشخاص العقلاء ثروة ، وكان له ثلاث بنين ذكور ، وأراد تقسيم ثروته بينهم ، فقال لأحدهم : ما هو معتقدك الديني ؟

فقال : أنا مسلم أُوالي أهل البيت ، وأقوم بالواجبات الدينية ، فسلمه نصف التركة .

وقال للثاني : ما هو معتقدك ؟

فقال : أنا لا أعتقد بشيء أبداً ، وهو ملحد ، فقال له : إجلس ناحية .

فقال للثالث : وأنت ماذا تعتقد ؟

فقال له : أنا متردد في كل شيء .

فالتفت إلى الملحد ، وسلمه النصف الثاني من أمواله ، وقال للثالث : أنت لا تستحق شيئاً لأنك متردد ولا حظ لك .

ثم قال لأبي أنيس : إن الساسة القياديين إذا قسموا ثروتهم لن ينالك منها شيء لأنك متردد .

* * *

ومنها : أنه عندما حج بيت الله الحرام ، زاره عبد الرحمن الخليل ، وهو من الوجهاء ومعه آخرون ، وكان معهم كيس فيه شيء ، وضعوه على الطاولة ، وعندما أراد توديعهم فتح الكيس ، فوجد فيه قطناً وأدوية فظنهم أنهم نسوه ، فتبعهم به ، فقال له عبد الرحمن : بلغنا أن الحجاج يرجمون الشيطان في الحج وإنا أعتقدنا ، بأنه أصابك جروح كثيرة ، فأردنا مساعدتك على تضميدها .

فأجابه على الفور : قد كان ذلك ، فاعترضت على الشيطان ، وقلت له : لماذا أشركني الناس معك في الرجم مع أنني لست شيطاناً ؟

فقال الشيطان : أنت لست منا ولكنك تابع إلى بيت الخليل ، ومتعلق بعبد الرحمن الخليل بالخصوص وهو من خيرة أعواننا .

* * *

ومنها : ما نُقل عن الشاعر موسى الزين شرارة ، أنه قال : بأنه عندما حضر الحاج خليل للرمي وجعل يرمي الشيطان ، كما يرميه الناس ، اطلع رأسه وتوجه للحاج خليل بالخصوص ، وقال له باللغة العاملية :

ـ ولو حتى أنت تفعل هذا الفعل معنا ، مع صداقتنا الطويلة .

فأجابه الحاج خليل معتذراً : لا أستطيع مخالفة الرأي العام .

وهذه القصص ننقلها بالمعنى ، ومثلها غيرها من سائر القصص .

* * *

شخص أكبرته
ولم أستطع التعرف عليه

في سنة ١٣٨٨ هـ ، زرت مقام الإمام الحسين (ع) في كربلاء ، ليلة النصف من شعبان ، وكانت عادتي أداء فريضتي المغرب والعشاء والزيارة في الرواق في جهة الرأس الشريف ، ثم اشتغل بعد ذلك بالدعاء ، فأقرأ الأدعية الواردة مثل دعاء كميل ، ومناجاة الأمير (ع) في تلك الليلة وغيرها ، ولكنني في هذه المرة وجدت نفسي مدبرة ، وبعد أخذ ورد ـ عزمت على الخروج من الحرم الشريف ، لينتفع غيري بالجلوس في مكاني ، من أهل الأعمال والدعاء ، فقمت وأتجهت إلى قريب جهة الرأس الشريف ، وحاولت الوقوف والدعاء بما اعتدت عليه ، فوقفت متجهاً إلى القبلة ، ولما لم أجد في نفسي إقبالاً ، عزمت بالإنصراف تخلصاً من شدة الزحام ، ومن تدافع الزوار، الذين يتجهون عادة إلى الشرق ثم إلى الشمال ، ثم يدورون حول الضريح متجهين إلى جهة القبلة ثم يخرج معظمهم من بابي الحرم الواقعين في جهة القبلة ، وقليلٌ منهم يخرج من أبواب أخرى .

أما أنا فقد وصلت إلى قريب الرأس الشريف ، ووقفت متجهاً إلى القبلة وجعلت أدعو بما أُريد ، ولكنني استدرت من شدة الإزدحام ، وأصبحت متجهاً إلى الشمال ، من غير اختيار .

فنظرت وإذا بقربي سيد متجه إلى القبلة ، ولا يبعد عني أكثر من أربعة أذرع تقريباً يرتدي لباساً أسود ، وعمة سوداء ، ليست كعمائم العلماء ، ولا كعمائم عوام السادة الذين يقيمون في المدن العراقية ، ولكنها أشبه شيء فيها ، وكأنني لاحظت أنه أسدل على أذنيه كوفية سوداء ، تحت العمامة ، أو ما يشبه ذلك ، نظرت إليه وتأملت فيه ، فوجدته واقفاً مشغولاً بالدعاء وهو متجه إلى القبلة ، ومبتعد عن الضريح إلى جهة الغرب نحو ذراعين على وجه لا يفصل عن الضريح أكثر من شخصين يقف أحدهما عند الضريح ويمر الآخر بينه

وبينه ، تأكدته مكرراً فوجدته لا يتحرك قيد شعرة ، هذا والجماهير تتدافع من حوله ، وكأنها لا تمسه ، وخيل لي أن السواد يتحاشونه لكمال جسمه ، وحسن هيئته ، ولأنهم يظنونه من الشخصيات المميزة ، وشغلني النظر إليه ، عما أنا فيه مع انني كنت أحاول الثبات في مكاني ، ثم كررت النظر إليه والتأمل فيه ، فنظر إليَّ نظرة كاملة ، مبتسماً ابتسامة واضحة ، فلم آبه به ، ولكنني حولت نظري عنه ، وتهيبت معاودة النظر إليه ، مع أنني التقيت بأنواع العظماء وأرباب المناصب وأقسم أنني كنت أشعر بأنهم يرونني كأحدهم أو أعظم منهم وتلك يد لله سبحانه لا أنساها، ولكنني عللت تهيبي بأنه سيد عراقي ، برّاوي، مكتمل الجسم والهيئة ، جميل الصورة جيد اللباس وأنا أعرف أن أمثاله من السادة يتمتعون بالجرأة والإعتزاز بالنسب ، وأنا أعرف أيضاً أن سواد العراقيين ينقادون لهم ويعظمونهم ، ثم عدت ونظرت إليه وكنت أنتظر أن ينتهي من دعاءه وينصرف ، فنظر إليَّ مرة أخرى ، مبتسماً بادي الثغر ، وثغره في غاية الجمال ، وبعد هذا جعلت أنظر إليه من طرف خفي ، وكنت أراه ينظر للزائرين ، مبتهجاً بهم ، ينظر إليهم وكأنهم رعاياه ، ولم استكثر ذلك منه ، لأنني أعرف كثيراً من السادة الذين يعيشون بين العشائر يتمتعون بهذه الظاهرة ، ولا سيما إذا كانوا من أهل الوجاهة والسياسة والثراء ، هكذا بقي واقفاً في مكانه لا يتحرك منه قيد شعرة ، ولا يحركه شيء ، وهو رافع كفيه مبسوطتين ، مدنياً إحداهما من الأخرى بدون أن يقرن بينهما ، وهما أخفض من وجهه يسيراً ، وقد أصغيت إليه ، فسمعته يدعو للمؤمنين لا غير ، بكلام واضح بليغ ، ولسان طلق فصيح ، لا يخفي منه حرف وصوته جهوري ، ويكاد يسمعه كل من أحاط به ، أو اجتاز فيه ، ولاحظته يجيد تنظيم فقرات الدعاء المسجعة ، مع قصر المفتتح، وكان يقف قليلاً على كل فقرتين أو ثلاث وإذا انتهى من الفصل الذي ابتدأه ، ختمه بفقرة تتضمن الثناء على الله سبحانه ، ووقف عليها أكثر من قبل .

ثم يميل يسيراً إلى يمينه ، ويشرع في فصلٍ آخر ، يتضمن الدعاء للمؤمنين على روي آخر ، ثم يختتمه كسابقه .

ثم يميل يسيراً إلى يساره ويفعل مثل ذلك ، وقد استرعى نظري

ابتهاجه ، واسترساله في دعاءه ، وفصاحته وطلاقة لسانه ، وبلاغته في التسجيع ، واقتصاره على الدعاء للمؤمنين ، فإنه لم يدع لنفسه طيلة المدة التي راقبته فيها ، وأقدرها بنحو ثلث ساعة ، وكان يدعو لهم بنحو قوله : (اللهم احمي حوزتهم ، وسدد خطوتهم ، وشدد صولتهم ، يختمها أنك القوي العزيز) .

ثم يميل بوجهه يسيراً إلى الجانب الآخر ويقول : (اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات ، ثم يستمر على هذا السجع ، ثم يختمه بمثل انك ارحم الراحمين) .

ثم يميل إلى الجانب الآخر فيقول : (اللهم شاف مرضاهم ، اللهم شاف مرضاهم ، اللهم عاف مبتلاهم ، ويستمر على هذا الروي ، ثم يختتمه بنحو اللهم إنك حسبنا ونعم الوكيل) ، ومما علق في ذهني من دعواته التي لم أسمعها من قبل ، ولم أرها في كتاب ، إلى هذه الساعة ، قوله في دعائه للمؤمنين : « اللهم سودهم ، اللهم أيدهم ، اللهم سددهم ، ويستمر على هذا السجع ، ثم يختتمه بقوله : إنك على كل شيء قدير ، فإن السجع المتناسق القصير الفواصل ، ضرب من ضروب الفصاحة والبلاغة ، ولا سيما إذا كان متناهي القصر ، وكان بعضه بكراً نظير قوله : اللهم سودهم ، فإنني عندما سمعت هذه الفقرة استنكرتها ، ثم لما استوضحت معناها وتنبهت إلى أنها مشتقة من السيادة أو السؤدد ، وإن المقصود بها ، اللهم اجعلهم سادة ، أُعجبت بها وأكبرتها ولا أزال ، فقلت في نفسي : سيدٌ من سادات الأعراب يدعو للمؤمنين بإلحاح ، ويستقضي حاجاتهم من الله سبحانه ويهتم في أمورهم ، وأنا أدعي النيابة عن صاحب الزمان (ع)، والولاية على المؤمنين ثم لا أهتم في شؤونهم كما يهتم هذا الإعرابي .

ثم جعلت أدعو لهم بنحو دعائه ، حتى نفذ ما أحفظه وما أستطيع ارتجاله وكنت أعود للإستماع إليه وأكرر بعض الأدعية التي أحفظها أو ارتجلها ، ثم بعد اليأس من نفسي تركته وهو مشغول بالدعاء لهم ، وخرجت إلى الصحن من جهة باب القبلة وجلست منفرداً مستقلاً لعملي ، وأنا في غاية الغم والهم ،

والتعقيد من أجل هذه الملابسات .

نعم قد استحقرت نفسي ، وأكبرت هذا الرجل ،وبقيت صورته منطبعةً في مخيلتي وأخذت أفكر في شأنه ، واتطلب له نظيراً ، فلم أجد ، ومن الصدف أنه لم يأتني أحد ممن أعرفه على خلاف العادة ، فبقيت غارقاً في تفكيري ، ثم ازداد تعظيمي له ، وجعلت أشعر بالحب له ، وأحدث نفسي بأن مثل هذا الإنسان المثالي الذي لا نظير له ينبغي أن يفدى بالنفس والنفيس ، بل ينبغي لمثلي بأن لا يبخل عليه بأن يفديه بنفسه .

بقيت جالساً وحدي أحدث نفسي بهذا كله ، لاشعورياً ، وكأنني مشدود لهذه الأحاسيس ، التي لم أعرفها من قبل ، بل وإلى هذه الساعة ، أعني ربيع ثاني سنة ـ ألف وأربعمائة وعشرة .

ثم بعد مغادرتي الصحن الشريف ، لم تفارقني هذه الصورة ، ثم أخذت أعتقد بأنه من أولياء الله تعالى ، الله أرسله لي ليوجهني إلى خدمة الدين والإهتمام في أمور المؤمنين ، ومشاركتهم في آلامهم . وقد قدرت أنه في منتهى القوة والقدرة والفتوة ، وأنه لا يبلغ الأربعين من العمر ، ولذلك هبته وخفته ، ولاحظت كريمته شديدة السواد وإنها كثة ، ولا تكاد تتعدى في طولها حدود وجهه ، وإن وجهه يتناسب مع بدنه ، وإنه يميل إلى الطول أكثر من الإستدارة وكان واضح الثغر جميل الأسنان وفمه يميل إلى "ـعة ، وإن شاربيه خفيفان وإنه لم يحفهما ، وأن حاجبيه أسودان ، ممتلآءان ، يكادان يلتقيان عند أعلى أنفه ، والشعر الذي على عارضيه ليس طويلاً بل لا يكاد يتعدى حدود وجهه وليس عريضاً .

ولا أزال أحفظ صورة حاجبيه الأسودين ، واستواء مارن أنفه ، وتناسبه مع جسمه ، وإسالة خديه ، ولونه الذي لا أستطيع وصفه بالسمرة ولا بالبياض السديد . وإنه عريض المنكبين .

وكنت أتأمل ما تحت عمته بدقة فلم أشخصه ، ولم أعرف أنه منديل أسود أو شعر سبط منسق .

وقد كررت تدوين هذه الصورة في أوقات متعاقبة ، حفظاً لها من الضياع ، وطمعاً بأن ينتفع بها منتفع ، وأسأل الله سبحانه أن لا يجعلها حجة عليَّ كما أسأله أن يجعلها من بعض ألطافه عندي إنه أرحم الراحمين .

* * *

وقد سألت بعض من يحضر الأرواح عنه ، من دون أن يعرف المحضر ما في نفسي فكان الجواب : (هو ربنا) فظننت أولاً أن الجواب دليل على عدم صحة التحضير ، ثم تنبهت إلى أن المقصود هو صاحبنا ، لأن الرب معناها لغة هو الصاحب ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

وفي شوال سنة ١٤٠٨ هـ زارنا الحاج شحادي دايخ من بلدة جويا ، في حاريص فتحدثنا عن الحج فقال :

حججت سنة كذا ووقتها ، وبعدما انتهيت من الرمي سمعت صيحة من امرأة هندية أو إيرانية نظرت إليها فوجدتها تكاد تهوي إلى الأرض من الزحام ولو وقعت لماتت تحت الأقدام ، فبادرت لتخليصها وخلصت معها أخرى واحتضنتها وقدمتها للرمي ، وخرجت من حومة الزحام ، وإذا بشاب وضع يده على كتفي وقال : أحسنت ونعم العمل وهنأني ، فقلت له : صفه لي ، فوصف قامته ولحيته ، ولعله وصف فمه أيضاً ، فكانت أقرب شيء لمن وصفته في حديثي الآنف .

* * *

قصة أبو علي موسى نمر ياسين

نهار أمس الخميس ٩ / ٥ /١٩٨٩م ، زارنا في حاريص ، أبو علي موسى نمر ياسين من مجدل سلم ، وهو تاجر نشيط ، كان أولاً في الكويت ، يلتزم أعمال البناء ثم اشتغل بالتجارة ، ثم صار يتجر في بعض دول الخليج وهو من

ذوي الشهامة والكرم ، وكان يوم زارني يعاني ألماً في حنجرته ، ثم عافاه الله تعالى ، فعرفت الحاضرين به وأثنيت عليه ، وقلت لهم : في أوائل تهجيري من العراق ، ودخولي إلى حاريص سنة ١٩٦١ م ، نزلت في منزلي هذا ، وكان نائياً عن القرية ، وفي سنة ١٩٦٥ م أو ما يقاربها ، كان عندي ضيوف وكنت أعددت لهم ما أتمكن عليه .

فوردنا قريب الظهر أبو علي المذكور ، والحاج عبد الحسين ياسين ، وعدة أشخاص ، وكأنني أتذكر أن المجموعين نحو سبعة عشر شخصاً فأستقبلتهم بالبشر والترحاب ، ولكنني تضايقت لأنني لا أستطيع القيام بواجبهم ، فاستقبلهم ثم دخلت المنزل ، وقررنا تهيئة جميع ما لدينا من البطاطا والباذنجان ، وإعداده للطعام ، وكان الموجود منها كثيراً جداً ، وقررت الإعتذار ، بالأمر الواقع ، وهو ضيق الوقت ، ثم كررت الدخول على البيت وألحيت على العيال بالعمل ،فقالت عيالي المرحومة أم الرضا، الحاجة زهراء الزين : مالي أراك متأثراً ، فشكوت لها كثرة الأضياف والعجز عن غبر الموجود ، فقالت : ليس الأمر كما تتصور ، إن الجماعة معهم فخذ عجل ، وفخذ العجل حتماً يقارب العشرين كيلو فما فوق ، فسرى عني وقلت : اصنعوا كل ما تقدرون عليه ، وبعد ذلك تهيأ كل شيء ، من أفضل أنواع الطعام ، وتبين إنهم ادخلوا هذا اللحم إلى البيت ولم يشعروني به .

وتبين بعد ذلك أنه هو ومن معه ، أو بعضهم ، كانوا في الصيد وأنهم اصطادوا نحو ثلاثة وسبعين طائراً من (الفر) وأنهم قرروا تناول طعام الغداء عندنا ، فقال لهم أبو علي : نذهب في هذا الوقت ، ونضايق الشيخ ، ثم اجتاز بقصاب وسأله عن اللحم ، وأخيراً قال له : أذبح العجل وأنا آخذ الفخذ أو الربع وفعل .

ذكرت هذه القصة وارتاح أبو علي لذكرها ، ثم ذكرني بقصة أخرى كانت بعيدة عن ذاكرتي ، وهو يعتقد أنها من الألطاف الإلهية ثم لما حدثنا بها وتمعنت فيها رأيتها من أعظم الألطاف .

قال : أتذكر يوم وجدتك على محطة البنـزين ، في تبنين ، والمطر ينهمر كأفواه القرب ، فعجبت من وجودك ، كما تعجبت أنت من خروجي من منزلي في ذلك الوقت ، فذكرت أنت سبب خـروجك ، أمـا أنا ، فقـد قالت لي أم علي - يعني زوجته - إلى أين تذهب في هذا الوقت الذي لا يخرج فيه أحد من بيته ؟ فقلت لها : أُريد أن أملأ السيارة بنزيناً ، فقالت : البنزين موجود في كل وقت ، والمطر كما تراه ، قال : أصريت على الخروج ، وخرجت لاشعوريـاً ، وبـدون حاجـة ملحة ، ولمـا وردت المحطة وجـدتك فيهـا وتعجبت ، وعرفت السبب وأن الله سبحانه أرسلني لمساعدتك .

والقصة كما يلي : كانت المرحوم عيالي أم الرضا مريضة ومتألمـة ، وكان الدكتور أنيس مروة هو عمدة الأطباء الذين يشرفون على علاجها ، وكان شبه المتخصص بذلك المرض ، وكان الدواء مفقوداً في تبنين ، ولا يوجد إلا في بنت جبيل ، وكانت ظروف السيارة والسائق ، بل وظروفي الماليـة كلها ليست كـما أريد ، فاضطريت إلى مرافقة السائق ، وكان البرد شديداً والمطر غزيراً في غاية الغزارة ، والذي اتخطره أن السبب المهم هو أن المال الذي دفعته للسائق ثمناً للدواء قد لا يكفي وأن بائع الدواء قد لا يصبر عليه بالباقي ، وإنني إذا كنت معه وعرفني يؤجلني بالباقي ، فتوقفت في المحطة ، منتظراً خفة المطر ، ومتمنياً أن يمر بي بعض من أثق به وأعتمد عليه لأكلفه بالمهمة ، وبينما أنا كذلك فاجئني أبو علي ، ووقف بسيارته وسلم عليَّ ، وقال لي : مـا الذي أخـرجك فقـال : خرجت (هيكي) يعني بلا سبب ، وخـطر في بالي أن أمـلأ السيارة بنـزين ، وذكر ما قالته زوجته ، وما أجابها به ، ثم سألني عن شأني فعرفته به مجمـلاً ، ولما سمع كلامي أصر عليَّ بالرجوع إلى المنزل ، وتوجه إلى بنت جبيل ، ثم عاد ومعه الدواء ومدفئتان تشعلان بالمـازوت ، فسألتـه عن شأنهما فقـال : إنه أراد شراء واحـدة له ، وأنـه ظن أنني في حـاجـة لمثلهـا ، وأخـيراً أصر عـلى تـرك الصوبيتين لنا .

وعندما انتهى من حديثه هذا ، عادت بي الذاكرة إلى ما قبل اثني عشرة سنة ، وتذكرت الظروف والملابسات ، وكنت غافلاً عنها كل الغفلة ثم قلت في

نفسي :

من هو هذا الذي أخرج أبو علي من منزله في ذلك الوقت العصيب ؟ ولماذا لم يذهب إلى محطة البنزين الموجودة في بئر السلاسل وهي أقرب إلى المجدل ؟

فمن هو الذي عرف أحاسيسي وما يحيط بي ، ثم هيأ لي ممن كفاني مؤونة دفع ثمن الدواء ، واشترى لي مدفأتين ، هنا رجعت إلى الله سبحانه واعتقدت أنه لا يغفل عن عباده ، أما أبو علي فظهر عليه أنه كان ملتفتاً لذلك حين الحادث ، ولذا قصه على الحاضرين .

ثم طلب من الحاضرين أن يبقى معي منفرداً ، فانصرفوا ، ثم أسر إليَّ بأنه في حاجة إلى ألف دولار وأنه يأنف عن تكليف غيري .

ومن الصدف أنني كنت ليلاً أحصيت ما معي من الدولارات ، فوجدته ألفاً وثمانية وتسعين دولاراً ، ولما أردت دفع الألف إليه ، وجدته أقل من ذلك ، فسلمته تسعماية دولاراً ، وأنا في غاية السرور ، وكنت سعيداً لأن الله سبحانه أقدرني مالياً على الوفاء والمكافأة .

وأقسم للقارىء قسماً مبروراً ، .أن هذا الإنسان ، إذا لم يرجع المبلغ ، لن أجد في نفسي ضيقاً ، ولا حرجاً ، فأنظر إلى أثار لطف الله بي ، يوم كنت عاجزاً وللطفه مرة أخرى يوم أصبحت قادراً . وإلى لطفه به لما احتاج إلى الإستعانة .

اللهم زدني إيماناً بك وتسليماً لك ، وإتكالاً عليك ، في كل مكان وزمان وحال ، ووفق إخواني المؤمنين لذلك كله ، هذا وبين الحادثتين نحو اثني عشرة سنة تقريباً .

***

امرأة فاضلة . .

صبح الثلاثاء في الرابع من شهر شعبان ، سنة ١٣٩٨ هـ الموافق ١١ / ١٠ سنة ١٩٧٨ . .

حدثنا ابن خالنا الشيخ سليمان البياضي ، أن إبراهيم برجي من بلدة قانا كان متزوجاً بابنة عمه الحاجة سعدا برجي ، كريمة المرحوم الوجيه نجيب برجي ، ولم تنجب ، ولم يتزوج من غيرها إحتراماً لها ، فأصرت عليه بالزواج ، وأخيراً أجاب طلبها واختار امرأة دونها بالشرف لتكون مطيعة لها ، فلم ترضى بذلك ، وقالت : يجب أن تختار بنت أصل ـ تعني امرأة أصيلة في الشرف من بيت كريم ـ ثم اختارت له امرأة من بيت بزيع من بلدة زبقين ، وخطبتها بنفسها وزينتها وزفتها له بنفسها ، فولدت له ولداً ذكراً فتبنته وتولت تربيته ، وهو الآن من المعروفين في بلدته وكان باراً بها .

والحاجة سعدا كانت كما كان والدها تستقبل العلماء والوجهاء في منزلها ، وتقوم بضيافتهم .

في الأدب الساخر

الأدب الساخر

الشعر ضرب من ضروب الكلام يمتاز عما عداه في جميع اللغات بالإيجاز ، وسهولة الحفظ ، ومزاملته للترانيم العذبة ، التي يأنس بها الشخص إذا رددها منفرداً ، ويأنس بها الآخرون إذا سمعوها منه .

الشعر قد يكون مديحاً ، وقد يكون هجاء ، وقد يكون توجعاً وقد يكون تفجعاً لفراق حبيب أو فقد عزيز ، أو تشوقاً للقاء محبوب ، ويسمى نسيباً ، وقد يصف به الشاعر محبوبته أو فتاة أخرى لا يحبها ، ولكنه ينظمه استجابة لجمالها الذي حفزه على التحدث عنها ، ويُسمى غزلاً وقد يكون وصفاً ، كالشعر الذي يصف فيه الشاعر راحلته فرساً كانت أو ناقة ، أو بغلاً ، أو حماراً وقد يصف فيه مشاهداته ، وأحاسيسه ، وكل منهما لا حد له ، لأنهما لا ينحصران في مكان ولا في زمان ، ولا في جهة من الجهات ، ويُسمى هذا النوع بالشعر الوصفي ، وكلما جسد الشاعر هذا النوع في شعره ، وقربه إلى الحس كان ذلك دليلاً على تفوقه ، ولا سيما إذ أجاد السبك وأحكم تناسق الألفاظ .

ومن أنواع الشعر الرفيع ، الشعر الذي يشتمل على النكتة أو يستدعي الضحك والإبتسام ولنسمه « بالأدب الساخر » ، سواء كان ذلك بقصد التهكم والإزدراء ، أو بقصد آخر .

وهذا اللون قد يتميز به جماعة من الشعراء المحلقين كأبي دلامة وأبي العتاهية ، كما يتميز به في الأدب الشعبي الشاعر العاملي الحاريصي ، محمود

قاسم المعروف بمحمود حداثا .

فإن قصائده المطولة ، التي وصلت إلينا لا تكاد تخلو من هذا النوع الذي يغسل كلل السامع ، وينقله إلى جوه فكاهي ممتع ، فيبتسم أو يضحك من حيث لا يحتسب .

وسنورد بعض ما هو في متناول أيدينا من هذا النوع عندما نسمعه أو نقرأه في كتاب « من الأدب الساخر » .

سمعت من أكثر من واحد ، أنه عندما عزم المرحوم الشيخ محمد أمين شمس الدين العاملي على العودة من النجف الأشرف إلى وطنه جبل عامل ، ليقيم في بلدته عربصاليم التابعة لقضاء النبطية ، إجتمع أصدقاؤه من أهل العلم لوداعه ، وكان ذلك في أواخر الربع الأول من القرن الرابع الهجري فسألوه عما صحبه معه من الهدايا ، فكان بين جملتها الخواتيم ، ثم عرضها عليهم ليختاروا منها ما يعجبهم ، فقال حجة الأسلام المرحوم السيد محمد حسين الكشوان القزويني النجفي[1] بهذه المناسبة .

ألقى لنا الشيخ خواتيمه ... فلا تسل عما فعلنا معه
ولا تسل عنا فكل واحد ... أدخل في خاتمه أصبعه

والمرحوم الشيخ محمد أمين أرسل لنا قصيدة للنجف بمناسبة ما ، وأجبناه عليها ، والتقيت معه في سنة ١٣٥١هـ ، وله مقطوعة بخطه تتعلق بنا في مجموعة من هذا اللون ولا تزال محفوظة عندنا . وربما صورناها في أواخر هذا الجزء .

وروى أن أبا دلامة مثل بين يدي الرشيد بعد عودته من بعض أسفاره فأنشده :

ولقد نذرت لأن رأيتك سالماً ... بقرى العراق وأنت ذو وفر

(١) وهو ممن حضرت عليه تنبيهات الاستصحاب ، فوجدته من أفضل المدرسين المحققين ، وكان هو والشيخ محمد أمين من أصدقاء الشيخ الوالد رحمه الله .

لتصلين على النبي محمد ولتملأن دراهما حجرى

فضحك الرشيد وقال : اللهم صلِّ على محمد وآل محمد ، فقال أبو دلامة : ما أسرعك إلى الأولى يا أمير المؤمنين وأبطأك عن الثانية ، فضحك وقال : املأوا حجره دراهما ففعلوا .

كان الجزار أحد الأدباء البارزين في دمشق قد ترك الأدب وأشتغل بالجزارة فلُقب بالجزار ، فإجتمع مرة بجماعة من أهل الأدب ، فلاموه على ذلك فأجابهم قائلاً :

كيف لا أشكر الجزارة وأهجر الشعر والأدباء
وبها صارت الكلاب ترجيني وكنت أرجو الكلابا

أدب النكتة ومنه الأدب الساخر :

وقال الخطيب الشهير في زمانه العلامة السيد صالح الحلي ، الذي عاصرناه عقداً أو أكثر من السنين في النجف الأشرف ، معرضاً بملك العراق الملك فيصل الأول :

كلُ ما تشاء مهنا من قيمة أوْ مُسمى
فإنما أنت اسم والأنكليز المسمى

والقيمة والمسمى ضربان من ضروب الطبخ الممتاز عند العراقيين ، يطبخ الأول منها من اللحم المهروس مع مثله من البصل ، مع الحمص المجروش « اللبا » مع البندورة والنومي بصرة ، وكيفية طبخ المسمى ، هو أن يؤخذ اللحم ويجعل قطعاً كبيرة ، ثم يؤخذ الباذنجان وتُقسم الواحدة منها إلى قطعتين أو أكثر ، ثم تُقلى بالسمن ، ثم يُغمر الجميع بماء البندورة « الطماطم » وكلاهما من الأمراق التي تؤكل مع الأرز المطبوخ منفرداً .

قيل أن الأزري قرأ قصيدته الحائية على السيد الفحام ، وكان من العلماء

الأدباء ، فجعل الفحام كلما سمع منها بيتاً يقول : أحسنت موزون ، فاستاء الأزري منه ، وكان مطلع الحائية قوله :

هي جـزوى ونشرهـا الفيـاح ... كـل قلبٍ لـذكـرهـا يـرتـاح

فقال الأزري معرضاً فيه :

عرضت در نظامي عند من جهلوا ... فضيعـوا في ظلام الليـل مـوقعـه

لا تعـرضن عـلى الفحـام قـافيـة ... من بـاع دراً على الفحـام ضيعـه

قلت : وقد وجدت البيتين في ترجمة الأزري ، في أعيان الشيعة هكذا :

إني عرضت على قوم سموا حسبا ... شعري فلم يشعروا هيهات موقعه

لا تعـرضن عـلى الفحـام قـافيـة ... من بـاع دراً على الفحـام ضيعـه

* * *

وللعلامة السيد محمد حسين الكيشوان القزويني النجفي ، وهو من عظماء العلماء وأمراء الشعر في عصره ، وقد تقـدم ذكره آنفاً :

كيف تـرجـو القـرآن من رجـلٍ ... قـد زر أزراره عـلى الـقـمـر

وفيه تورية جميلة ، فإن القـران اسم لقطعـة من النقود كـانت متداولـة وبقيت إلى زماننا . والقمرى اسم لعملة من النقود أقـل من القران ، ولعلهـا تعادل ربع قران .

والمقصود الأولي كيف ترجو أن يعطيك شخص قطعة من النقود الكبيرة وهو لشدة بخله زر أزراره على ما هو أقل منها حرصاً منه عليها .

والتورية هي كيف ترجو الزواج ممن هو قمر من الجمال ، وأنت قبيح .

حدثنا العلامة السيد عبد الحسين نور الدين العاملي وهو من اقران الشيخ الوالد ، ورفاقه وقال : عقدت ندوة للشعر ، حضرها أمير شعراء زمانه الشيخ جواد الشبيبي ، فتليت فيها قصيدة للسيد محمد الكشوان ، فلما قرأ القارىء صدر

بيت منها أتمه الشبيبي بقوله: غافرين قائده فحل ، وكان العجز هكذا : وتخطى عقد ضل فحل ، وهذه التقفية من أبرع ما يتصور، فإن قفى البيت وشهد لقائله ، بأنه فحل ، من فحول الشعراء في وقتٍ واحد .

***

عندما زار العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي ، النجف الأشرف ، أقامت له جمعية الرابطة الأدبية في النجف حفلة تكريم ، وكنت ممن حضرها آنذاك ، وكان قبل ذلك زار النجف رجل يدعى موسى جار الله ، وأقام فيها شهوراً ، وبعد مغادرته إلى القاهرة ، أخرج كتاباً صغيراً فيه أمور لا أصل لها ، وسماه الوشيعة ، فرد عليه المرحوم السيد عبد الحسين بكتاب بقدر ذلك الكتاب حجماً تقريباً ، ولما إنعقدت الحفلة ، وخطب فيها من خطب ، أنشد الشيخ محمد علي اليعقوبي قصيدة بهذه المناسبة ، ولا ينبغي أن يفوت القارىء أن السيد عبد الحسين رحمه الله موسوي النسب ، ولما انتهى اليعقوبي إلى قوله فيها :

رمت يدك البيضاء عصا موسوية قد التقفت موساهم والأفاعيا

ضج الحضور بالاستحسان وإعادة البيت .

للتاريخ :

موسى جار الله ، رجل لم أتعرف عن بلده ، ولا عن مهمته ، وكثير من الذين يجوبون البلاد أمثاله من الجواسيس والجاسوسية ، وأهدافها لا حدود لها ، والذين يختارون الجواسيس في دول العالم من أبعد الناس تفكيراً ، وأعرفهم بأذواق البشر ، ومن أجل هذا ، فقد يسخرون البسطاء ويستغلونهم ، وقد يستغلون الأذكياء ويستفيدون منهم ، وقد يستعملون أُناساً فيهم شيء من الجنون في هذه المهمة ، أو أُناساً يتجننون ، ويكون تجننهم بابا من أبواب سلامتهم ، إذا تنقلوا في الأحياء والنوادى ، أو تكلموا بما يغضب السامعين ، فإن الجنون يفتح لهم باب السلامة ، ويكون المعاتب والمحاسب هو من يسيء

إلى هؤلاء المجانين ، أما المجانين فلا حساب عليهم ولا عقاب .

كان موسى جار الله ، يحضر دروس العلماء ، وقد يكون يدخل بعض البيوت التي تكون ملتقى للناس ، أما أنا فلم أره إلا في بعض الدروس ، وكان بصحبة آحاد من البطالين الذين لا عمل لهم إلا النكتة والدعابة ، إذا انفردوا وحدهم والتحدث بشؤون المجانين والبسطاء وقد ينالهم شيء مما يقدمه أصحاب البيوت للضيوف الغرباء ، وفي الناس من يعرفهم وفيهم من لا يعرفهم وبعض من يعرفهم قد يأمر خادمه أو من يعتمد عليه ، بالإيعاز إليهم بالخروج ، وإلا فبالتدفيع .

وقد جمعتني مع هذا الرجل عدة جلسات ، وكان يدّعي العلم والمعرفة بالمذاهب ، ولكن ما سمعته منه في هذه الجلسات بعيد عن ذلك كله فكان بعضهم يضحك وبعضهم يتكلم معه كما يتكلم مع أهل العلم ، ولكنه لا يفقه شيئاً وكان بعضهم قد يسبه ويهينه ، ولكنه لا يغضب ولا يتأثر ، بل يستنصر بالحاضرين ، أما الذين يصحبونه ، ويدلونه على هذه المجالس فيكونون سكوتاً ، وأما أنا فلا أتذكر أنني تكلمت معه بل كنت أسر إلى من هو إلى جنبي بالإعراض عنه ، ثم نقوم ونتفرق ، ولا أعرف ما يصنعه صاحب المنزل بعد ذلك .

وهل كان الذين يصحبونه إنما يصحبونه لتمضية الوقت ، أو أنه كان يعطيهم شيئاً من المال لست أدري ؟ لأن لباسه وهدوئه يدلان على البله والفقر ، والعلم عند الله وعند الجواسيس .

حكي عن كتابه ، أنه قال فيه : أنه رأى أطفالاً ذكوراً صغاراً في النجف يلبسون الأقراط ، وأنه سأل عنهم فقيل له أن هذه الأقراط علامة فارقة بين أبن المتعة وبين الطفل الذي تكون أمه زوجة دائمة .

وأنا بدوري لا أشك في أنه سأل وبأنه سمع هذا الجواب ممن كان يصحبه ، وذلك لأن الشياطين الذين يصطحبونه يريدون باباً للإستهزاء والسخرية والضحك . وقد أكون أنا ولداتي ارتكبنا أمثال ذلك في أيام الجهل ،

فإذا سألنا أعرابي مثلاً : لماذا تلبس هذه الخاتم في الأصبع الفلانيـة ؟ نقول : للرزق ، وقد يسألنا : أين يُباع هذا ؟ فنقول : أسأل أهل السوق عن خاتم الرزق أين يُباع فكلهم يعرفون ذلك .

* * *

وحدثني الشيخ خليل نصور حفظه الله ، وهو أسن مني بعدة سنوات ، أنه ركب بغلة من كفرا إلى حاريص في يومٍ مثلج وصحب الناطور رجلاً ليعيد البغلة إلى أهلها ، فقال له ذلك الرجل : يا شيخ إقرأ لنا شعراً ، فأجابه : أنا لست شيخاً ، فقال الرجل : لماذا ناتـع هذه اللفـة ؟ ـ يعني لماذا تلبس هـذه العمامة ـ فقال له : لوجع الرأس ، فظن الرجل أنـه مصاب بـالصداع ، وقـد وصفت لي دواء فقال له : هل أستفدت عليها ؟ فقال : نعم ، ومن الصـدف أن الرجل بعد ذلك أُصيب بالصداع الشديد وإستعار العمة ولبسها ، وبرىء ، وإمتنع عن إرجاعها للشيخ ، وأعارها لمريضٍ آخر ، وقـال الشيخ : إن هـذا الرجل خرج للقيام بعمله ونسي العمة وشد عليها كوفيته ورآه بعض المحترمين من البلدة وتكلمـوا معه فلم يصـغِ إليهم ، واخيراً أُعلم الشيـخ خليل ، ثم المرحوم عبدالله عز الدين وآخرين ، ثم قدموا للشيخ طربوشاً جديداً إلخ .

وأمـا قصة الأقـراط فأهـل الباديـة يستعملونها لبعض أطفالهم ، ولعلهم يستعملونها دفعاً للحسد والعين ، حسب إعتقادهم ، فيشبهونهم بالأناث ، كـما أنهم يسمون أولادهم إسماً قبيحاً ، ولعله من أجل ذلك ، فيسمون الولد زبالة وفشاش وزبلان ، وقيطان .

وحدثني المرحـوم الحاج أبـو رضـا شعيتو من بلدة الـطيري قضاء بنت جبيل ، وكان في وقته أحد تجار الشيعة في بيروت ، وكان معروفاً بالكمال وفعل الخير قال :

حضر رجل بسيط مغترب من بـوينس أيرس ، وجـاء إلى بعض التجار يسأله عن طبل وسنجق ، يحمله هدية إلى شباب بلدته ، أو أنه سأله عن هدية يحملها ـ التردومني ـ فقال له التجار : يوجد هنا رجل خبير بهذه الأمور اسمـه

الحاج أبو رضا شعيتو ، فجاء إلى أبو رضا فقال له : الطبول أصناف ، وقيمتها مختلفة ، منها طبل الرجوج وهو شيخ الطبول ، إذا ضربت عليه سمعت القرى المجاورة ، ومنها ومنها ، وبعد ذلك نصحه وأرشده إلى الخير ، وبالطبع إن التجار إجتمعوا بعد ذلك ، ونقلوا الحديث وعلقوا عليه وذكروا نظائره .

وهكذا يعيش البطالون في المدن إذا صادفهم الحظ ، وظفروا بإنسان ساذج .

***

في السنة التي نجح فيها حزب الأخاء في العراق ، وتولى الوزارة ياسين الهاشمي ، وكان أخوه طه الهاشمي يتولى قيادة الجيش في العراق ، نيابة عن الملك غازي .

في ذلك الوقت شاع على ألسنة الأباء في النجف بيتان من الشعر للشيخ محمد علي اليعقوبي النجفي[١] ويحضرني منها قوله :

يا رب طه وياسين بحقهما   خلص عبادك من طه وياسين

***

(١) اليعقوبي في وقته أحد شعراء النجف الأشرف ، ولكنه من الطبقة الثانية ، وقصائده ، لا تكاد تخلو من أدب النكتة ، وتنال استحساناً من السامعين ولأجل ذلك تتوجه الأنظار إليها .

وهو أبرز خطباء المنبر الحسيني بعد السيد صالح الحلي ، وكان من أعظمهم تثبتاً في النقل ، وأكثرهم إحاطة بالتاريخ الإسلامي ، فكان إذا استعرض سير السلف عرضها باتقان ، وجسدها أعظم تجسيد حتى كأنه يعيش معهم ويعيشون معه ، وكان يسيطر على المستمعين وينقلهم إلى تلك العصور ، ويشتركون معه في المشاهدة .

وكان لنا معه صلة كبيرة، مقرونة بالحشمة والإحترام المتبادل، بسبب فارق السن والمهنة فهو في سنه والد وفي مهنته خطيب متفوق ، والخطباء وإن علوا في السن يكون مستواهم دون مستوى العلماء .

وكان اليعقوبي في الوقت نفسه يتصل بجميع الطبقات من السواد والتجار والأعيان والعلماء والساسة ، وهذه صفة ليست لغيره من الشعراء والخطباء ، فهو إذن يمتاز بالعقل أيضاً .

ومن أجل ذلك كان يشترك في حل المشاكل التي يهتم فيها قادة هذه الطبقات وكثيراً ما كان يكون من جملة الوسطاء والسفراء ، بين المعنيين بهذه الأمور رحمه الله برحمته الواسعة .

من تاريخ العراق

وهنا يحلو لي تدوين صفحة من تاريخ العراق في ذلك العهد ، فيها فوائد كثيرة ، لا أظن أن غيري يعرفها لأنها ماتت بموت من يعرفها من الخاصة .

قبل نجاح حزب الاخاء ، وقبل معرفة الناس به ، ورد النجف الحاج عبد الواحد آل سكر من المشخاب ، وأقام فيها شهوراً ، وكان الناس يتحدثون بذلك ويستغربونه .

والحاج عبد الواحد هو زعيم عشيرة آل فتلة المقيمة على الفرات في لواء الديوانية وهم أذكى القبائل العراقية حسب السماع ، والحاج عبد الواحد يعد أنبل من غيره من زعماء العشائر ، لأنه معروف بالذكاء والدهاء ، وهناك زعماء معروفون بالنجدة والشجاعة مثل زعماء الخزاعل وهم فراتيون أيضاً وآخرون معروفون بالثراء وكثرة المال مثل زعماء العمارة ، وآخرون معروفون بالكثرة مثل زعماء بني حِسَن وهم فراتيون أيضاً ، وآخرون معروفون بالحزم والشدة ، مثل خيون العبيد وهو زعيم كذا في مدينة الشطرة في الفرات ، وبعضهم معروف بالدهاء مثل موحان خيرالله ، وهو من زعماء الفرات أيضاً . وهؤلاء يقيمون على شاطىء دجلة ، وآخرون معروفون بالهيبة والتقدم مثل أمراء ربيعة ، وعلى رأسهم الأمير محمد الذي تزوج شقيقة الوصي الأمير عبد الإله بن الملك علي بن الملك حسين . ومنهم شيوخ بني تميم وعبدالله وغيرهم ممن لا نحيط بهم .

نعم كان الحاج عبد الواحد أنبلهم كما قلنا ، لأنه معروف بالفطنة والدهاء ، ولأنه اشترك في الجهاد سنة ١٩١٩ ضد الحلفاء ، وكان يعد أحد رجال الثورة لأنه قاتل الإنكليز مع من قاتلهم بعد الإحتلال ، وحُكم عليه

بالإعدام وسلم من جملة من سلم من هذا الحكم .

قلنا : إنه ورد النجف ، وبالطبع أنه كان يزور ويُزار ، ولا أعرف شيئاً عن ذلك ولكنه أمر طبيعي بالنسبة لأمثاله .

نعم كان أكثر ما يكون في برّاني آل كاشف الغطاء ، في مجلس استاذنا المرجع الديني آية الله الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، وكان يقضي شطراً من كل يوم تقريباً في ذلك البراني ـ كما كنت أسمع ـ ومن أجل ذلك كانت الناس تتوارد على ذلك الديوان تواردآ ملفتاً للنظر ، وكان يجد فيه أرضاً خصبة لنثر أفكاره ، والوصول إلى أهدافه .

وكان الحاج عبد الواحد يتحدث ببساطة عن اوضاع العراق العامة ، وينعي أوضاع الشيعة في العراق ويقول : العراق كذا مليون ستة أو سبعة ، أو ثمانية في ذلك الوقت حسبما اتخطر ، والشيعة تسعة أعشار هذا العدد ، أو أربعة أخماس على أقل تقدير ، ثم يذكر عدد الألوية والقائمقامات والنواحي ، ويذكر عدد الموظفين فيها ويذكر ما يستحقه الشيعة منها فيقول مثلاً :

يوجد في العراق كذا لواء ، ويستحق للشيعة كذا متصرفاً ، وليس لهم متصرف واحد فيها ، ويوجد كذا قائم مقائمية ، وعدد الموظفون فيها كذا والشيعة لهم كذا ، وليس لهم إلا واحد أو إثنان ، ويوجد كذا ناحية ، والشيعة لهم منها كذا وليس لهم إلا فلان وفلان ، يذكر عددهم وأسمائهم ، ثم يذكر الجيش والدرك ، ويذكر القادة والعقداء والضباط .

ثم يقول : نعم الفراشون، يعني الموظفين الصغار الذين يقفون على باب الدوائر الرسمية كلهم من الشيعة ، والجنود والدرك الصغار كلهم من الشيعة ، وقد يكون قد ذكر الخزينة والرواتب ، وذكر ما يدخل الشيعة منها ، مع أن وارد الخزينة كله من الشيعة .

وقد انتشرت هذه الأفكار بين الناس وتحدثت بها السواد في الشارع ، والتجار في السوق ، والخاصة في ندواتهم ومجتمعاتهم ، وانتشر بيننا نحن طلاب العلم وطلاب العلم من جميع أقطار الدنيا ، ومن جميع البلاد الإسلامية ،

وعددهم يومئذٍ نحو أربعة عشر ألفاً .

ومن هنا ابتدأت شعلة الحماس تتأجج في نفوس الناس ، وشرع المخلصون التواقون للإصلاح في إذكائها ، وتبعهم الشارع ، وتخطى ذلك من النجف إلى سائر الحواضر العراقية ، وكان قطب الرحى الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء وإنضم إليه أهل العلم من العرب الذين يفدون النجف وأصبحوا يواكبونه ، ويسيرون في ركابه وكان أبرزهم الشيخ جواد الجواهري ، والشيخ عبد الكريم الجزائري ، وهو أبعدهم نظراً وأنفذهم بصيرة وأعرفهم بعواقب الأمور .

واشتركت جميع البيوت العلمية في هذه التحركات ، فكبارهم يحضرون المجتمعات التي تتعلق بهذا الحدث ، ويتحدثون به ، ويتكهنون بعواقبه .

وأهل البيوت المذكورة كلهم أو معظمهم يرتبطون بزعماء العشائر أو بالعشائر أنفسهم ارتباطاً وثيقاً ، إما لأنهم ينتسبون لتلك العشائر ، وإما لأنهم لهم أرض بينهم يستثمرونها بواسطة الزعيم والفلاحين ، وإما لأنهم معتادون على الذهاب إليهم في مواسم الحصاد والزرع ، للإفادة والإستفادة ، وبالجملة معظم أهل هذه البيوت يعتمدون في معيشتهم على تلك العشائر .

كما أن معظم زعماء العشائر وأفرادها إذا وردوا النجف لمهمة دينية أو دنيوية ، ينزلون ضيوفاً على أهل هذه البيوت .

وفي كل يوم ، بل في كل ساعة يرد إلى النجف جماعات من أطراف العراق لأسبابٍ كثيرة منها الزيارة ، ومنها الطبابة ، ومنها الأعراس ، ومنها وهو أهمها الجنائز ، لأن معظم الشيعة في العراق ، ينقلون جنائز موتاهم إلى النجف ، ويختلف من يرافق الجنازة عدداً بحسب بُعد المكان وقربه ، وبحسب مكانة الميت بين قومه وعارفيه ، فقد يصحب الجنازة واحد ، وقد يصحبها عشرات الألوف ، ومن الطبيعي أن يتلقاهم من يعرفهم من أهل العلم في النجف . . . وأن يشتركوا معهم في الأفراح والأتراح ، وأن يولموا لهم الولائم التي تتناسب مع الوافدين مع الميت .

ومن الطبيعي أن يتحدث هؤلاء وهؤلاء بما جرى ويجري ، وبما سيكون غداً وبعد غد ، ثم يعود المشيعون ، وربما تزداد ضخامتها إذا طال عمرها .

من الطبيعي أيضاً ، أن يسافر النجفيون إلى خارج النجف ، ومنهم أهل العلم إلى جميع جهات العراق ، التي تشدهم إليها علاقات القربى والمعرفة ، والتجارة والسياسة والمعيشة ، ثم يلتقون بالمضايف والدواوين ، بالزعماء ، والأعيان وجماهير السواد ، وقد يتحدثون ابتداءاً ، وقد يسبقهم السؤال ويكون الجواب ، فيقولون له : ما ورائك ؟ أو شو عندك علوم ؟ ثم يشرعون في تفسير ما حدث ، ثم يتكهنون بما يلده الغد من خير أو شر .

والعراقيون على العموم والنجفيون على الأخص ، يجيدون الحديث ، ويتفوقون في الإخراج ، سواء كان الحديث له واقع أو ليس له واقع .

فكيف بهم إذا كانت فتنة ، وكانت ثورة ، وكانت أحداث واقعة أو مترقبة .

وهم أيضاً يتفرسون بالحضور ، ويقدمون لهم أشهى ما ينتظرون في هذه المضامير ، ويعدون ذلك سياسة وكياسة ولباقة ، فيكون أحدهم ، كأنه من عشاق الفكرة ، مع أنه في واقعه من ألدِّ الخصوم وينطلي ذلك على المستمع مهما كان حذراً ولبقاً .

ثم أن طبيعة الجماهير : الإستبشار والفرح ، وانتظار الفرج ولا سيما إذا تنبأ الفاهمون منهم بالخير .

وقد قلنا آنفاً أن العراقي لا يفاجىء الناس إلا بما يحلو لهم من الأخبار وغيرها ، فإذا كنت متعباً من السير ، وسألت أحدهم عما بينك وبين مقصودك من المسافة يقول لك : لكفة عصا ـ يعني مقدار مرمى الرمح ، فإذا سرت وجدت المسافة عدة كيلو مترات .

وإذا استغثت بأحدهم في مهمة يقول لك : افرح ـ يعني انتهت المشكلة وجاءك السرور والفرج ـ ثم لا يعمل أي عمل يريحك ، وقد يعين عليك إذا كانت مصلحته الشخصية تستدعي ذلك ، وإذا لقيته وعاتبته قال لك : هذا

القواد لا تنفع معه الواسطة ، وقد بذلت جهدي ، ولكنه « نغل » يعني مولود من غير أبيه ، وأمه فرس وأبوه حمار .

ثم بعد ذلك أصبح زعماء العراق يترددون إلى النجف ، ويقصدون ـ براني ـ كاشف الغطاء .

وبعد ذلك كله قرروا الإجتماع في النجف ، ثم اجتمعوا عند كاشف الغطاء واتفقوا على الخط الذي رسموه للتحرك ، وتحالفوا على الوفاء .

ثم أصدروا بياناً سموه ميثاق الشعب ، وطبعوه وبيعت النسخة الواحدة منه في بغداد بعشر روبيات على ما قيل ، وهذه القيمة تعادل في ذلك الوقت ليرة عثمانية ذهباً تقريباً ، ويمكن أن يشتري بها ثلاث وزنات من الحنطة ، والوزنة ماية كيلو ونيفاً .

وبعد هذا تفرقوا عازمين على تنفيذ ما اتفقوا عليه .

وكان الشيخ عبد الكريم الجزائري ، وحده هو المعارض ، وكان يمتنع عن التوقيع على الميثاق ولا أشك أنه كان يعرف الهدف ، وإنه كان ينصح بلغته الخاصة ، التي يستعملها المتحفظون في مثل هذه الساعات ، واشتهر بالمعارضة ونعته السواد بنعوت غير حسنة ، ولكنه بعد ذلك وقع مكرهاً ، وشاع ذلك وفرح الناس باتفاق زعماء الشيعة ، وعلمائها على المطالبة بحقوقهم المغدورة وكنت من جملة من فرح ، ومن جملة من اتهم بالخيانة ، مع أنني لصيق وصديق لابن أخيه المرحوم الشيخ محمد حسن الجزائري الذي كان عمه الشيخ عبد الكريم الجزائري ، يعدُّه لأن يكون خليفته ، وكان هو أعظم مصدر لي في هذه المعلومات ، لأنه محيط بها .

وأخبرني الشيخ محمد حسن ، أنه عندما وقع عمه الشيخ عبد الكريم ، ونهض للخروج ، ووقف الناس لتوديعه وشكره ، شيعه الشيخ عبد الرسول أبو البساتين ، وكان عضواً في المجلس النيابي ، وهو من أبناء عمومة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء ، وجعل يثني عليه ويشكره على التوقيع ، وعلى وحدة الصف ، وقال له : جزاك الله خيراً . . . إلخ .

فقال الشيخ عبد الكريم له : هُمّ داك ومدى ابن عمك ، مو عارفين وين رايحين وهذه كلمة عراقية فحواها أنك أنت والشيخ محمد حسين تسيرون في طريق مظلم لا تعرفون نهايته ، وكأنه يقول له : إن هذا العمل عليكم لا لكم .

بلغتني هذه الكلمة ، ولم أدرك أبعادها إلا بعد انتصار حزب الاخاء الذي كانت أهم خطوطه القضاء على الملوكية ومقاومة الشيعة .

ذلك لأن الشيعة في العراق هم الأكثرية الساحقة ، وغيرهم أقلية ، ومن أجل كثرتهم وشعورهم بالقوة لا ينقادون للمستعمرين ، ولا يفكرون بالمتاجرة هذا مضافاً إلى أن المستعمر لا يتعامل مع الشيعة ، ولا يثق بهم لأمرين ، أولهما : أنه يعرفهم ، ويعرف أن دينهم لا يبيح لهم التضحية ببعضهم ولا بالآخرين في سبيل مصلحتهم .

الثاني : أنهم يربون أولادهم وينشئونهم على الصدق والأمانة ، ولا يفقهون الحيلة والخديعة ، فهم يجهلون أبعاد السياسة ، ولا يفكرون في أنهم على كثرتهم قد يبيعهم غيرهم ، ولا يصدقون بأن معظم الساسة خونة ، يضحون بالناس في سبيل مصالحهم .

بعد ذلك كله تفرقوا ، وعاد الحاج عبد الواحد إلى المشخاب ، وأعلن الثورة ، فأمر الشرطة والحكام الموجودين في منطقته بمغادرتها وأنذرهم بأنه غير مسؤول عن حياتهم إذا لم يغادروا في المدة التي ضربها لهم ، ثم أمر بتقطيع الجسور ، ورفع راية الحرب ـ وخلع ألبسته المدنية ولبس الزويني ـ وهو قميص من الصوف يلبسه السواد واشتمل عدة القتال ، وعادة يكون هو أول من يطلق النار من بندقيته ، ويوجهها إلى الجهة التي يحددها ، ومن المعروف أنه أول من يلقي هوسة ، وأمر بالذبح والطبخ لإطعام الجماهير ، والعرب في هذه الحالات يذبحون البقر والجاموس ، أو الغنم الكثير ، ويبقى ذلك مستمراً ، ثم يقف الشعراء الشيعيون على مرتفع أو نَشَزٍ من الأرض ، ثم ينشدون الأناشيد الحماسية ، ويختمون كل مقطع بمقطع خفيف يسمونه هوسة ، ويجتمع النساء والأطفال ، وتعلوا الزغاريد ـ المساة باللغة اللبنانية زلاغيط ـ وفي اللغة

العراقية ـ هـلاهل ـ وتطبخ القهوة المرة ، بمقادير تكفي الجماهير . ومما علق في ذاكرتي من تلك الأهازيج ـ الهوسات :

مـن عـلي جـودت مـهـضـوم   مـهـضـوم ركـاب انـفـديله

والمعنى أن رئيس الوزارة علي جودت ، هضم حق الحاج عبد الواحد ، فتأثر من ذلك ، وهنا تجيب الجماهير ، إذا كان مهضوماً فنحن مستعدون للقتال ونفديه برقابنا . ومنها :

خلِ كيم مكة يرد ليها

معناه أن الملك غازي خادم مكة ، فعليه أن يعود إلى مهنته . ومنها :

يا وحيد رده على بعيره

يعني أن الملك غازي بدوي يعيش في الصحراء من ريع أباعره ، فارجعه إلى بعيره .

وعند ذلك توجهت فرقة من الجيش لإخماد الثورة ، وجعلت طريقها على النجف لأمرٍ مدبر طبعاً ، ولما اجتاز الجيش بالنجف خرج طلاب المدارس لإستقباله فجعل كل تلميذ يناول جندياً رقعة كتب فيها ما حصيلته :

أيها الجندي العراقي الحر ، أتدري إلى أين ذاهب ؟ إنك ذاهب إلى قتال إخوانك ، إنك ذاهب إلى قتال الحاج عبد الواحد ، الذي أرسى قواعد استقلال العراق ، وحارب المستعمرين ، وحملك هذه البندقية ، فانتشرت البلبلة في الجيش .

ولا أشك في أن حزب الاخاء الذي انتسب إليه معظم النجفيين أثناء وجود عبد الواحد في النجف ظناً منهم بأن هذا الحزب يمثلهم ، ويطالب بحقوقهم هو الذي كان وراء هذا العمل .

كما أنني لا أشك أيضاً بأن ذلك جرى بعد اتفاق أعيان حزب الأخاء من النجفيين مع زملائهم في بغداد .

ولا أشك أيضاً في إيهام الملك غازي بأن مرورهم فيها ينشر الرعب في

قلوب النجفيين ويخفف من نشاطهم ، لأن النجف هي مصدر الفتنة وهي التي فجرت الثورة في الفرات بواسطة الحاج عبد الواحد ، أنا شخصياً لا أشك في ذلك كله وإلا ، فما معنى مرورهم بالنجف ، وما معنى توزيع هذه الأوراق على الجنود ؟ .

وكيف غفل الملك غازي وأعوانه من هذه المكيدة ؟

أجل إن هذا المخطط النجفي الدقيق كان يهدف إلى ضمان نجاح الحاج عبد الواحد في جميع تحركاته ، وصيانته ومن هنا يتضح أن الحاج عبد الواحد كان على ثقة بنهاية المسيرة ، وكانت هذه الخطوط العريضة هي الضمانة

والنجفيون معروفون بالشجاعة ، وبالثقة بالنفس وبالحنكة في تدبير التحركات السياسية .

وقد تم تطبيق هذا المخطط على النحو الآنف ، بنجاح متفوق ، واضطر الملك غازي بعد هذا كله ، إلى حل وزارة علي جودت الأيوبي ، ثم شكلها بشكلٍ آخر ، ثم فشلت على ضوء هذا المخطط نفسه ، والذي اتخطره أن الوزارات شُكلت وانحلت ثلاث مرات ثم شكلها ياسين الهاشمي .

وعندما علم الحاج عبد الواحد بذلك أظهر التسليم للجيش ، والإستجابة لمطالبه وجمع أعوانه وكان قد مضى على قيامه بالثورة نحو أربعين يوماً وقال لهم : أولادي نفس الحكومة طويل ، ونحن لا نستطيع الصبر وحدنا أكثر من هذه المدة ، وقبلها أمر عشيرته باحتلال أرض مجاورة له ، كان يخاصمه فيها غيره ، ولعله الشيخ خوام ، ولا أشك في أن الجيش ساعده ، ليعوضه عن خسائره في سبيل العمل الذي عمله .

وقد تبين بعد أذا أنه متفق مع ياسين الهاشمي ، وأنه دعامة من دعائم حزب الاخاء ولعله كان مقصياً عن الحكم قبل ذلك .

وقد قيل : إنه هو أو بعض العراقيين زار الملك فيصل الأول ولعله طلب منه ما يطلبه أمثاله ، فقدم له الملك فيصل هدية صورة والده الملك حسين

فتقبلها وقبلها طبعاً ، وشكره ثم ذهب إلى السوق واشترى نسخـة من القرآن الكريم ، وقدمها للملك فيصل وقال له : لم أجد بدلاً لهـديتكم الثمينة أثمن من القرآن الكريم ولم يسع الملك فيصل إلا قبول الهدية وتقبيلها .

وهذا يدلنا على ذكائه وشجاعته واقتداره .

موجز معجزة القرآن الكريم

نقدم للعالم ، ولأول مرة في تاريخ القرآن الكريم ، دليلاً مادياً ملموساً لا يقبل الشك أو الجدال على أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكـون من قول البشر ، وأنه حقاً وصدقاً رسالة الخالق سبحانه وتعالى إلى جميع الخلق ، وأنه قد حُفظ على مدى العصور والأجيال من أي تحريف .

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم
موجز معجزة القرآن الكريم

طوال القرون الأربع عشرة الماضية ظهرت المؤلفات والكتب والمقالات العديدة عن الإعجاز القرآني تناولت الإعجاز اللغوي والإعجاز العلمي والإعجاز التنبؤي بل والإعجاز الموسيقي إلا أن جميع أوجه الإعجاز التي ظهرت حتى الآن كانت بدون استثناء مبنية على آراء شخصية قابلة للتفسير والتأويل وتميزت جميعها بالتحيز العاطفي الذي طمس عظمة هذه الأوجه المختلفة من الإعجاز رغم أنها بالطبع حقائق واقعية . . . وكانت النتيجة الطبيعية لكون هذه الدراسات تفسيرية واجتهادات بشرية أن رفضها غير المسلمين كبرهان كافٍ على أصالة القرآن الكريم وأنه من عند الله عز وجل .

أما « المعجزة » القرآنية التي نقدمها هنا والتي سميت « معجزة القرآن الكريم » فإنها تقدم للعالم لأول مرة ، معجزة مادية ملموسة في القرآن الكريم لا تقبل الشك أو الجدال وليست عرضة للتفسير أو التأويل أو التضارب في الآراء .

فقد كشفت العقول الإلكترونية عن وجود نظام حسابي مذهل في القرآن الكريم شاء الله سبحانه وتعالى أن يظل سراً خافياً لمدة ١٤٠٠ سنة لكي يتم اكتشاف العقول الالكترونية القادرة على كشف هذا النظام الحسابي المعجز ولكي يتبين للبشرية كافة أن القرآن الكريم ليس فقط كتاب سماوي أصيل من الخالق عز وجل بل أنه أيضاً قد وصلنا سالماً من أي تحريف أو تحرير أو زيادة أو نقصان .

فيما يلي موجز هذا النظام الحسابي القرآني الدامغ . . ويرجى من القارىء ملاحظة أن هذه الدلائل جميعها عبارة عن حقائق مادية واقعية ملموسة :

١ ـ الآيـة القرآنيـة الأولى : ﴿ **بسم الله الـرحمن الـرحيم** ﴾ تـتركب من ١٩ حرف .

٢ ـ القرآن الكريم يتركب من ١١٤ سورة وهذا العدد يساوي ١٩ × ٦ .

٣ ـ أول مـا أُنزل من سـور القرآن (**سـورة العلق**) هي السورة رقم ١٩ إذا ابتدانا بعد السور من آخر القرآن .

٤ ـ أول ما نزل من سور القرآن (**سورة العلق**) **تتركب من ١٩ آية** .

٥ ـ عدد الحروف التي تتركب منهم سورة العلق ٢٨٥ حرف أي ١٩ × ١٥ ، هنا سؤال حسن : لماذا نضربها في خمسة عشر .

٦ ـ عندما نزل جبريل عليه السـلام بالقـرآن لأول مرة أحضر معـه ١٩ كلمة بالضبط هي : ﴿ إقرأ باسم ربك الـذي خلق * خلق الإنسان من علق * إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم ﴾[1] .

٧ ـ هذه الكلمات الـ ١٩ . . أول ما نـزل من القرآن الكـريم تتركب من ٧٦ حرفاً وهـذا العدد (٧٦) يسـاوي عدد حـروف البسملة مضروباً في عـدد كلماتها (١٩ × ٤) جيد .

٨ ـ عندما نزل جبريل عليه السلام بالوحي في المرة الثانية أحضر الآيات الأولى من سورة القلم حتى قولـه تعالى : ﴿ **ودوا لـو تدهن فيـدهنون** ﴾ أي ٣٨ كلمة (١٩ × ٢) .

٩ ـ عندما نزل جبريل عليه السلام بالوحي للمرة الثالثة أحضر الآيات الأولى من سورة المزمـل حتى قولـه تعالى : ﴿ **واهجـرهم هجراً جميـلاً** ﴾ أي ٥٧ كلمة (١٩ × ٣) .

---

(١) هذا غير مستقيم حتى مع التغاضي عن حرف العطف وحرف الجر غير المستعمل .

١٠ ـ عندما نزل جبريل عليه السلام بالوحي للمرة الرابعة أحضر الآيات الأولى من سورة المدثر حتى الرقم ١٩ نفسه حيث يقول الحق عز وجل : ﴿ **عليها تسعة عشر** ﴾ .

١١ ـ عندما نزل جبريل عليه السلام بالوحي للمرة الخامسة أحضر سورة الفاتحة التي تبدأ بالتسعة عشر حرفاً : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ وكانت الفاتحة هي أول سورة كاملة ينزل بها الوحي الأمين عليه السلام . . . وهكذا فإن الرقم ١٩ المذكور في القرآن الكريم في سورة المدثر نزلت بعده مباشرة الـ ١٩ حرف : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ مما يثبت العلاقة الوثيقة بين البسملة والرقم ١٩ وإثبات أن القرآن لا يمكن أن يكون من قول البشر كما تعلمنا سورة المدثر .

١٢ ـ يعلمنا خالقنا عز وجل في سورة المدثر أن أي شخص يقرر أن القرآن الكريم من قول البشر (الآية ٢٥) فإن الله سبحانه وتعالى سوف يبرهن لهذا الشخص أن القرآن لا يمكن أن يكون من قول البشر وذلك بواسطة الرقم ١٩ (الآية ٣٠) .

١٣ ـ يعلمنا خالقنا عز وجل في الآية ٣١ من سورة المدثر أسباب اختيار الرقم ١٩ وإنها خمسة أسباب : ﴿ **وما جعلنا عدتهم** ﴾ (أي الرقم ١٩) إلا :

١ ـ فتنة للذين كفروا (إي إزعاجاً لهم) .

٢ ـ ليستيقن الذين أوتوا الكتاب (إن القرآن من عند الله) .

٣ ـ ويزداد الذين آمنوا إيماناً (فنحن نؤمن قبل ظهور هذه المعجزة القرآنية أن القرآن من عند الله ولكن إيماننا لا شك يزداد بمعرفة هذه الحقائق الإعجازية) .

٤ ـ ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون (أي تزول كل الريب والشكوك) ؛

٥ ـ وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً .

١٤ ـ يعلمنا خالقنا عز وجل أن هذه المعجزة القرآنية المبينة على الرقم ١٩ ذكر للبشر (الآية ٣١ من سورة المدثر) وإنها « إحدى الكبر » (الآية ٣٥) .

١٥ ـ كل كلمة من كلمات البسملة تتكرر في القرآن الكريم كله مضاعفات الرقم ١٩ .

كلمة « اسم » : تتكرر في القرآن كله بالضبط ١٩ مرة ،

كلمة « الله » : تتكرر في القرآن ٢٦٩٨ مرة = ١٩ × ١٤٢ ،

كلمة « الرحمن » : تتكرر ٥٧ مرة وهذا العدد = ١٩ × ٣ ،

كلمة « الرحيم » : تتكرر ١١٤ مرة وهذا العدد = ١٩ × ٦ .

١٦ ـ القرآن الكريم يتركب من ١١٤ سورة وكل سورة تُفتتح بالبسملة ما عدا سورة التوبة ، وهذا يعني أن القرآن يحتوي على ١٢٣ بسملة ، ولما كان العدد ١١٣ ليس من مضاعفات الرقم ١٩ ، ولما كان هذا النظام الحسابي الإعجازي لا بد وأن يكون نظاماً محكماً فقد تم تعويض البسملة الناقصة في سورة النمل الآية ٣٠ .

١٧ ـ لكي تعثر على البسملة الغائبة من سورة التوبة عليك بترقيم سور القرآن الكريم مبتدئاً عند سورة التوبة رقم ١ ثم سورة يونس رقم ٢ وهكذا ، فعندما تصل إلى رقم ١٩ تجد سورة النمل التي تحتوي على بسملتين ، البسملة الإفتتاحية والبسملة في الآية ٣٠ .

١٨ ـ عدد الكلمات بين البسملتين في سورة النمل ٣٤٢ كلمة وهذا العدد = ١٩ × ١٨ .

١٩ ـ عدد الأرقام المذكورة في القرآن الكريم (أربعين ليلة ، سبع سماوات ، أربعة أشهر وعشراً . . . إلخ) ٢٨٥ رقماً ، وهذا العدد (٢٨٥) يساوي ١٩ × ١٥ .

٢٠ ـ مجموع الـ ٢٨٥ رقم الموجودة في القرآن الكريم يساوي ١٧٤٥٩١ وهذا

المجموع من مضاعفات الرقم ١٩ حيث يساوي ١٩ × ٩١٨٩ .

٢١ ـ بعد إزالة الأرقام المكررة في القرآن ـ (أي يؤخذ ٤٠ واحدة ، سبعة واحدة وهكذا) نجد أن المجموع بدون المكررات = ١٦٢١٤٦ = ١٩ × ٨٥٣٤ .

٢٢ ـ يتميز القرآن الكريم بوجود الحروف القرآنية فواتح السور مثل « آلم » « طسم » ، « حم » « كهيعص » إلخ . . . وهذه ظاهرة يختص بها القرآن الكريم فلا نجدها في أي كتابٍ آخر في أي مكان وقد إتضح أن هذه الحروف القرآنية فواتح السور ترتبط إرتباطاً وثيقاً بالنظام الحسابي القرآني المعجز الذي نراه هنا ، بل إنها تشتمل على الجزء الأعظم من هذه المعجزة القرآنية المذهلة ، ويظهر هذا الإرتباط لأول وهلة إذا علمنا أن هناك ٢٩ سورة تفتتح بهذه الحروف وإن عدد الحروف التي تدخل في تركيب الفواتح ١٤ حرف وإن عدد الفواتح أيضاً ١٤ فاتحة ، فإذا جمعنا ٢٩ + ١٤ + ١٤ نجد المجموع ٥٧ = ١٩ × ٣ .

٢٣ ـ مما يدل على أن الحروف القرآنية فواتح السور تشمل على الجزء الأعظم من هذا النظام الحسابي القرآني أن الله سبحانه وتعالى يخبرنا في ثمانية سور أن هذه الحروف تشتمل على « معجزات » القرآن الكريم ، وهذه السور الثمانية (الآيات الأولى) هي : **يونس ، يوسف ، الرعد ، الحجر ، الشعراء ، النمل ، القصص ، ولقمان . . . علماً بأن القرآن الكريم يستعمل كلمة « آية أو آيات » لتعني « معجزة أو معجزات »** .

﴿ ولقد آتينا موسى تسع آياتٍ بينات ﴾ .

وإن كلمة « معجزة أو معجزات » لم تُستعمل في القرآن الكريم بتاتاً .

٢٤ ـ بدراسة سورة « ق » إتضح أنها تحتوى على ٥٧ حرف « ق » وهذا يساوي ١٩ × ٣ .

٢٥ ـ هناك سورة واحدة أخرى تفتتح بالحرف « ق » وهي سورة (حم × عسق) ، وبدراسة هذه السورة اتضح أنها تحتوي

من الحرف « ق » (٥٧ أي ١٩ × ٣) رغم أن سورة الشورى أطول بكثير من سورة « ق » .

٢٦ ـ سورة « ق » تحتوي على ٥٧ « ق » وسورة الشورى تحتوي على ٥٧ « ق » فإذا جمعنا ٥٧ + ٥٧ نجد المجموع ١١٤ يساوي عدد سور القرآن الكريم علماً بأن سورة « ق » تبدأ بقوله تعالى : ﴿ **ق والقرآن المجيد** ﴾ فإذا كان الحرف « ق » يرمز للقرآن فإن هذه الظاهرة الإعجازية تعلمنا أن الـ ١١٤ سورة هي كل القرآن .

٢٧ ـ السورتين الوحيدتين في القرآن الكريم اللتان تُفتتحان بالحرف « ق » تحتويان على نفس العدد من الحرف « ق » .

(٥٧ ، ٥٧ في كل من سورة « ق » وسورة « **الشورى** ») .

وثبت من دراسات الكمبيوتر أن هاتين السورتين هما الوحيدتان اللتان تحتويان على هذا العد من الحرف « ق » (٥٧) ، **فكأن** الله سبحانه وتعالى يعطينا إشارة بوضع الحرف « ق » في بداية هاتين السورتين لإثبات أنه سبحانه وحده يعرف عدد حروف كل سورة من سور القرآن الكريم .

٢٨ ـ من الأمثلة التي توضع للعالم أن كل كلمة . . . بل كل حرف في القرآن الكريم قد وُضع بتصميم إلهي وإحكام يفوق طاقات الإنس والجن أن الآية ١٣ من سورة « ق » تقول : ﴿ **وعاد وفرعون وأخوان لوط** ﴾ ويلاحظ هنا أن الناس الذين كذبوا لوطاً (ع) يسمون « اخوان لوط » في حين أنهم يسمون دائماً « قوم » لوط ، إذ رغم أنهم مذكورون في القرآن الكريم ١٢ مرة فإنهم يسمون في كل مرة « قوم » لوط ، ما عدا في سورة « ق » فإنهم يسمون « إخوان » . . . ويتضح لنا في الحال الإحكام الإلهي في اختيار كلمة « إخوان » في سورة « ق » بدلاً من كلمة « قوم » ، إذا إن إستعمال كلمة « قوم » يؤدي إلى زيادة عدد الحروف « ق » في سورة « ق » فيصبح المجموع ٥٨ بدلاً من ٥٧ ، الرقم ٥٨ طبعاً ليس من مضاعفات الرقم ١٩ ، كما أن الـ ٥٨ « ق » في سورة « ق » تصبح مختلفة عن الـ ٥٧ « ق » في سورة

الشورى ، وايضاً مجموع الـ ٥٨ والـ ٥٧ يصبح ١١٥ وهذا لا يساوي عدد سور القرآن ، وبمعنى آخر ينهار كل هذا النظام الحسابي الدقيق بتغيير كلمة واحدة « **قوم** » بدلاً من « **إخوان** » . . . وهكذا يصلنا البرهان الدامغ على أن القرآن الكريم :

أولاً : لا يمكن أن يكون من قول البشر وأنه حقاً وصدقاً رسالة الخالق جل وعلا إلى جميع مخلوقاته .

ثانياً : إنه قد وصلنا تاماً كاملاً دون أدنى تحريف أو زيادة أو نقصان .

٢٩ ـ إذ عدّدنا الحرف « ن » في السورة الوحيدة التي تفتتح بهذا الحرف وهي سورة **القلم** نجد أن هذه السورة تحتوي على ١٣٣ حرف « **نون** »وهذا العدد = ١٩ × ٧ ، آخذين في الإعتبار أن الحرف « ن » يُكتب في الرسم العثماني للمصاحف الأصلية ثلاثة حروف هكذا «**نون** » .

٣٠ ـ إذا عددنا الحرف « ص » في السور الثلاثة التي تفتتح بهذا الحرف وهي سور الأعراف (**المص**) ومريم (**كهيعص**) وسورة « **ص** » . . .

نجد أن مجموع الحرف « ص » في السور الثلاثة ١٥٢ وهذا العدد أيضاً من مضاعفات ١٩ ويساوي ١٩ × ٨ .

٣١ ـ إذا عددنا الحرف « ط » والحرف « هـ » في سورة « **طه** » نجد مجموع الحرفين ٣٤٢ = ١٩ ×١٨ .

٣٢ ـ إذا عددنا الحرف « ي » الحرف « س » في سورة « **يس** » نجد مجموع الحرفين ٢٨٥ = ١٩ × ١٥ .

٣٣ ـ إذا عددنا الحرف «ح » والحرف « م » في السور السبعة التي تُفتتح بالحرفين « حم » نجد المجموع في السور السبعة ٨٩٨٧ =١٩ × ٤٧٣ (السور السبعة هي : **غافر فصلت** ، **الشورى** ، **الزخرف** ، **الدخان** ، **الجاثية** ، **والأحقاف**)

٣٤ ـ إذا عددنا الحرف « أ » والحرف « ل » والحرف « م » في السور الثمانية التي

تُفتتح بالحروف « ألم » هي سور : البقرة ، آل عمران ، الأعراف ، الرعد ، العنكبوت ، الروم ، لقمان والسجد نجد المجموع : ٢٦٦٧٦ = ١٩ × ١٤٠٤ .

٣٥ ـ إذا عددنا الحروف « أ » و« ل » و« ر » في السور الخمسة التي تُفتتح بالحروف «ألر » وهي سوريونس ، هود ، يوسف ، إبراهيم ، والحِجْر ثم يُضاف عدد الحوف « ر » في سورة الرعد (ألمر) نجد المجموع ٩٧٠٩ ١٩ ×٥١١ .

٣٦ ـ إذا عددنا الحرف « ط» في السور الأربعة التي تُفتتح بهذا الحرف وهي : طه ، الشعراء ، النمل ، والقصص وكذلك الحرف « س » في السور الخمسة التي تُفتتح بهذا الحرف وهي : الشعراء ، النمل ، القصص ، يس ، والشورى نجد أن مجموع الحرفين « ط » و«س » ٤٩٤ = ١٩ ×٢٦ .

٣٧ ـ مجموع الحروف « ط » في سوره الأربعة و« س » في سوره الخمسة و« م » في سوره السبعة عشر يساوي ٩١٧٧ =١٩ × ٤٨٣ .

٣٨ ـ مجموع الحروف « أ » و« ل » و« م » و« ر » في سورة الرعد التي تُفتتح بالحروف « ألمر » يساوي ١٥٠١ = ١٩ ×٧٩ .

٣٩ ـ مجموع الحروف « أ » و« ل » و« م » و« ص » في سورة الأعراف التي تفتتح بالحروف « ألمص » يساوي ٥٣٥٨ = ١٩ × ٢٨٢ .

٤٠ ـ مجموع الحروف « ك » و« هـ » و« ي » و« ع » و« ص » في سورة مريم التي تُفتتح بالحروف « كهيعص » يساوي ٧٩٨ = ١٩ ×٤٢ .

٤١ ـ مجموع الحروف « ح » و« م » و« ع » و« س » و« ق » في سورة الشورى التي تُفتتح بالحروف « حم * عسق » يساوي ٥٧٠ = ١٩ ×٣٠ .

٤٢ ـ مجموع الحروف « أ » في السور الـ ١٣ التي تُفتتح بهذا الحرف يساوي ١٧٤٩٩ أي ١٩ ×٩٢١ (السور الـ ١٣ هي : البقرة ، آل عمران ، الأعراف، يونس ، هود ، يوسف ، الرعد ، ابراهيم ، الحجر ،

العنكبوت ، الروم ، لقمان ، والسجدة) .

٤٣ ـ مجموع مكررات الحرف « ل » في السور الـ ٣١ التي تُفتتح بهذا الحرف (وهي نفس السور المبينة أعلاه تحت رقم ٤٢) يساوي ١١٧٨٠ = ١٩ × ٦٢٠ .

٤٤ ـ مجموع الحرف « م » في السور الـ ١٧ التي تُفتتح بهذا الحرف يساوي ٨٦٨٣ = ١٩ × ٤٥٧ علماً بأن السور الـ ١٧ التي تُفتتح بالحرف « م » هي : **البقرة ، آل عمران ، الأعراف ، الرعد ، الشعراء ، القصص ، العنكبوت ، الروم ، لقمان، السجدة ، غافر ، فصلت ، الشورى ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، والأحقاف .**

وهكذا يتبين أن هذا النظام الحسابي المعجز يتراوح في عظمته بين البساطة المتناهية التي تناسب أبسط الناس تعليماً وبين التشابك والتوافق والتكامل الذي يحتاج إلى العقول الإلكترونية ويناسب أكثر الناس علماً .

وفي ذلك فإن هذه المعجزة القرآنية الرائعة تشابه القرآن الكريم في عظمته التي تناسب أبسط الناس وأيضاً أكثر الناس علماً وثقافة .

ويتبين لنا بعد دراسة هذا النظام الحسابي القرآني المذهل لماذا يؤكد الله عز وجل أن هذه المعجزة الحسابية « إحدى الكبر » (سورة المدثر ، الآيات ٣٥ ـ ٣٧) .

﴿ كلا والقمر ، والليل إذا أدبر ، والصبح إذا أسفر ، إنها لاحدى الكبر ، نذير للبشر ، لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ﴾ .

كما يتبين لنا أن هذا النظام الحسابي يقدم للعالم أجمع ولأول مرة في تاريخ القرآن الكريم الدليل المادي الملموس الخالي من العواطف والتفسيرات والتأويلات والتخمينات على أن القرآن الكريم لا يمكن أن يكون من قول البشر ، وأن كل كلمة بل كل حرف من حروف القرآن قد وُضع طبقاً لتصميم حسابي محكم يفوق طاقات الأنس والجن .

وهناك ثلاثة إحتمالات فقط تشرح معنى هذه الحقائق القرآنية :

الإحتمال الأول : هـو أن كل هذا حدث بالصدفة ، وهذا مرفوض بمنطق العلم والعقل معاً .

الإحتمال الثاني : هو أن محمداً هو الذي وضع القرآن من عنده ، وهذا الإحتمال يرفضه العقل أيضاً لأنه يعني أن رجلاً أُمياً لا يقرأ ولا يكتب ولا يعلم علوم الحساب أو الطبيعة أو الأحياء أو الفلك أو . . . أو . . . هذا الرجل كتب كتاباً كبيراً تتركب الجملة الأولى فيه من ١٩ حرفاً وتتكرر كل كلمة من كلمات هذه الجملة في الكتاب كله عدة مرات تكون من مكررات الرقم ١٩ ، ومضى يكتب طيلة ٢٣ عاماً بهذا النظام ، إن هذا الإحتمال يسقط فوراً إذا تمعن فيه الإنسان . .

ويبقى **الإحتمال الثالث** : وهو الذي يقتنع به أي إنسـان عاقـل وهو أن الخالق القادر على كل شيء ، الله سبحانه وتعالى هو منزل القرآن الكريم .

وقد شاء المولى سبحانه وتعالى أن يبقى هذا النظام الحسابي للقرآن الدقيق سراً خافياً لمدة ١٤٠٠ سنة لكي يثبت للبشرية كافة ، وبطريقة مادية ملموسة لا تقبـل الشك أو الجـدال ، إن القرآن الكـريم قـد حُفظ عـلى مـدى العصـور والأجيال من أي تحريف أو تحوير أو زيادة أو نقصان مصـداقاً لقـوله تعـالى : **﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾** .

أسماء مباركة
توسل بها نوح (ع)

ظهرت هذه الحقيقة نتيجة للبحث والتنقيب ، حيث نشرت [البذرة] النجفية التي تصدرها ثانوية منتدى النشر الأهلية في عدديها الثاني والثالث بتاريخ شوال ـ ذي القعدة ١٣٨٥ هـ بحثاً مترجماً عن كتاب إليا والذي نشرته دار المعارف الإسلامية بلاهور ـ (باكستان)[1]

(١) نقلاً عن ما نشرته الجمعية الخيرية الاسلامية بكربلاء

أسماء مباركة
توسل بها نوح ([ع])

ـ مترجم عن الأوردية ـ

في تموز عام ١٩٥١ م حينما كان جماعة من العلماء السوفيات المختصين بالآثار القديمة ينقبون في منطقة بوادي قاف عثروا على قطع متناثرة من أخشاب قديمة متسوسة وبالية مما دعاهم إلى التنقيب والحفر أكثر وأعمق فوقفوا على أخشاب أخرى متحجرة وكثيرة كانت بعيدة في أعماق الأرض !!

ومن بين تلك الأخشاب التي توصلوا إليها نتيجة التنقيب خشبة على شكل مستطيل طولها ١٤ عقدة وعرضها ١٠ عقود سببت دهشتهم واستغرابهم حيث لم تتغير فلم تتسوس ولم تتناثر كغيرها من الأخشاب الأخرى .

وفي أواخر سنة ١٩٥٢ أُكمل التحقيق حول هذه الآثار فظهر أن اللوحة المشار إليها كانت ضمن سفينة النبي نوح (ع) ، وأن الأخشاب الأخرى هي أخشاب جسم سفينة نوح .

ومما يذكره المؤرخون أن سفينة نوح (ع) استوت على قمة جبل قاف . وشوهد أن هذه اللوحة قد نُقشت عليها بعض الحروف التي تعود إلى أقدم لغة .

وهنا ألفت الحكومة السوفياتية لجنة بعد الإنتهاء من الحفر عام ١٩٥٣ قوامها سبعة من علماء اللغات القديمة ومن أهم علماء الآثار هم :

١ ـ سوله نوف استاذ الألسن في جامعة موسكو .

٢ ـ إيفاهان خنيو عالم الألسن القديمة في كلية لولوهان بالصين .

٣ ـ ميشاتن لو مدير الآثار القديمة . .

٤ ـ تانمول گورف استاذ اللغات في كلية كليفنزو .

٥ ـ دي راكن استاذ الآثار القديمة في معهد لينين .

٦ ـ ايم أحمد كولاد مدير التنقيب والإكتشافات العام .

٧ ـ ميجر كولتوف رئيس جامعة ستالين .

وبعد ثمانية أشهر من دراسة تلك اللوحة والحروف المنقوشة عليها : اتفقوا على أن هذه اللوحة كانت مصنوعة من نفس الخشب الذي صنعت منه سفينة نوح (ع) وإن النبي نوح عليه السلام كان قد وضع هذه اللوحة في سفينته للتبرك والحفظ .

وكانت حروف هذه اللوحة باللغة السامانية وقد ترجمها إلى الإنكليزية العالم البريطاني إيف ماكس استاذ الألسن القديمة في جامعة مانشستر وهذا نصها مع تعريبها :

O my God my helper	يا إلهي ويا معيني
Keep my hands with mercy	برحمتك وكرمك ساعدني
And with your holy bodies	ولأجل هذه النفوس المقدسة
Mohamed	محمد .
Alia	إيليا
Shabbar	شبر
Shabbir	شبير
Fatima	فاطمة
Than are all Biggest and Hnonourables	الذين هم جميعهم عظماء ومكرمون
The world established for them	العالم قائم لأجلهم

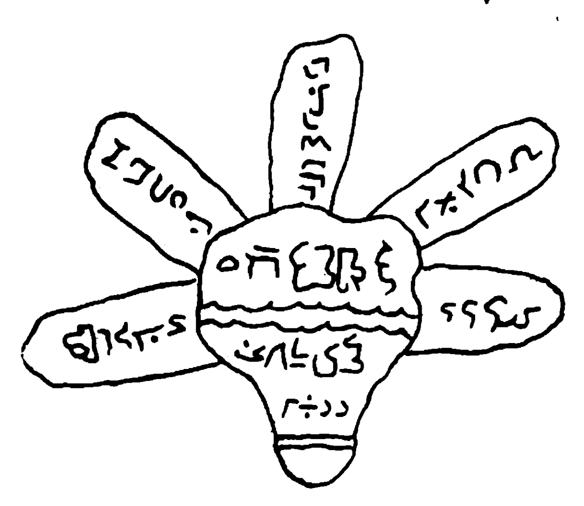
ساعدني لأجل أسمائهم	Help me by their names
أنت فقط تستطيع أن توجهني	
نحو الطريق المستقيم	you can reform to Right

وأخيراً بقي هؤلاء العلماء في دهشة كبرى أمام عظمة هذه الأسماء الخمسة ومنزلة أصحابها عند الله تعالى حيث توسل بها نوح (ع) إليه تعالى .

واللغز الأهم الذي لم يستطع تفسيره أي واحد منهم هو عدم تفسخ هذه اللوحة رغم مرور آلاف السنين عليها . وهذه اللوحة موجودة الآن في متحف الآثار القديمة في موسكو .

صورة تقريبية لخطوط اللوحة

يُقرأ من طرف اليمين



الحروف التي فوق اللوحة (أعلى الكف)

AGFNAT-EE TATAM
ЪIKЛOEAЖ

الحروف الموجودة في وسط اللوحة (وسط الكف)

ΦΌΡΕΑΌΗ
ЗYЧÜ

الحروف الموجودة اطـــراف اللوحة

MOTAMEΔA
AEЯЪJAT
ЧδσPA
ЧδδPA
ЖAБEM

١ ـ مجلة TAΦAПEH3ŌG مسكو

١ ـ مجلة مسكو نوفمبر ١٩٥٣ ومجلة Weekly- Mirror ٢٨ ديسمبر ١٩٥٣ ومجلة « الهدى » قاهرة ـ ٣١ مارس ١٩٥٣

الحروف الموجودة أسفل اللوحة

TCEŌMAσŨNAΦECŌ
AƳTCAΔƂ MAƷUHET
TꟷIAꟷIAƂƂIYŌP

HETƂPŨBƂITAЧ
KŌQAEΔEECOꟷM

الحروف الموجودة منتصف اللوحه

وقد ترجم هذه الحروف أحد أساتذة اللغة في بريطانية بما يلي :

MR. N. F. Maks

O. My god My Helper. Keep My Hand With Mercy Andwithyour Holybodies:

Mohamad. Alia. Shabbar. Shabbir. Fatema.

They All Are Biggests And Honourables.

The world Established For Them.

Help Me By Their Names.

You Can Refrm To Right (1)

أي إلهي :

بلطفك ورحمتك وبالذوات المقدسة محمد . إيليا . شبر . شبير فاطمة .

---

(1) مجلة Star of Bartania طبع لندن نزانويه ١٩٥٤ .

مجلة Manchestor. Sunlight ٢٣ نزانويه ١٩٥٤ ترجم في مقال للحكيم (السيالكوتي) .

مجلة London weekly Mirror أفوريه ١٩٥٤ .

خذ بيدي ، فإن هؤلاء الخمسة عظماء يجب احترامهم ومن أجلهم خلق الله تعالى هذه الدنيا .

إلهي فأمدني ببركة أسمائهم وأنت قادر على هدايتنا جميعاً .

مؤتمر علماء بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من بُعث رحمة للعالمينَ محمد النبي العربي وآله الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه المطيعين .

وبعد : فهذا كتاب (مؤتمر علماء بغداد) الذي انعقد بين السنّة والشيعة الذين جمعهم الملك الكبير (ملك شاه سلجوقي) تحت إشراف العالم العظيم الوزير (نظام الملك) ، وكان من قصّة ذلك : إن الملك شاه لم يكن رجلاً متعصباً أعمى ، يقلّد الآباء والأجداد عن عصبية وعمى ، بل كان شاباً متفتّحاً محباً للعلم والعلماء ، وكان في نفس الوقت وَلِعاً باللهو والصيد والقنص .

أما وزيره (نظام المُلك) فقد كان رجلاً حكيماً فاضلاً ، زاهداً عازفاً عن الدنيا ، قويّ الإرادة ، يحب الخير وأهله ، يتحرّى الحقيقة دائماً ، وكان يحب أهل بيت النبي حباً جماً كثيراً ، وقد أسس المدرسة النظامية ـ في بغداد ـ وجعل لأهل العلم رواتب شهرية ، وكان يحنو على الفقراء والمساكين .

وذات مرة دخل على الملك شاه أحد العلماء الكبار واسمه : (الحسين بن علي العلوي) وكان من كبار علماء الشيعة . . . ولمّا خرج العالم من عند الملك استهزء به بعض الحاضرين وغمزه ، . فقال الملك : لماذا استهزئتَ به ؟ قال الرجل : ألا تعرف أيها الملك أنه من الكفار الذين غضب الله عليهم ولعنهم ؟ فقال الملك ـ متعجباً ـ : ولماذا ؟ أليس مسلماً ؟ فقال الرجل : كلا إنه شيعي ! ، فقال الملك : وما معنى الشيعي ؟ أليس الشيعة هم فرقة من فرق

المسلمين ؟ قال الرجل : كلا إنهم لا يعترفون بخلافة أبي بكر وعمر وعثمان ، قال الملك : وهل هناك مسلم لا يعترف بإمامة هؤلاء الثلاثة ؟ قال الرجل : نعم هؤلاء هم الشيعة ، قال الملك : وإذا لا يعترفون بإمامة هؤلاء الصحابة فلماذا يسميّهم الناس مسلمين ؟ قال الرجل : ولذا قلت لك أنهم كفار . . . فتفكّر الملك مليّاً ، ثم قال : لا بد من إحضار الوزير نظام الملك لنرى جليَة الحال .

أحضر الملكُ نظامَ الملك وسأله عن الشيعة : هل هم مسلمون ؟ قال نظام الملك : إختلف أهل السنة فطائفة منهم يقولون إنهم مسلمون لأنهم ـ أي الشيعة ـ يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويصلّون ويصومون ، وطائفة منهم يقولون إنهم كفار . قال الملك : وكم عددهم ؟ فقال نظام الملك : لا أحصي عددهم كاملاً ، ولكنهم يشكّلون نصف المسلمين تقريباً . قال الملك : فهل نصف المسلمين كفار ؟ قال الوزير : إن بعض أهل العلم يعتبرونهم كفاراً وإني لا أُكفرّهم . قال الملك : فهل لك أيها الوزير أن تُحضر علماء الشيعة وعلماء السنة لنرى جليّة الحال ؟ قال الوزير : هذا أمر صعب وأخاف على الملك والمملكة ! . قال الملك : لماذا ؟ قال الوزير : لأن قضية الشيعة والسنّة ليست قضية بسيطة ، بل هي قضية حق وباطل قد أُريقت فيها الدماء ، وأُحرقت فيها المكتبات ، وأُسرت فيها نساء وأُلفتْ فيها كتب وموسوعات وقامت لأجلها حروب !!

تعجب الملك الشاب من هذه القضية العجيبة ، وفكّر ملياً ثم قال : أيها الوزير إنك تعلم أن الله أنعم علينا بالمُلك العريض ، والجيش الكثيف فلا بد أن نشكر الله على هذه النعمة ، ويكون شكرنا أن نتحرّى الحقيقة ونرشد الضال إلى الصراط المستقيم ، ولا بد أن تكون إحدى هاتين الطائفتين على حق والأخرى على باطل ، فلا بد أن نعرف الحق فنتبعه ونعرف الباطل فنتركه ، فإذا هيّأت ـ أيها الوزير ـ مثل هذا المؤتمر بحضور العلماء من الشيعة والسنة بحضور القُوّاد والكتّاب وسائر أركان الدولة فإذا رأينا أن الحق مع السنة أدخلنا الشيعة في السنّة بالقوة .

قال الوزير : وإذا لم يَقبل الشيعة أن يدخلوا مذهب السنّة فماذا تفعل ؟ قال الملك الشاب : نقتلهم ! فقال الوزير : وهل يمكن قتل نصف المسلمين ؟ قال الملك : فما هو العلاج والحل ؟ قال الوزير : أن تترك هذا الأمر .

إنتهى الحوار بين الملك ووزيره الحكيم العالم ، ولكن بات الملك تلك الليلة متفكراً قلقاً ولم ينم إلى الصباح ، فكيف يستعصي عليه هذا الأمر المهم . وفي الصباح الباكر دعى نظامَ المُلك وقال له : حسناً نستدعي علماء الطرَفين ، ونرى نحن من خلال المحادثات والمناقشات التي تدور بينهما أن الحق مع أيّهما ، فإذا كان الحق مع مذهب السنة دعونا الشيعة بالحكمة والموعظة الحسنة ورغبناهم بالمال والجاه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه ـ وآله ـ وسلم مع المؤلّفة قلوبهم ، وبذلك نتمكن من خدمة الإسلام والمسلمين ، فقال الوزير : رأيك حسن ولكني أتخوّف من هذا المؤتمر ! قال الملك : ولماذا الخوف ؟ فقال الوزير : لأني أخاف أن يتغلّب الشيعة على السُنّة وتُرجّح احتجاجاتهم علينا وبذلك يقع الناس في الشك والشبهة ! فقال الملك : وهل يمكن ذلك ؟ قال الوزير : نعم لأن الشيعة لهم أدلة قاطعة وبراهين ساطعة من القرآن والأحاديث الشريفة على صحة مذهبهم ، وحقيقة عقيدتهم ! . فلم يقتنع الملك بهذا الجواب من وزيره (نظام الملك) وقال له : لا بد من إحضار علماء الطرفين لينكشف لنا الحق ونميّزه عن الباطل ، فاستمهل الوزير الملك إلى شهر لتنفيذ الأمر ، ولكن الملك الشاب لم يقبل ذلك . . . وأخيراً تقرر أن تكون المدة خمسة عشر يوماً .

وفي هذه الأيام جمع الوزير (نظام المُلك) عشرة رجال من كبار علماء السُنّة الذين يعتمد عليهم في التاريخ والفقه والحديث والأصول والجدل ، كما أحضر عشرة من كبار علماء الشيعة ، وكان ذلك في شهر شعبان في المدرسة النظامية ببغداد ، وتقرّر أن ينعقد المؤتمر على الشروط التالية :

أولاً : أن يستمر البحث من الصباح إلى المساء باستثناء وقت الصلاة والطعام والراحة .

ثانياً : أن تكون المحادثات مستندة إلى المصادر الموثوقة والكتب المعتبرة لا

عن المسموعات والشايعات .

ثالثاً : أن تُكتب المحادثات التي تدور في هذا المؤتمر .

وفي اليوم المعيّن جلس الملك ووزيره وقوّاد جيشه وجلس العلماء السنّة عن يمينه كما جلس علماء الشيعة عن يساره ، وافتتح الوزير نظام الملك المؤتمر باسم الله الرحمن الرحيم والصلاة على محمد وآله وصحبه ثم قال : لا بد أن يكون الجدال نزيهاً ، وأن يكون طلب الحق هو رائد الجميع وأن لا يذكر أحدٌ صحابة الرسول (ص) بسب أو سوء .

قال كبير علماء السنّة (وهو الملقّب بالشيخ العباسي) : إني لا أتمكن أن أُجادل مذهباً يكفّر كل الصحابة .

قال كبير علماء الشيعة (وهو الملقب بالعلوي واسمه الحسين بن علي) : ومَن هم الذين يكفّرون الصحابة ؟

قال العباسي : أنتم الشيعة هم أولئك الذين تكفّرون كل الصحابة .

قال العلوي : هذا الكلام منك خلاف الواقع ، أليس من الصحابة علي عليه السلام و(العباس) و(سلمان) و(ابن عباس) و(المقداد) و(أبو ذر) وغيرهم ، فهل نحن الشيعة نكفّرهم ؟

قال العباسي : إني قصدتُ بكل الصحابة أبا بكر وعمر وعثمان وأتباعهم .

قال العلوي : نقضتَ نفسك بنفسك ، ألم يقرّر أهل المنطق أن (الموجبة الجزئية نقيض السالبة الكليّة) فإنك تقول مرة أن الشيعة يكفّرون كل الصحابة ، وتقول مرة : إن الشيعة يكفّرون بعض الصحابة .

وهنا أراد نظام الملك أن يتكلم لكن العالم الشيعي لم يمهله وقال : أيها الوزير العظيم لا يحق لأحد أن يتكلّم إلا إذا عجزنا عن الجواب وإلّا كان خلطاً للبحث ، وإخراجاً للكلام عن مجراه ، من دون نتيجة .

ثم قال العالم الشيعي : تبين أيها العباسي إن قولك أن الشيعة يكفّرون

كل الصحابة كذب صريح .

ولم يتمكن العباسي من الجواب واحمرّ وجهه خجلاً ثم قال : دَعنا عن هذا ولكن هل أنتم الشيعه سبّون أبا بكر وعمر وعثمان ؟

قال العلوي : إن في الشيعة من يسبهم وفيهم من لا يسبهم .

قال العباسي : وأنت أيها العلوي من أي طائفة منهم ؟

قال العلوي : من الذين لا يسبّون ولكن رأيي أن الذين يسبّون لهم منطقهم ، وإن سبّهم لهؤلاء الثلاثة لا يوجب شيئاً ، لا كفراً ولا فسقاً ولا هو من الذنوب الصغيرة .

قال العباسي : أسمعتَ أيها الملك ماذا يقول هذا الرجل ؟ .

قال العلوي : أيها العباسي إن توجيهك الخطاب إلى الملك مغالطة ، فإن الملك أحضرنا لأجل التكلم حول الحجج والأدلّة لا لأجل التحاكم إلى السلاح والقوة .

قال الملك : صحيح ما يقوله العلوي ، ما هو ردّك أيها العباسي ؟

قال العباسي : واضح أن من يسب الصحابة كافر .

قال العلوي : واضح عندك لا عندي ، ما هو الدليل على كفر من يسبّ الصحابة عن اجتهاد ودليل ، ألا تعترف أن من يسبّه الرسول يستحق السب ؟

قال العباسي : أعترف .

قال العلوي : فالرسول سبَّ أبا بكر وعمر .

قال العباسي : وأين سبهّم ؟ هذا كذب على رسول الله

قال العلوي : ذكر أهل التواريخ من السنة أن الرسول هيّأ جيشاً بقيادة (أسامة) وجعل في الجيش أبا بكر وعمر وقال : لعن الله من تخلّف عن جيش أسامة ، ثم أن أبا بكر وعمر تخلّفا عن جيش أسامة ، فشملهما لعن

الرسول ومن يلعنه الرسول يحقّ للمسلم أن يلعنه .

وهنا أطرق العباسي برأسه ولم يقل شيئاً .

فقال الملك (متوجهّاً إلى الوزير) : وهل صحّ ما ذكره العلوي ؟

قال الوزير : ذكر أهل التواريخ ذلك[1] .

قال العلوي : وإذا كان سب الصحابة حراماً وكفراً ، فلماذا لا تُكفرون معاوية بن أبي سفيان ولا تحكمون بفسقه وفجوره لأنه كان يسبّ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى أربعين سنة وقد امتدّ سبُّ الإمام إلى سبعين سنة ! ؟

قال الملك : اقطعوا هذا الكلام وتكلّموا حول موضوع آخر .

قال العباسي : مَن بدعكم أنتم الشيعة أنكم لا تعترفون بالقرآن !

قال العلوي : بل من بدعكم أنتم السُنّة أنكم لا تعترفون بالقرآن والدليل على ذلك أنكم تقولون : إن القرآن جمعه عثمان ، فهل كان الرسول جاهلاً بما عمله عثمان ، حيث إنه لم يُجمع القرآن حتى جاء عثمان وجمعه ، وثم : كيف أن القرآن لم يكن مجموعاً في زمن النبي وكان النبي يأمر قومه وأصحابه بختم القرآن فيقول : من ختم القرآن كان له (كذا) من الأجر والثواب ، هل يمكن أن يأمر بختم القرآن ما لم يكن مجموعاً ، وهل كان المسلمون في ضلالٍ حتى أنقذهم عثمان ؟[2]؟

قال الملك (موجّهاً كلامه إلى الوزير) : وهل يصدق العلوي أن أهل السنّة يقولون بأن القرآن من جمع عثمان ؟

---

(١) في طبقات ابن سعد القسم الثاني ج٢ ص ٤١ ، وتاريخ ابن عساكر ج٢ ص ٣٩١ وكنز العمال ج٥ ص ٣١٢ ، والكامل لابن الأثير ج٢ ص ١٢٩ .

(٢) ذكر المؤرخون أن عثمان جمع المصاحف ثم أحرقها ـ هتكاً بها ـ ذكر ذلك البخاري في صحيحه في باب فضائل القرآن والبيهقي في سننه ج ٢ ص ٤١ وكنز العمال ج١ ص ٢٨١ والطحاوي في مشكل الآثار ج٣ ص ٤ ، وليت شعري هل حارق القرآن يستحق الخلافة ؟ وأية جريمة أكبر من هذه ؟ (الناشر) .

قال الوزير : هكذا يذكر المفسرون وأهل التواريخ .

قال العلوي : إعلم أيها الملك أن الشيعة يعتقدون أن القرآن جُمع في زمن الرسول كما تراه الآن لم ينقص منه حرف ولم يزد فيه حرف ، أمّا السنة فيقولون : أن القرآن زيد فيه ونُقص منه ، وأنه قُدّم وأُخّر وأن الرسول لم يجمعه وإنما جمعه عثمان لما تسلّم الحكم وصار أميراً .

قال العباسي (وقد انتهز الفرصة) : هل سمعتَ أيها الملك أن هذا الرجل لا يسمي عثمان خليفة وإنما يُسميّه أميراً ؟

قال العلوي : نعم عثمان لم يكن خليفة .

قال الملك : ولماذا ؟

قال العلوي : لأن الشيعة يعتقدون بطلان خلافة أبي بكر وعمر وعثمان !

قال الملك (بتعجّب واستفهام) : ولماذا ؟

قال العلوي : لأن عثمان جاء إلى الحكم بشورى ستة رجال عينهم عمر وكل أهل الشورى الستة لم ينتخبوا عثمان وإنما انتخبه ثلاثة أو اثنين منهم ، فشرعيّة خلافة عثمان مستندة إلى عمر ، وعمر جاء إلى الحكم بوصيّة أبي بكر ، فشرعيّة عمر مستندة إلى أبي بكر ، وجاء أبو بكر إلى الحكم بانتخاب جماعة صغيرة تحت شراسة السيف والقوة فشرعيّة خلافة أبي بكر مستندة إلى السلاح والقوة ولذا قال عمر في حقه : (كانت بيعة الناس لأبي بكر فلتة من فلتات الجاهلية ، وقَى الله المسلمين شرها فمن عاد إليها فاقتلوه)[1] وأبو بكر نفسه كان يقول : (أقيلوني فلستُ بخيركم وعليٌّ فيكم)[1] ولذا فالشيعة يعتقدون بأن خلافة هؤلاء باطلة من أساسها .

---

(٢) ذكر الحديث القوشجي العالم السني في كتابه شرح التجريد وغيره . الناشر

قال الملك (موجهاً الكلام إلى الوزير) : وهل صحيح ما يقوله العلوي من كلام أبي بكر وعمر ؟

قال الوزير : نعم هكذا ذكر المؤرخون .

قال الملك : فلماذا نحن نحترم هؤلاء الثلاثة ؟

قال الوزير : إتباعاً للسلف الصالح !

قال العلوي للملك : أيها الملك قل للوزير : هل الحق أحق أن يُتبّع أم السلف ؟ أليس تقليد السلف ضد الحق مشمولاً لقوله تعالى : **﴿ قالوا إنّا وجدنا آبائنا على أمّة وإنا على آثارهم مقتدون ﴾**

قال الملك (موجهاً الخطاب إلى العلوي) : إذا لم يكن هؤلاء الثلاثة خلفاء لرسول الله فمن هو خليفة رسول الله ؟

قال العلوي : خليفة رسول الله هو الإمام علي بن أبي طالب .

قال الملك : ولماذا هو خليفة ؟

قال العلوي : لأن الرسول عيّنه خليفة من بعده[1] ، حيث أنه صلى الله عليه وآله وسلم أشار إلى خلافته في مواطن كثيرة جداً ومن جملتها لما جمع الناس في منطقة بين مكة والمدينة يُقال لها (غدير خم) ورفع يد علي وقال للمسلمين : من كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه وأنصر من نصره واخذل من خذله ، ثم نزل عن المنبر وقال للمسلمين - وعددهم يزيد على مائة وعشرين ألف إنسان - : سلّموا على علي بإمرة المؤمنين ، فجاء المسلمون واحداً بعد واحد وهم يقولون لعلي : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فجاء أبو بكر وعمر وسلّما على علي عليه السلام بإمرة

(١) المصادر التي تذكر أن رسول الله (ص) عيّن الإمام علي بن أبي طالب خليفة له كثيرة جداً جداً ومنها : تاريخ ابن جرير ج٢ ص ٦٢ وكنز العمال ج ٦ ص ٣٩٢ وصحيح الترمذي وصحيح ابن ماجة ومسند أحمد بن حنبل ومستدرك الصحيحين وتفسير الرازي والصواعق المحرقة وغيرها من مئات الكتب المعتبرة . (الناشر) .

المؤمنين ، وقال عمر : السلام عليك يا أمير المؤمنين (بخ بخ لـك يا ابن أبي طالب أصبحتَ مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة)[٢] . فإذن : الخليفـة الشرعي لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو علي بن أبي طالب .

قـال الملك (موجهـاً الكلام إلى الـوزيـر) : هـل صحيـح مـا يـذكـره العلوي ؟

قال الوزير : نعم هكذا ذكر المؤرخون والمفسرون .

قال الملك : دعوا هذا الكلام ، وتكلَّموا حول موضوع آخر .

قال العباسي : إن الشيعة يقولون بتحريف القرآن .

قال العلوي : بل المشهور عندكم ـ أيها السنة ـ انكم تقولون بتحـريف القرآن !

قال العباسي : هذا كذب صريح .

قال العلوي : ألَمْ تروا في كتبكم أنه نزلت على رسول الله آيـات حول (الغرانيق) ثم نُسخت تلك الآيات وحُذفت من القرآن ؟

قال الملك (للوزير) وهل صحيح ما يدعّيه العلوي ؟

قال الوزير : هكذا يذكر المفسرون .

قال الملك : فكيف يُعتمد على قرآن محرّف ؟

قال العلوي : إعلم أيها الملك أنّا لا نقول بهذا الشيء ، وإنما هذه مقالة أهل السُنة ، وعلى هذا فالقرآن عندنا معتمد عليه لكن القرآن ـ عند السنّة ـ لا يمكن الإعتماد عليه !

---

(٢) ذكره جمع كبير من المؤرخين منهم : أحمد بن حنبل في مسنده ج ٤ ص ٢٨١ والرازي في تفسيره في ذيل قوله تعالى : ﴿ يا أيها الرسول بلغ .. ﴾ والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج٨ ص ٢٩٠ ، وابن حجر في كتابه الصواعق المحرقة ص ١٠٧ . (الناشر) .

قال العباسي : وقد وردت بعض الأحاديث في كتبكم وعن علمائكم ؟

قال العلوي : تلك الأحاديث أولاً : قليلة ، وثانياً : هي موضوعة ومزوّرة وَضَعها أعداء الشيعة لتشويه سمعة الشيعة ، وثالثاً : رُواتها وأسنادها غير صحيحة ، وما نُقل عن بعض العلماء ، فلا يعتمد على كلامهم ، وإنما علماؤنا العظام الذين نعتمد عليهم لا يقولون بالتحريف ولا يذكرون كما تذكرون أنتم حيث تقولون إن الله أنزل آيات في مدح الأصنام فقال ـ وحاشاه ذلك ـ تلك الغرانيق العُلى منها الشفاعة تُرتجى .

قال الملك : دعوا هذا الكلام وتكلموا بغيره .

قال العلوي : والسنّة ينسبون إلى الله تعالى ما لا يليق بجلال شأنه .

قال العبّاسي : مثل ماذا ؟

قال العلوي : مثل أنهم يقولون : إن الله جسم ، وإنه مثل الإنسان يضحك ويبكي وله يدٌ ورجل وعين وعورة ويُدخل رجله في النار يوم القيامة ، وأنه ينزل من السماوات إلى سماء الدنيا على حمارٍ له !

قال العباسي : وما المانع من ذلك ، والقرآن يصرّح به : ﴿ **وجاء ربك** ﴾ ويقول : ﴿ **يوم يُكشف عن ساق** ﴾ويقول : ﴿ **يد الله فوق أيديهم** ﴾ والسُنّة وردت بأن الله يُدخل رجله في النار !

قال العلوي : أمّا ما ورد في السنة الحديث فهو باطل عندنا وكذب وافتراء ، لأن أبا هريرة وأمثاله كذبوا على رسول الله (ص) حتى أن عمر منع أبا هريرة عن نقل الحديث وزَجَره .

قال الملك ـ موجّهاً الخطاب إلى الوزير : هل صحيح أن عمر منع أبا هريرة عن نقل الحديث ؟

قال الوزير : نعم منعه كما في التواريخ .

قال الملك : فكيف نعتمد على أحاديث أبي هريرة ؟

قال الوزير : لأن العلماء اعتمدوا على أحاديثه .

قال الملك : إذن ، يجب أن يكون العلماء أعلم من عمر لأن عمر منع أبا هريرة عن نقل الحديث لكذبه على رسول الله ، ولكن العلماء يأخذون بأحاديثه الكاذبة ؟!

قال العباسي : هَبْ ـ أيها العلوي ـ أن الأحاديث الواردة في السنة حول الله غير صحيحة ، ولكن ماذا تصنع بالآيات القرآنية ؟

قال العلوي : القرآن فيه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وأُخر متشابهات وفيه ظاهر وباطن فالمحكم الظاهر يُعمل بظاهره ، وأما المتشابه فاللازم أن تنزّله على مقتضى البلاغة من إرادة المجاز والكناية والتقدير وإلّا لا يصح المعنى لا عقلاً ولا شرعاً فمثلاً : إذا حملتَ قوله تعالى : ﴿ **وجاء ربك** ﴾ على ظاهره فقد عارضتَ العقل والشرع لأن العقل والشرع يحكمان بوجود الله في كل مكان وأنه لا يخلو منه مكان أبداً ، وظاهر الآية تقول بجسميّة الله ، والجسم له حيّز ومكان ، ومعنى هذا أن الله لو كان في السماء خلا منه الأرض ولو كان في الأرض خلا منه السماء ، وهذا غير صحيح لا عقلاً ولا شرعاً .

إرتبك العباسي أمام هذا المنطق الصائب وتحيّر في الجواب ثم قال : إني لا أقبل هذا الكلام ، وعلينا أن نأخذ بظواهر آيات القرآن .

قال العلوي : فما تصنع بالآيات المتشابهات ؟؟ ثم إنك لا يمكنك أن تأخذ بظاهر كل القرآن ، وإلّا لزم أن يكون صديقك الجالس إلى جنبك الشيخ أحمد عثمان (وهو من علماء السنّة وكان أعمى البصر) من أهل النار ؟

قال العباسي : ولماذا ؟

قال العلوي : لأن الله تعالى يقول : ﴿ **ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً** ﴾ فحيث أن الشيخ أحمد أعمى الآن في الدنيا فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ، فهل ترضى بهذا يا شيخ احمد ؟

قال الشيخ : كلا ، كلا ، فإن المراد بـ(الأعمى) في الآية : المنحرف

عن طريق الحق .

قال العلوي : إذن ، ثبت أنه لا يتمكن الإنسان أن يعمل بكل ظواهر القرآن .

وهنا اشتد الجدال حول ظواهر القرآن ، هذا والعلوي يُفحم العباسي بالأدلة والبراهين حتى قال الملك :

دعوا هذا الموضوع وانتقلوا إلى غيره .

قال العلوي : ومن إنحرافاتكم وأباطيلكم ـ أنتم السنّة ـ حول الله سبحانه أنكم تقولون : إن الله يجبر العباد على المعاصي والمحرمات ثم يعاقبهم عليها ؟

قال العباسي : هذا صحيح لأن الله يقول : ﴿ **ومن يضلل الله** ﴾ ويقول : ﴿ **طَبع الله على قلوبهم** ﴾ .

قال العلوي : أما كلامك انه في القرآن ، فجوابه : أن القرآن فيه مجازات وكنايات يجب المصير إليها ، فالمراد (بالضلال) أن الله يترك الإنسان الشقي ويهمله حتى يضل ، وذلك مثل قولنا : (الحكومة أفسدت الناس) فالمعنى أنها تركتهم لشأنهم ولم تهتم بهم ، هذا أولاً ، وثانياً : ألم تسمع قول الله تعالى : ﴿ **إن الله لا يأمر بالفحشاء** ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ **إنَّا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً ، إنا هديناه النجدين** ﴾ ، وثالثاً : لا يجوز عقلاً أن يأمر الله بالمعصية ثم يعاقب عليها ، إن هذا بعيد من عوام الناس فكيف من الله العادل المتعال سبحانه وتعالى عما يقول المشركون والظالمون علوّاً كبيراً .

قال الملك : لا ، لا ، لا يمكن أن يجبر الله الإنسان على المعصية ثم يعاقبه ، إن هذا هو الظلم بعينه ، والله منزّه عن الظلم والفساد : ﴿ **وإن الله ليس بظلّام للعبيد** ﴾ ، ولكن لا أظن أن أهل السنّة يلتزمون بمقالة العباسي ؟

ثم وجّه خطابه إلى الوزير وقال : هل أهل السنّة يلتزمون بذلك ؟

قال الوزير : نعم المشهور بين أهل السنة ذلك !

قال الملك : كيف يقولون بما يخالف العقل ؟

قال الوزير : لهم في ذلك تأويلات واستدلالات .

قال الملك : ومهما يكن من تأويل واستدلال ، فلن يُعقل ولاّ أرى إلاّ رأي السيد العلوي بأن الله لا يجبر أحداً على الكفر والعصيان ، ثم يعاقبه على ذلك ؟ !

وقال العلوي : ثم إن السنّة يقولون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان شاكّاً في نبوّته .

قال العباسي : هذا كذب صريح .

قال العلوي : ألستم تروون في كتبكم أن رسول الله قالّ : (ما أبطأ عليَّ جبرئيل مرة إلاّ وظننتُ أنه نزل على ابن الخطاب) مع العلم أن هناك آياتٍ كثيرة تدل على أن الله أخذ الميثاق من النبي محمد (ص) على نبوّته ؟

قال الملك ـ موجهاً الخطاب إلى الوزير ـ : هل صحيح ما يقوله العلوي من أن هذا الحديث موجود في كتب السنة ؟

قال الوزير : نعم يوجد في بعض الكتب[1] .

قال الملك : هذا هو الكفر بعينه .

قال العلوي : ثم إن السنّة ينقلون في كتبهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يحمل عائشة على كتفيه لتتفرّج على المطبّلين والمزمّرين ، فهل هذا يليق بمقام رسول الله ومكانته ؟

قال العباسي : إنه لا يضر .

قال العلوي : وهل أنت تفعل هذا ، وأنت رجل عادي ، هل تحمل زوجتك على كتفك لتتفرّج على الطبّالين ؟ ؟

قال الملك : إن مَن له أدنى حياء وغيرة لا يرضى بهذا فكيف برسول الله وهو مثال الحياء والغيرة والإيمان ، فهل صحيح أن هذا موجود في كتب أهل السنة ؟

قال الوزير : نعم موجود في بعض الكتب !

قال الملك : فكيف نؤمن بنبيّ يشكّ في نبوته ؟

قال العباسي : لا بد من تأويل هذه الرواية ؟

قال العلوي : وهل تصلح هذه الرواية للتأويل ؟ أعرفتَ أيها الملك إن أهل السنّة يعتقدون بهذه الخرافات والأباطيل والخزعبلات ؟

قال العباسي : وأي أباطيل وخرافات تقصد ؟

قال العلوي : لقد بيَّنتُ لك أنك تقولون :

١ ـ أن الله كالإنسان له يد ورجل وحركة وسكون .

٢ ـ أن القرآن محرّف فيه زيادة ونقصان .

٣ ـ أن الرسول يفعل ما لا يفعله حتى الناس العاديين من حمل عائشة على كتفه .

٤ ـ أن الرسول كان يشكّ في نبوّته .

٥ ـ أن الذين جاؤوا إلى الحكم قبل علي بن أبي طالب استندوا إلى السيف والقوة في إثبات أنفسهم ، ولا شرعيّة لهم .

٦ ـ أن كتبهم تروي عن أبي هريرة وأمثاله من الوضّاعين والدجّالين وإلى غير ذلك من الأباطيل .

قال الملك : دعوا هذا الموضوع وانتقلوا إلى موضوعٍ آخر .

قال العلوي : ثم إن السنّة ينسبون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لا يجوز حتى على الإنسان العادي !

قال العباسي : مثل ماذا ؟

قال العلوي : مثل أنهم يقولون : إن سورة (عبس وتولّى) نزلت في شأن الرسول !

قال العباسي : وما المانع من ذلك ؟

قال العلوي: المانع قول الله تعالى :﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ وقوله : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ ، فهل يُعقل أن الرسول الذي يصفه الله تعالى بالخُلق العظيم ورحمة للعالمين أن يفعل بذلك الأعمى المؤمن هذا العمل اللاإنساني ؟

قال الملك : غير معقول أن يصدر هذا العمل من رسول الإنسانية ونبي الرحمة ، إذن : أيها العلوي : فيمن نزلت هذه السورة ؟

قال العلوي : الأحاديث الصحيحة الواردة عن أهل بيت النبي الذين نزل القرآن في بيوتهم تقول أنها نزلت في عثمان بن عفان ، وذلك لما دخل عليه ابن أم مكتوم فأعرض عنه عثمان وأدار ظهره إليه .

وهنا انبرى السيد جمال الدين (وهو من علماء الشيعة وكان حاضراً في المجلس) وقال : قد وقعتْ لي قصة مع هذه السورة وذلك : أن أحد علماء النصارى قال لي : إن نبينا عيسى أفضل من نبيكم محمد (ص) قلت : لماذا ؟ قال : لأن نبيكم كان سيّىء الأخلاق يعبس للعميان ويدير إليهم ظهره ، بينما نبينا عيسى كان حسن الأخلاق يبرىء الأكمه والأبرص . قلت : أيها المسيحي إعلم أننا نحن الشيعة نقول إن السورة نزلت في عثمان بن عفان لا في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإن نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، كان حسن الأخلاق جميل الصفات ، حميد الخصال وقد قال فيه تعالى : ﴿ **وإنك لعلى خُلق عظيم** ﴾ وقال : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ .

قال المسيحي : لقد سمعت هذا الكلام الذي قلته لك من أحد خطباء المسجد في بغداد ! .

قال العلوي : المشهور عندنا أن بعض رواة السوء وبايعي الضمائر نسبوا هذه القصة إلى رسول الله ليُبرّأوا ساحة عثمان بن عفان فإنهم نسبوا الكذب إلى الله والرسول حتى ينزّهوا خلفاءهم وحكّامهم !

قال الملك : دعوا هذا الكلام وتكلّموا في غيره .

قال العباسي : إن الشيعة تنكر إيمان الخلفاء الثلاثة ، وهذا غير صحيح إذ لو كانوا غير مؤمنين لماذا صاهرهم رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم ؟ .

قال العلوي : الشيعة يعتقدون أنهم ـ أي الثلاثة ـ كانوا غير مؤمنين قلباً وباطناً وإن أظهروا الإسلام لساناً وظاهراً ، والرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم كان يقبل إسلام كل من تشهَد بالشهادتين ولو كان منافقاً واقعاً ، وكان يعاملهم معاملة المسلمين ، فمصاهرة النبي لهم ومصاهرتهم للنبي من هذا الباب !

قال العباسي : وما هو الدليل على عدم إيمان أبي بكر ؟

قال العلوي : الأدلة القطعية على ذلك كثيرة جداً ، ومن جملتها : أنه خان الرسول في مواطن كثيرة ، منها : تخلّفه عن جيش أسامة ومعصية أمر الرسول في ذلك ، والقرآن الكريم نفى الإيمان عن كل من يخالف الرسول ، يقول تعالى : ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلّموا تسليماً** ﴾ .

فأبو بكر عصى أمر الرسول وخالفه فهو داخل في الآية التي تنفي إيمان مخالف الرسول .

وأضف إلى ذلك أن رسول الله (ص) لعن المتخلّف عن جيش أسامة وقد ذكرنا سابقاً أن أبا بكر تخلّف عن جيش أسامة : فهل يلعن رسول الله المؤمن ؟

ـ طبعاً لا .

قال الملك : إذن يصح كلام العلوي إنه لم يكن مؤمناً !

قال الوزير : لأهل السنّة في تخلّفه تأويلات .

قال الملك : وهل التأويل يدفع المحذور ، ولو فتحنا هذا الباب لكان لكل مجرم أن يأتي لإجرامه بتأويلات ؟

فالسارق يقول : سرقت لأني فقير ، وشارب الخمر يقول : شربتُ لأنني كثير الهموم ، والزاني يقول كذا .. وهكذا يختل النظام ويتجرّأ الناس على العصيان ، لا . . . لا . . . التأويلات لا تنفعنا .

فاحمرّ وجه العباسي ، وتحيّر ، ماذا يقول ، واخيراً . . . تلعثم وقال : وما هو الدليل على عدم إيمان عمر ؟

قال العلوي : الأدلة كثيرة جداً ، منها : أنه صرح بنفسه بعدم إيمانه !

قال العباسي : في أي موضع ؟

قال العلوي : حيث قال : (ما شككتُ في نبوة محمد (ص) مثل شكّي يوم الحديبية) وكلامه هذا يدل : على أنه كان شاكاً دائماً في نبوة نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان شكّه يوم الحديبية أكثر وأعمق وأعظم من تلك الشكوك ، فهل ـ أيها العباسي ـ قل لي بربك : الشاك في نبوة محمد (ص) يعتبر مؤمناً ؟

سكت العباسي وأطرق برأسه خجلاً .

فقال الملك ـ موجّهاً الخطاب إلى الوزير ـ : هل صحيح قول العلوي أن عمر قال هكذا ؟

قال الوزير : هكذا ذكر الرواة !

قال الملك : عجيب .. عجيب جداً .. إني كنت أعتبر عمر من السابقين إلى الإسلام ، واعتبر إيمانه إيماناً مثالياً ، والآن ظهر لي أن في أصل إيمانه شك وشبهة !

قال العباسي : مهلاً أيها الملك ، ابقَ على عقيدتك ، ولا يخدعك هذا العلوي الكذاب .

فأعرض الملك بوجهه عن العباسي وقال مغضباً : إن الوزير نظام الملك يقول : إن العلوي صادق في كلامه ، وإن قول عمر وارد في الكتب وهذا الابله ـ يعني العباسي ـ يقول إنه كاذب ، أليس هذا العناد بعينه ؟

ساد المجلس سكون رهيب ، فقد غضب الملك وانزعج من كلام العباسي . . . وأطرق العباسي وسائر علماء السنّة . . . وصمت الوزير . . . وبقي العلوي رافعاً رأسه ينظر في وجه الملك ، ليرى النتيجة ؟

مرّت لحظات صعبة على العباسي ، تمنّى فيها أن تنشق الأرض تحته فيغيب فيها ، أو يأتيه ملك الموت فيقبض روحه فوراً ، من شدّة الخجل وحَرج الموقف ، فلقد ظهر بطلان مذهبه ، ولقد ظهرت خرافة عقيدته أمام الملك ووزيره وسائر العلماء والأركان . . . ولكن : ماذا يصنع ؟ لقد أحضره الملك للسؤال والجواب ، ولتمييز الحق من الباطل ، ولهذا استجمع قواه ورفع رأسه وقال :

وكيف تقول أيها العلوي أن عثمان لم يكن مؤمناً في قلبه ، وقد زوج الرسول ببنتيه رقية وأم كلثوم ؟

قال العلوي : الأدلة في عدم إيمانه كثيرة ويكفي في ذلك أن المسلمين ـ وفيهم الصحابة ـ إجتمعوا عليه فقتلوه ، وأنتم تروون أن النبي قال : (لا تجتمع أُمتي على خطأ) فهل يجتمع المسلمون ـ وفيهم الصحابة ـ على قتل مؤمن ؟

ولقد كانت عائشة تُشبّهه باليهود وتأمر بقتله وتقول : أُقتلوا نعثلاً ـ اسم رجل يهودي ـ فقد كفر ، اقتلوا نعثلاً قتله الله[1] ، بُعداً لنعثل وسحقاً .

(١) قال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح نهج البلاغة ج٢ ص٧٧ : كل من صنف في السير والأخبار ذكر أن عائشة كانت من أشد الناس على عثمان حتى أنها أخرجت ثوباً من ثياب رسول الله (ص) فنصبته في منزلها وكانت تقول للداخلين عليها : هذا ثوب رسول الله لم يبل وعثمان قد أبلى ثوبه .

وقد ضرب عثمانُ عبدَالله بن مسعود الصحابي الجليل حتى أُصيب بالفتق وصار طريح الفراش ومات .

وقد سفّر أبا ذر الغفاري ، ذلك الصحابي الجليل الذي قال فيه الرسول : (ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر) ، ونفاه وأبعده من المدينة المنورة إلى الشام مرة أو مرتين ثم إلى الربذة ـ وهي أرض جرداء بين مكة والمدينة ـ حتى مات أبو ذر في الربذة جوعاً وعطشاً ـ في الوقت الذي كان عثمان يتقلّب في بيت مال المسلمين ويوزّع الأموال على أقاربه من الأمويين والمروانيين ـ !

قال الملك للوزير : وهل يصدق العلوي في كلامه هذا ؟

قال الوزير : ذكر ذلك المؤرّخون[1] !

قال الملك : فكيف إتّخذه المسلمون خليفة ؟

قال الوزير : بالشورى .

قال العلوي : مهلاً أيها الوزير ، لا تقل ما ليس بصحيح !

قال الملك : ماذا تقول أيها العلوي ؟

قال العلوي : إن الوزير أخطأ في كلامه ، إن عثمان لم يأتِ إلى الحكم إلا بوصية من عمر وانتخاب ثلاثة من المنافقين فقط وفقط وهم : طلحة وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف ، فهل هؤلاء المنافقين الثلاثة يمثّلون المسلمين جميعاً ؟

---

(١) ذكر المؤرخون أن عثمان أعطى عبدالله بن خالد بن أسيد ٤٠٠,٠٠٠ درهم ، والحكم بن العاص ـ طريد رسول الله ـ ١٠٠ ألف درهم ، وأعطى أرض فدك لمروان بن الحكم الوزغ بن الوزغ ـ وقد كانت أرض فدك لفاطمة الزهراء فغصبها أبو بكر وعمر منها ثم سلمها عثمان لمروان ـ وأعطى عبدالله بن أُبي خمس افريقيا بكامله في اليوم الذي أعطى لمروان ١٠٠ ألف درهم كل ذلك من بيت مال المسلمين المساكين ، راجع التفصيل في شرح نهج البلاغة لأبن أبي الحديد المعتزلي ج ١ حتى تجد التفصيل ـ الناشر ـ .

ثم إن التواريخ تذكر أن هؤلاء المنتخبين عدلوا عن عثمان عندما رأوا طغيانه وهتكه لأصحاب رسول الله ومشورته في أمور المسلمين مع كعب الأحبار اليهودي وتوزيعه أموال المسلمين بين بني مروان ، فبدأ هؤلاء الثلاثة بتحريض الناس على قتل عثمان !

قال الملك ـ موجهاً الخطاب إلى الوزير ـ : هل صحيح كلام العلوي ؟

قال الوزير : نعم ، كذا يذكر المؤرخون !

قال الملك : فكيف قلت إنه جاء إلى الخلافة بالشورى ؟

قال الوزير : كنت أقصد شورى هؤلاء الثلاثة !

قال الملك : وهل إختيار ثلاثة أشخاص يصحح الشورى ؟

قال الوزير : إن هؤلاء الثلاثة شهد لهم رسول الله (ص) بالجنة ؟!

قال العلوي : مهلاً أيها الوزير ، لا تقل ما ليس بصحيح ، إن حديث (العشرة المبشّرة بالجنة) كذب وافتراء على رسول الله (ص) ! .

قال العباسي : وكيف تقول إنه كذب وقد رواه الرواة الموثّقون ؟

قال العلوي : هناك أدلّة كثيرة على كذب هذا الحديث وبطلانه ، أذكر لك منها ثلاثة :

الأول : كيف يشهد رسول الله بالجنة لمن آذاه وهو طلحة ؟ فقد ذكر بعض المفسّرين والمؤرخين أن طلحة قال : « لئن مات محمد لننكحن أزواجه من بعده ـ أو ـ لأتزوجنّ عائشة » فتأذّى رسول الله من كلام طلحة وأنزل الله قوله : ﴿ **وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلك كان عند الله عظيماً** ﴾ .

الثاني : ان طلحة والزبير قاتلا الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حق علي عليه السلام« ياعلي حربُك

حربي وسلمك سلمي »[1] ، وقال : « من أطاع علياً فقد أطاعني ومن عصى علياً فقد عصاني »[2] ، وقال : « علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض »[3] ، وقال : « علي معَ الحق والحق مع علي يدور الحق معه حيثما دار »[4] فهل : محارب رسول الله وعاصيه يكون في الجنة ؟ وهل محارب الحق والقرآن يكون مؤمناً ؟

الثالث : أن طلحة والزبير سعيا في قتل عثمان ، فهل من الممكن أن يكون عثمان وطلحة والزبير كلهم في الجنة ، وقد قاتل بعضهم بعضاً ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ في حديث له ـ : القاتل والمقتول كلاهما في النار ؟ ؟

قال الملك متعجباً : هل كل ما يقوله العلوي صحيح ؟

هنا سكت الوزير ، ولم يقل شيئاً .

وسكت العباسي وجماعته ولم ينطقوا شيئاً .

ماذا يقولون ؟

أيقولون الحق ؟ وهل يسمح الشيطان بالإعتراف بالحق ؟ وهل ترضى النفس الأمّارة بالسوء أن تخضع للحق والواقع ؟ أتظن أن الإعتراف بالحق أمر سهل وبسيط ؟

كلا . . إنه صعب جداً ، لأنه يستدعي سحق العصبية الجاهلية ومخالفة الهوى ، والناس أتباع الهوى والباطل إلا المؤمنين وقليلٌ ما همُ! .

---

(١) ذكره الخطيب الخوارزمي في كتاب المناقب ص ٧٦ وذكره المحدث ابن حسنويه وذكره القندوزي في كتابه ينابيع المودة ص ١٣٠ وغيرهم من أكابر علماء العامة .

(٢) كنز العمال حديث ١٢١٣ ، وغيره .

(٣) كنز العمال حديث ١١٥٢ ، والصواعق ص ٧٥ ، ومستدرك الحاكم ص ١٢٤ . (الناشر) .

(٤) تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٣٢١ والحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٣٦ وابن قتيبة في الإمامة والسياسة ج١ ص ٦٨ ومستدرك الحاكم ج٣ ص ١٢٥ وجامع الترمذي ج ٢ ص ٢١٣ وغيره ـ الناشر ـ

. . . مزّق السيد العلوي ستار الصمت والسكوت فقال : أيها الملك : إن الوزير والعباسي وكل هؤلاء العلماء يعلمون صدق كلامي وصحّة مقالتي ، وحقيقة حديثي ، ولو أنكروا ذلك ، فإن في بغداد من العلماء من يشهد على صدق كلامي وصحته وحقيقته ، وإنّ في خزانة هذه المدرسة كتب تشهد بصدق كلامي ، ومصادر معتبرة تصرّح بصحة مقالتي وحقيقته . . . فإن اعترفوا بصدق كلامي فهو المطلوب ، وإلا فأنا مستعدُ الآن الآن أن آتي إليك بالكتب والمصادر والشهود ! .

قال الملك (متوجّهاً إلى الوزير) : هل كلام العلوي صحيح من أنّ الكتب والمصادر تصرّح بصحة مقالته وصدق حديثه ؟

قال الوزير : نعم .

قال الملك : فلماذا سكتَّ في أول الأمر ؟

قال الوزير : لأني أكره أن أطعن في أصحاب رسول الله (ص) !

قال العلوي : عجيب ! أنت تكره ذلك والله ورسوله لم يكرها ذلك حيث أنه تعالى عرَّف بعض الصحابة بالمنافقين وأمر رسوله بجهادهم كما يجاهد الكفار ، والرسول بنفسه لعن بعض أصحابه !

قال الوزير : ألم تسمع أيها العلوي قول العلماء : إن كل أصحاب الرسول عدول ؟

قال العلوي : سمعتُ ذلك ، ولكني أعرف أنه كذب وافتراء ، إذ كيف يمكن أن يكون كل أصحاب الرسول عدولاً وقد لعن اللهُ بعضهم ، ولعن الرسول بعضهم ، ولعن بعضهم بعضاً ، وقاتل بعضهم بعضاً ، وشتم بعضهم بعضاً ، وقتل بعضهم بعضاً ؟ ؟

وهنا وجد العباسي الباب مسدوداً أمامه ، فجاء من باب آخر وقال : أيها الملك : قل لهذا العلوي : إذا لم يكن الخلفاء مؤمنين فكيف اتخذهم المسلمون خلفاء ، واقتدوا بهم ؟

قال العلوي : أولاً : لم يتخذهم كل المسلمين خلفاء وإنما أهل السنة فقط .

ثانياً : إن هؤلاء الذين يعتقدون بخلافتهم ينقسمون إلى قسمين : جاهل ومعاند ، أما الجاهل فلا يعرف فضائحهم وحقائقهم ، وإنما يتصورهم أُناساً طيبين مؤمنين ، وأما المعاند فلا ينفعه الدليل والبرهان ما دام قد أصرَّ على العناد واللجاج ، يقول تعالى : ﴿ **ولو جئتهم بكل آية لا يؤمنون** ﴾ ، ويقول سبحانه : ﴿ **سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** ﴾ ! .

ثالثاً : إن هؤلاء الذين إتخذوهم خلفاء أخطئوا في الإختيار ، كما أخطأ المسيحيون حيث قالوا : ﴿ **المسيح ابن الله** ﴾ ، وكما أخطأ اليهود حيث قالوا : ﴿ **عُزير ابن الله** ﴾ ، فالإنسان يجب عليه أن يطيع الله والرسول وأن يتبع الحق لا أن يتبع الناس على الخطأ والباطل ، يقول تعالى : ﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول** ﴾ .

قال الملك : دعوا هذا الكلام ، وتكلّموا حول موضوع آخر .

قال العلوي : ومن إشتباهات أهل السنة وأخطاءهم أنهم تركوا علي بن أبي طالب (عليه السلام) وتبعوا كلام الأولين .

قال العباسي : ولماذا ؟

قال العلوي : لأن علي بن أبي طالب عيَّنه الرسول (ص) وأولئك الثلاثة لم يعيّنهم الرسول ؛ ثم أردف قائلاً :

أيها الملك : إنك لو عيَّنتَ في مكانك ولخلافتك إنساناً فهل يجب أن يتبعك الوزراء وأعضاء الحكومة ؟ أم يحق لهم أن يعزلوا خليفتك ، ويعيِّنوا إنساناً آخر مكانك .

قال الملك : بل الواجب أن يتبعوا خليفتي الذي عيَّنته أنا ، وأن يقتدوا به ويطيعوا أمري فيه .

قال العلوي : وهكذا فعل الشيعة ، فقد اتبعوا خليفة رسول الله الذي

عينه (ص) بأمر من الله تعالى وهو علي بن أبي طالب وتركوا غيره .

قال العباسي : لكن علي بن أبي طالب لم يكن أهلاً للخلافة ، حيث أنه كان صغير العمر ، بينما كان أبو بكر كبير العمر ، وكان علي بن أبي طالب قد قتل صناديد العرب ، وأباد شجعانهم فلم تكن العرب ترضى به، ولم يكن أبو بكر كذلك !

قال العلوي : أسمعتَ أيها الملك أن العباسي يقول : إن الناس أعلم من الله ورسوله في تعيين الأصلح ، لأنه لا يأخذ بكلام الله ورسوله في تعيين علي بن أبي طالب ، ويأخذ بكلام بعض الناس في أصلحية أبي بكر ، كأنَّ الله العليم الحكيم لا يعرف الأصلح والأفضل حتى يأتي بعض الناس الجهَّال فيختاروا الأصلح ألم يقل الله تعالى : **﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخِيَرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلَّ ضلالاً مبيناً ﴾** ؟

ألم يقل سبحانه : **﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله والرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾** ؟ .

قال العباسي : كلا إني لم أقُل إن الناس أعلم من الله ورسوله .

قال العلوي : إذن لا معنى لكلامك ، فإن كان الله والرسول قد عيُّنا إنساناً واحداً للخلافة والإمامة ، فاللازم أن تقتدي به ، سواء رضي به الناس أم لا !

قال العباسي : لكن المؤهّلات في علي بن أبي طالب كانت قليلة ؟

قال العلوي : أولاً : معنى كلامك ان الله لم يكن يعرف علي بن أبي طالب حق المعرفة ، فلم يكن يعلم أن مؤهلاته قليلة ولهذا عيّنه خليفة وهذا هو الكفر الصريح ، وثانياً : إن الواقع أن مؤهّلات الخلافة والإمامة كانت متوفرة كاملاً في علي بن أبي طالب ، بينما لم تكن متوفرة في غيره !

قال العباسي : وما هي تلك المؤهّلات ـ مثلاً ـ ؟

قال العلوي : إن مؤهلاتـه عليه السـلام كثيرة جـداً ، فأوَّل المؤهـلات تعيين الله وتعيين رسوله له عليه السلام .

وثانيها : أنه كان أعلم الصحابة على الإطلاق ، فهذا رسول الله يقول : « أقضاكم علي » ، ويقول عمر بن الخطاب : (أقضانا علي)[1] ، ويقول رسول الله : « أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها فمن أراد المدينة والحكمة فليأتِ الباب »[2] ، وقال هو عليه السلام : « علَّمني رسول الله ألف باب من العلم يفتح لي من كل باب ألف باب »[3] ، ومن الواضح أن العالم مقدَّم على الجاهل يقول تعالى : **﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾** .

وثالثها : أنه عليه السلاك كان مستغنيـاً عن غيره، وغيـرهُ كان محتـاجاً إليه ، ألم يقل أبو بكر : « أقيلوني فلستُ بخيّر فيكم وعليٌ فيكم » ؟

ألم يقل عمر في أكثر من سبعين موضع : « لولا علي لهلك عمر » ؟[4] ، و« لا أبقاني الله لمعضلة لست فيها يـا أبا الحسن »[5] ، و« لا يفتـينَّ أحدكم في المسجد وعلي حاضر » ؟

ورابعها : أن علي بن أبي طالب (عليه السلام) لم يكن قد عصى الله ولم يكن قد عبد غير الله ، ولم يكن قد سجد للأصنام طيلة حياته أبداً ، وهؤلاء الثلاثة كانوا قد عصوا الله وعبدوا غيره وسجدوا للأصنام وقد قال الله تعالى : **﴿ لا ينال عهدي الظالمين ﴾** ومن الواضح أن العاصي ظالمٌ ، فلا يكون مؤهلا

---

(١) صحيح البخاري في تفسير قوله تعالى : **﴿ ما ننسخ من آية ﴾** . . . وطبقات ابن سعـد ج٦ ، ص ١٠٢ والإستيعاب ج١ ص ٨ وج٢ ص ٤٦١ وحلية الأولياء ج١ ص ٦٥ وغيره من عشرات المصادر .

(٢) مستدرك الحاكم ج٣ ص ١٢٦ وتاريخ بغداد ج ٤ ص ٣٤٨ وأسد الغابة ج ٢٢ وكنز العمال ج٦ ص ١٥٢ وتهذيب التهذيب لابن حجر ص ٣٢٠ ج٦ وغيره .

(٣) نهج البلاغة .

(٤) الحاكم في المستدرك كتاب الصلاة ج١ ص ٣٥٨ ، والإستيعاب ج٣ ص ٣٩ ومناقب الخوارزمي ص ٤٨ وتذكرة السبط ص ٨٧ وتفسير النيسابوري في سورة الأحقاف وغيره .

(٥) تذكرة السبط ص ٨٧ ومناقب الخوارزمي ص ٦٠ وفيض القدير ج٤ ص ٣٥٧ .

لنيل عهد الله أي : النبوة والخلافة .

وخامسها : أن علي بن أبي طالب كان ذا فكر سليم وعقل كبير ورأي صائب منبعث من الإسلام ، بينما كان غيره ذا رأي سقيم منبعث من الشيطان ، فقد قال أبو بكر : إن لي شيطاناً يعتريني ، وقد خالف عمر رسول الله في مواضع عديدة ، وكان عثمان ضعيف الرأي تؤثّر فيه حاشيته السيئة أمثال : الوزغ بن الوزغ الذي لعنه رسول الله ولعن من في صلبه ـ إلا المؤمن وقليل ما هم ـ : (مروان بن الحكم) وكعب الأحبار اليهودي وغيرهما !

قال الملك ـ موجهاً الخطاب إلى الوزير ـ: هل صحيح أن أبا بكر قال : (إن لي شيطاناً يعتريني) ؟

قال الوزير : هذا موجود في كتب الروايات ![1] !

قال الملك : وهل صحيح أن عمر خالف رسول الله ؟

قال الوزير : نستفسر من العلوي ماذا يقصد من هذا الكلام ؟

قال العلوي : نعم ذكر علماء السنّة في الكتب المعتبرة أن عمر ردَّ على رسول الله (ص) في مواردٍ عديدة ، وخالفه في مواطن كثيرة ، منها :

١ ـ حين أراد النبي أن يصلي على عبدالله بن أُبي ، فقد ردَّ عمر على رسول الله ردّاً نابياً وقاسياً حتى تأذّى منه رسول الله ، والله يقول : ﴿ **والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم** ﴾[2] .

٢ ـ حين أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالفصل بين عمرة التمتع وحج التمتع وجوّز مقاربة الرجل وزوجته بين العمرة والحج ، فاعترض عليه عمر وقال هذه العبارة البشعة : (أنُحرم ومذاكيرنا تقطر منيّاً) فردَّ عليه النبي (ص) قائلاً : إنك لم تؤمن بهذا أبداً وبهذه العبارة عرَّفه النبي بأنه :

---

(١) طبقات ابن سعد ج٣ القسم ١ ص ١٢٩ وتاريخ ابن جرير ج٢ ص٤٤٠ والإمامة والسياسة لابن قتيبة ص٦ وغيره ـ الناشر ـ .

(٢) سورة التوبة آية ٦٠ .

أي عمر ـ ممن يؤمن ببعض ويكفر ببعض .

٣ ـ في متعة النساء ، حيث لم يؤمن بها ، ولما جاء إلى الحكم ، وغصب كرسي الخلافة قال : (متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أُحرمهما وأُعاقب عليهما) بينما يقول الله تعالى في القرآن الكريم : **﴿ فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن ﴾** حيث ذكر المفسرون أنها نزلت في جواز المتعة ، وقد كان عمل المسلمين على هذه حتى أيامِ عمر ، فلمّا حَرَّمها عمر كَثُر الزنا والفجور بين المسلمين[1] ، وبهذا العملِ عطّل عمر حكم الله وسنّة رسول الله ، وروَّج الزنا والفجور ! وصار مشمولاً للآية : **﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون . . . الفاسقون . . . الكافرون ﴾**[2] .

٤ ـ في صلح الحديبية ـ كما مرّ ـ .

إلى غيرها من الموارد التي كان عمر يخالف رسول الله ويؤذيه بقساوة كلامه !

قال الملك : وفي الحقيقة أني أيضاً لا أرضى بمتعة النساء !

قال العلوي : هل أنت تعترف بأنه تشريع إسلامي أم لا ؟

قال الملك : لا أعترف .

قال العلوي : فما معنى الآية : **﴿ فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن ﴾** ؟ وما معنى قول عمر : (متعتان كانتا . . . إلخ) ؟

ألا يدل قول عمر على أن متعة النساء كانت جائزة وجارية في عهد رسول الله ، وفي أيام حكم أبي بكر ، وفي جزء من حكم عمر ثم نهى عنها ومنعها ؟

بالإضافة إلى سائر الأدلة وهي كثيرة ، أيها الملك : إن عمر نفسه كان يتمتع بالنساء وإن عبدالله بن الزبير وُلد من المتعة !

---

(١) عن الإمام علي عليه السلام أنه قال : لولا أن عمر نهى الناس عن المتعة ما زنى إلا شقي .

(٢) ثلاث آيات متتالية في سورة المائدة . (الناشر) .

قال الملك : ماذا تقول يا نظام الملك ؟

قال الوزير : حجة العلوي سليمة وصحيحة ، ولكن حيث أن عمر نهى ، يلزم علينا إتباعه .

قال العلوي : هل أن الله والرسول أحق بالإتباع أم عمر ؟

ألم تقرأ أيها الوزير قوله تعالى : ﴿ **ما آتاكم الرسول فخذوه** ﴾ وقوله : ﴿ **وأطيعوا الرسول** ﴾ ، وقوله : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة** ﴾ ، والحديث المشهور : « حلال محمد حلال إلى يوم القيامة وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة » ؟

قال الملك : إني أؤمن بكل تشريعات الإسلام ، لكن لا أفهم وجه العلّة في تشريع المتعة ، فهل يرغب أحدكم أن يعطي بنته أو أخته لرجل ، كي يتمتع بها ساعة ، أليس هذا قبيحاً ؟

قال العلوي : وما تقول في هذا أيها الملك : هل يرغب الإنسان أن يزوج بنته أو أخته عقداً دائماً لرجل ، وهو يعلم أنه يطلقها بعد ساعة من الإستمتاع بها ؟

قال الملك : لا أرغب ذلك .

قال العلوي : مع أن أهل السنة يعترفون بأن هذا العقد الدائم صحيح ، والطلاق بعده صحيح أيضاً ، فليس الفارق بين عقد المتعة والعقد الدائم إلّا أن المتعة تنتهي بانتهاء مدَّتها، والعقد الدائم ينقطع بالطلاق ، وبعبارة أخرى : عقد المتعة بمنزلة الإجارة ، وعقد الدوام بمنزلة المِلك ، حيث أن الإجارة تنتهي بإنتهاء المدة والمِلك ينتهي بالبيع ـ مثلاً ـ ! .

إذن : فتشريع المتعة سليم وصحيح لأنه قضاء حاجة من حاجات الجسد . كما أن تشريع الدوام الذي ينقطع بالطلاق سليم وصحيح لأنه قضاء حاجة من حاجات الجسد .

ثم أسألك ـ أيها الملك ـ : ما تقول في النساء الأرامل اللّاتي فقدن

أزواجهن ولم يتقدَّم أحد لخطبتهن : أليس عقد المتعة هو العلاج الوحيد لصيانتهن من الفساد والفجور ؟ .

أليس بالمتعة يحصلن على مقدار من المال لمصارف أنفسهن وأطفالهن اليتامى ؟

وما تقول في الشباب والرجال الذين لا تسمح لهم ظروفهم بالزواج الدائم أليست المتعة هي الحل الوحيد لهم للخلاص من القوة الجنسية الطائشة ؟! وللوقاية من الفسق والميوعة ؟

أليست المتعة أفضل من الزنا الفاحش واللواط والعادة السريَّة ؟

إنني أعتقد ـ أيها الملك ـ إن كل جريمة زنا أو لواط أو استمناء تقع بين الناس ، يعود سببها إلى عمر ، ويشترك في إثمها عمر ، لأنه الذي منعها ، ونهى الناس عنها ! وقد ورد في أخبار متعددة : « إن الزنا كَثُر بين الناس منذ أن منع عمر المتعة » ! .

أما قولك ـ أيها الملك ـ : إني لا أرغب . . . إلخ ، فالإسلام لم يجبر أحداً على هذا ، كما لم يجبرك على أن تزوّج بنتك لمن تعلم أنه يطلقها بعد ساعة من عقد النكاح ، بالإضافة إلى أنَّ عدم رغبتك ورغبة الناس في شيء لا يقوم دليلاً على حرمته ، فحكم الله ثابت لا يتغيّر بالأهواء والآراء !

قال الملك ـ موجّهاً الخطاب للوزير ـ : حجة العلوي في جواز المتعة قويّة !

قال الوزير : لكن العلماء اتبعوا رأي عمر .

قال العلوي : أولاً : إن الذين اتّبعوا رأي عمر هم علماء السنّة فقط لا كل العلماء .

ثانياً : حكم الله ورسوله أحق بالإتباع أم قول عمر ؟

ثالثاً : إن علماءكم ناقضوا بأنفسهم قول عمر وتشريعه .

قال الوزير : كيف ؟

قال العلوي : لأن عمر قال : (متعتان كانتا في عهد رسول الله أنا أُحرمهما : متعة الحج ومتعة النساء) ، فإن كان قول عمر صحيحاً فلماذا لم يتبع علماءكم رأيه في متعة الحج ؟ حيث أن علماءكم خالفوا عمر وقالوا : بأن متعة الحج صحيحة ، على الرغم من تحريم عمر !

وإن كان قول عمر باطلاً فلماذا اتبع علماءكم رأيه في حرمة متعة النساء ، ووافقوه ؟

الوزير سكت ولم يقل شيئاً .

قال الملك ـ موجّهاً الكلام إلى الحاضرين ـ : لماذا لا تجيبون العلوي ؟

فقال أحد علماء الشيعة واسمه الشيخ حسن القاسمي : الإيراد والإشكال وارد على عمر وعلى من تبعه ، ولهذا ليس لهؤلاء ـ أيها الملك ـ جواب على إيراد سيدنا العلوي حفظه الله تعالى .

قال الملك : إذن دعوا هذا الموضوع وتكلّموا حول موضوعٍ آخر .

قال العباسي : إن هؤلاء الشيعة يزعمون أنه لا فضل لعمر ، وكفاه فضلاً أنه فتح تلك الفتوحات الإسلامية .

قال العلوي : عندنا لذلك أجوبة :

أولاً : إن الحكام والملوك يفتحون البلاد لأجل توسعة أراضيهم وسلطانهم ، فهل هذه فضيلة ؟

ثانياً : لو سلّمنا أن فتوحاته فضيلة ، لكن هل الفتوحات تبرّر غصبه لخلافة الرسول ؟ والحال أن الرسول لم يجعل الخلافة له وإنما جعلها لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) . . . فإذا أنت ـ أيها الملك ـ عيَّنتَ خليفة لمقامك ، ثم جاء إنسان وغصب الخلافة من خليفتك وجلس مجلسه ، ثم فتح الفتوحات وعمل الصالحات ، فهل ترضى أنت بفتوحاته أم تغضب عليه ، لأنه خلع من عيَّنته، وعَزل خليفتك وجلس مجلسك بغير إذنك ؟

قال الملك : بل أغضب عليه وفتوحاته لا تغسل جريمته !

قال العلوي : وكذلك عمر ، غصب مقام الخلافة ، وجلس مجلس الرسول بغير إذن من الرسول !

ثالثاً : إن فتوحات عمر كانت خاطئة وكان لها نتائج سلبية معكوسة ، لأن رسول الإسلام (ص) لم يُهاجم أحداً ، بل كانت حروبه دفاعية ولذلك رغب الناس في الإسلام ودخلوا في دين الله أفواجاً لأنهم عرفوا أن الإسلام دين سِلم وسلام ، أمّا عمر فإنه هاجم البلاد وأدخلهم في الإسلام بالسيف والقهر ، ولذلك كره الناس الإسلام واتهموه بأنه دين السيف والقوة ، لا دين المنطق واللين وصار ذلك سبباً لكثرة أعداء الإسلام ، فإذن : فتوحات عمر شوّهت سمعة الإسلام وأعطت نتائج سلبية معكوسة .

ولو لم يغصب أبو بكر وعمر وعثمان الخلافة من صاحبها الشرعي : الإمام علي عليه السلام ، وكان الإمام يتسلم مهام الخلافة بعد الرسول مباشرة لكان يسير بسيرة الرسول ويقتفي أثره ، ويطبّق منهاجه الصحيح ، وكان ذلك موجباً لدخول الناس في دين الإسلام أفواجاً ، ولكانت رقعة الإسلام تتسع حتى تشمل وجه الكرة الأرضية !

ولكن : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وهنا تنفّس السيد العلوي تنفساً عميقاً ، وتأوه من صميم قلبه وضرب بيد على أخرى أسفاً وحزناً على ما حلّ بالإسلام بعد وفاة رسول الله (ص) بسبب غصب الخلافة من صاحبها الشرعي : الإمام علي عليه السلام .

قال الملك ـ موجهّاً الكلام إلى العباسي ـ : ما هو جوابك على كلام العلوي ؟

قال العباسي : إني لم أسمع بمثل هذا الكلام من ذي قبل !

قال العلوي : الآن وحيث سمعت هذا الكلام ، وتجلّى لك الحق فاترك خلفائك ، واتبّع خليفة رسول الله الشرعي (علي بن أبي طالب عليه السلام) .

ثم أردف العلوي قائلاً : عجيب أمركم معاشر السنة تنسون وتتركون الأصل وتأخذون بالفرع .

قال العباسي : وكيف ذلك ؟

قال العلوي : لأنكم تذكرون فتوحات عمر ، وتنسون فتوحات علي بن أبي طالب .

قال العباسي : وما هي فتوحات علي بن أبي طالب ؟

قال العلوي : أغلب فتوحات الرسول حصلت وتحققت على يد الإمام علي بن أبي طالب مثل بدر وفتح خيبر وحنين وأُحُد والخندق وغيرها . . ولولا هذه الفتوحات التي هي أساس الإسلام لم يكن عمر ، ولم يكن هنالك إسلام ولا إيمان ، والدليل على ذلك أن النبي (ص) قال ـ لمَّا برز عليٌ لقتل عمرو بن عبد ودّ في يوم الأحزاب (الخندق) ـ : (برز الإيمان كلّه إلى الشرك كلِّه ، إلهي إن شئت أن لا تُعبَدْ فلاَ تُعبَدَ) . أي : إن قُتل علي تجرأ المشركون على قتلي وقَتْلِ المسلمين جميعاً ، فلا يبقى بعده إسلام ولا إيمان . وقال (ص) : ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين[1] ، فصحّ أن نقول : إن الإسلام محمَّديّ الوجود علويّ البقاء ، وإن الفضل لله ولعلي في بقاء الإسلام !

قال العباسي : لو فرضنا أن قولكم في أن عمر كان مخطئاً وغاصباً وأنه غيَّر وبدَّل صحيح ، ولكن لماذا تكرهون أبا بكر ؟

قال العلوي : نكرهه لعدة أمور ، أذكر لك منها أمرين :

الأول : ما فعله بفاطمة الزهراء بنت رسول الله ، وسيدة نساء العالمين ـ عليها الصلاة والسلام ـ .

---

(١) الفخر الرازي في نهاية العقول ص ١٠٤ ، مستدرك الحاكم ج٣ ص ٣٢ ، تاريخ بغداد ج٣ ص ١٩ ، الذهبي في تلخيص المستدرك ج٣ ، ص ٣٢ ، أرجح المطالب ص٤٨١ .

الثاني : رفعه الحدّ عن المجرم الزاني : خالد بن الوليد .

قال الملك ـ متعجباً ـ : وهل خالد بن الوليد مجرم ؟

قال العلوي : نعم .

قال الملك : وما هي جريمته ؟

قال العلوي : جريمته أنه أرسله أبو بكر إلى الصحابي الجليل : (مالك بن نويرة) ـ الذي بشّره رسولُ الله أنه من أهل الجنة ـ وأمره ـ أي : أمر أبو بكر خالداً ـ أن يقتل مالك وقومه ، وكان مالك خارج المدينة المنورة فلما رأى خالداً مقبلاً إليه في سريّة من الجيش أمر مالك قومه بحمل السلاح ، فحملوا السلاح ، فلما وصل خالد إليهم احتال وكذب عليهم وحلف لهم بالله أنه لا يقصد بهم سوءاً وقال : إننا لم نأتِ لمحاربتكم بل نحن ضيوف عليكم الليلة ، فاطمأنَّ مالك ـ لمّا حلف خالد بالله ـ بكلام خالد ووضع هو وقومه السلاح وصار وقت الصلاة فوقف مالك وقومه للصلاة فهجم عليهم خالد وجماعته وكتفّوا مالكاً وقومه ثم قتلهم المجرم خالد عن آخرهم ، ثم طمع خالد في زوجة مالك (لما رآها جميلة) وزنى بها في نفس الليلة التي قتل زوجها ، ووضع رأس مالك وقومه أثافي[1] للقِدر وطبخ طعام الزنا وأكل هو وجماعته ! ، ولمّا رجع خالد إلى المدينة أراد عمر أن يقتص منه لقتله المسلمين ويجري عليه الحد لزناه بزوجة مالك ولكن أبا بكر (المؤمن !) منع عن ذلك منعاً شديداً ، وبعمله هذا أهدر دماء المسلمين وأسقط حدّاً من حدود الله ! .

قال الملك (متوجهاً إلى الوزير) : هل صحيح ما ذكره العلوي في حق خالد وأبي بكر ؟

---

١) الأثافي هو الحجر الذي يوضع عليه القدر .

قال الوزير : نعم هكذا ذكر المؤرّخون ![1] .

قال الملك : فلماذا يُسمي بعض الناس خالداً بـ(سيف الله المسلول) ؟

قال العلوي : إنه سيف الشيطان المشلول ولكن حيث أنه كان عدواً لعلي بن أبي طالب وكان مع عمر في حرق باب دار فاطمة الزهراء سمّاه بعض السنة بسيف الله !

قال الملك : وهل أهل السنّة أعدء علي بن أبي طالب ؟

قال العلوي : إذا لم يكونوا أعداءه فلماذا مدحوا من غصب حقه ، والتفوا حول أعداءه وأنكروا فضائله ومناقبه حتى بلغ بهم الحقد والعداء إلى أن يقولوا : (إن أبا طالب مات كافراً) والحال إن أبا طالب كان مؤمناً وهو الذي نصر الإسلام في أشد ظروفه ودافع عن النبي في رسالته !

قال الملك : وهل أن أبا طالب أسلم ؟

قال العلوي : لم يكن أبو طالب كافراً حتى يسلم ، بل كان مؤمناً يخفي إيمانه ، فلما بُعث رسول الله (ص) أظهر أبو طالب الإسلام على يده فهو ثالث المسلمين : أولهم علي بن أبي طالب ، والثاني : السيدة خديجة الكبرى زوجة النبي (ص) ، والثالث : هو أبو طالب (عليه السلام) .

قال الملك للوزير : هل صحيح كلام العلوي في حق أبي طالب ؟

قال الوزير : نعم ذكر ذلك بعض المؤرّخين[2] .

---

(١) منهم : أبو الفداء في تاريخه ج١ ص ١٥٨ والطبري في تاريخه ج٣ ص ٢٤١ وابن الأثير في تاريخه ج٣ ص ١٤٩ وابن عساكر في تاريخه ج٥ ص ١٠٥ وابن كثير في تاريخه ج٦ ص ٣٢١ وغيرهم . (الناشر) .

(٢) الحاكم في المستدرك ج٢ ص ٦٢٣ وشرح ابن أبي الحديد ج٣ ص ٣١٣ ، وتاريخ ابن كثير ج٣ ص ٨٧ ، وشرح البخاري للقسطلاني ج٢ ص ٢٢٧ ، والسيرة الحلبية ج١ ص ١٢٥ وغيرها من عشرات الكتب ـ الناشر ـ .

قال العلوي : لأن أبا طالب أبو الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام فحقد أهل السنة على علي بن أبي طالب أوجب أن يقولوا : أن أباه مات كافراً ، كما أن حقد السنّة على (علي) أوجب أن يقتلوا ولديه الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة ، حتى قال أهل السنّة الذين حضروا كربلاء لقتل الحسين : نُقاتلك بُغضاً منّا لأبيك وما فعل بأشياخنا يوم بدر وحنين ! .

قال الملك ـ موجهاً الكلام إلى الوزير ـ : هل قال هذا الكلام قَتَلَة الحسين ؟

قال الوزير : ذكر المؤرّخون أنهم قالوا هذا الكلام للحسين !

قال الملك للعباسي : فما جوابك عن قصة خالد بن الوليد ؟

قال العباسي : إن أبا بكر رأى المصلحة في ذلك !

قال العلوي ـ متعجباً ـ : سبحان الله ! وأي مصلحة تقتضي أن يقتل خالد الأبرياء ويزني بنسائهم ثم يبقى بلا حدّ ولا عقاب ، بل يفوِّض إليه قيادة الجيش ، ويقول فيه أبو بكر أنه سيف سلّه الله ، فهل سيف الله يقتل الكفار أو المؤمنين ؟ وهل سيف الله يحفظ أعراض المسلمين أو يزني بنساء المسلمين ؟ ؟

قال العباسي : هَبْ ـ أيها العلوي ـ أن أبا بكر أخطأ ، لكن عمر تدارك الأمر !

قال العلوي : تدارك الأمر هو أن يجلد خالد للزنا ، ويقتله لقتله الأبرياء المؤمنين ، ولم يفعل ذلك عمر ، فعمر أخطأ كما أخطأ أبا بكر من قبله .

قال الملك : إنك أيها العلوي قلت في أول الكلام أن أبا بكر أساء إلى فاطمة الزهراء بنت رسول الله (ص) فما هي إساءته إلى فاطمة ؟ .

قال العلوي : إن أبا بكر بعدما أخذ البيعة لنفسه من الناس بالإرهاب والسيف والتهديد والقوة أرسل عمراً وقنفذاً وخالد بن الوليد وأبا عبيدة الجراح وجماعة أخرى ـ من المنافقين ـ إلى دار علي وفاطمة (عليهما السلام) ، وجمع عمر الحطب على باب بيت فاطمة (ذلك الباب الذي طالما وقف عليه رسول الله وقال : السلام عليكم يا أهل بيت النبوة ، وما كان يدخله إلاّ بعد الإستئذان) وأحرق الباب بالنار ، ولما جاءت فاطمة خلف الباب لترد عمر وحزبه عَصَرَ عمر فاطمة بين الحائط والباب عصرة شديدة قاسية حتى أسقطت جنينها ونبت مسمار الباب في صدرها وصاحت فاطمة : أبتاه يا رسول الله أنظر ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة ! فالتفت عمر إلى من حوله وقال : إضربوا فاطمة ، فانهالت السياط على حبيبة رسول الله وبضعته حتى أدموا جسمها ! .

•

وبقيت آثار هذه العصرة القاسية والصدمة المريرة تنخر في جسم فاطمة ، فأصبحت مريضة عليلة حزينة حتى فارقت الحياة بعد أبيها بأيّام ـ ففاطمة شهيدة بيت النبوة ، فاطمة قُتلت بسبب عمر بن الخطاب !

قال الملك للوزير : هل ما يذكره العلوي صحيح ؟

قال الوزير : نعم إني رأيت في التواريخ ما يذكره العلّوي[1] !

قال العلوي : وهذا هو السبب لكراهة الشيعة أبا بكر وعمر !

وأضاف العلوي قائلاً : ويدلّك على وقوع هذه الجريمة من أبي بكر وعمر أن المؤرّخين ذكروا أن فاطمة ماتت وهي غاضبة على أبي بكر وعمر وقد ذكر الرسول (ص) في عدة أحاديث له : (إن الله يرضى لرضا فاطمة ويغضب

---

(١) كتاب السقيفة لأبي بكر الجوهري والإمامة والسياسة لابن قتيبة وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج٢ ص١٩ . (الناشر) .

لغضبها) وأنت أيها الملك تعرف ما هو مصير من غضب الله عليه ! ؟

قال الملك (موجهاً الخطاب للوزير) : هل صحيح هذا الحديث ؟ وهل صحيح أن فاطمة ماتت وهي واجدة ـ أي غاضبة ـ على أبي بكر وعمر ؟

قال الوزير : نعم ذكر ذلك أهل الحديث والتاريخ[1] !

قال العلوي : ويدلّك أيها الملك على صدق مقالتي : أن فاطمة أوصت إلى علي بن أبي طالب عليه السلام أن لا يُشهِد أبا بكر وعمر وسائر الذين ظلموها جنازتها ، فلا يصلُّوا عليها ، ولا يحضروا تشييعها ، وأن يخفي عليٌ قبرها حتى لا يحضروا على قبرها ، ونفّذ عليٌ (عليه السلام) وصاياها !

قال الملك : هذا أمرٌ غريب ، فهل صدر هذا الشيء من فاطمة وعلي ؟

قال الوزير : هكذا ذكر المؤرخون !

قال العلوي : وقد آذى أبو بكر وعمر فاطمة أذية أخرى !

قال العباسي : وما هي تلك الأذيّة ؟

قال العلوي : هي أنهما غصبا مِلكها (فدك) .

قال العباسي : وما هو الدليل على أنهما غصبا (فدك) ؟

قال العلوي : التواريخ ذكرت أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أعطى فدكاً لفاطمة[2] فكانت فدك في يدها ـ في أيام رسول الله ـ فلما قُبض النبي (ص) أرسل أبو بكر وعمر من أخرج عمّال فاطمة من (فدك)

---

(١) صحيح البخاري كتاب الخمس الحديث رقم ٢ وفيه في باب غزوة خيبر وكتاب الفرائض ، وصحيح الترمذي ج١ باب ما جاء من تركة رسول الله والإمامة والسياسة ص ومستدرك الصحيحين ج٣ ص١٥٣ وميزان الإعتدال ج٢ ص٧٢ وكنز العمال ج٦ ص ٢١٩ وغيرهم ـ الناشر ـ .

(٢) فدك اسم أرض بين المدينة وخيبر وكانت ملكاً للرسول فوهبها إلى ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام . (الناشر) .

بالجبر والسيف والقوة ، واحتجّت فاطمة على أبي بكر وعمر لكنهما لم يسمعا كلامها ، بل نهراها ومنعاها ، ولذلك لم تكلّمهما حتى ماتت غاضبة عليهما !

قال العباسي : لكن عمر بن عبد العزيز ردَّ فدك على أولاد فاطمة ـ في أيام خلافته ـ ؟

قال العلوي : وما الفائدة ؟ فهل لو أن إنساناً غصب منك دارك وشرّدك ثم جاء إنسان آخر بعد أن متَّ أنت ، ورد دارك على أولادك كان ذلك يمسح ذنب الغاصب الأول ؟

قال الملك : يظهر من كلامكما ـ أيها العباسي والعلوي ـ أن الكل متفقون على غصب أبي بكر وعمر فدكاً ؟

قال العباسي : نعم ذكر ذلك التاريخ[1] !

قال الملك : ولماذا فعلا ذلك ؟

قال العلوي : لأنهما أرادا غصب الخلافة ، وعلما بأن فدك لو بقيت بيد فاطمة لبذلت ووزَّعت واردها الكثير (مائة وعشرون ألف دينار ذهب ـ على قول بعض التواريخ ـ) في الناس ، وبذلك يلتف الناس حول علي عليه السلام ، وهذا ما كان يكرهه أبو بكر وعمر !

قال الملك : إذا صحت هذه الأقوال فعجيب أمر هؤلاء ! وإذا بطلت خلافة هؤلاء الثلاثة ، فمن يا تُرى يكون خليفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ؟

قال العلوي : لقد عيّن الرسول بنفسه ـ وبأمرٍ من الله تعالى ـ خلفاءه من بعده ، في الحديث الوارد في كتب الحديث حيث قال : (الخلفاء بعدي إثنا عشر بعدد نقباء بني إسرائيل وكلهم من قريش) .

---

(١) الهيثمي في مجمعه ج٩ ص ٣٩ والإمامة والسياسة وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد وغيرهم . (الناشر) .

قال الملك للوزير : هل صحيح أن الرسول قال ذلك ؟

قال الوزير : نعم .

قال الملك : فمن هم أولئك الإثنا عشر ؟

قال العباسي : أربعة منهم معروفون وهم : أبو بكر وعمر عثمان وعلي .

قال الملك : فمن البقية ؟

قال العباسي : خلاف في البقية بين العلماء .

قال الملك : عدّهم .

فسكت العباسي .

قال العلوي : أيها الملك : الآن أذكرهم لك بأسمائهم حسب ما جاء في كتب علماء السنّة وهم : علي ، الحسن ، الحسين ، علي ، محمد ، جعفر ، موسى ، علي ، محمد ، علي ، الحسن ، المهدي عليهم الصلاة والسلام[1] .

قال العباسي : اسمع أيها الملك : إن الشيعة يقولون بأن (المهدي) حي في دار الدنيا منذ سنة (٢٥٥) وهل هذا معقول ؟ ويقولون : أنه سيظهر في آخر الزمان ليملأ الأرض عدلاً بعد أن تُملأ جوراً .

قال الملك (موجهاً الخطاب إلى العلوي) : هل صحيح أنكم تعتقدون بذلك ؟

قال العلوي : نعم صحيح ذلك ، لأن الرسول قال بذلك ، ورواه الرواة من الشيعة والسنّة .

---

(١) لقد وردعشرون نصاً عن النبي (ص) في التنصيص على أسماء الأئمة الإثني عشر ، عن طرق السنّة وكتبهم ، فمنها : فرائد السمطين ج٤ ، تذكرة ابن الجوزي ص ٣٧٨ ، ينابيع المودة ص٤٤٢ ، الأربعين للحافظ أبو محمد بن أبي الفوارس ، مقتل الحسين لأبي المؤيد ، منهاج الفاضلين ص ٢٣٩ ، درر السمطين ، وغيره ـ الناشر ـ .

قال الملك : وكيف يمكن أن يبقى إنسان هذه المدة الطويلة ؟

قال العلوي : الآن لم يذهب من عمر الإمام المهدي مقدار ألف سنة[1] ، والله يقول في القرآن حول نوح النبي : ﴿ **فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً** ﴾ فهل يعجز الله أن يبقي إنساناً هذه المدة ؟

أليس الله بيده الموت والحياة وهو على كل شيء قدير ؟

ثم إن الرسول قال ذلك وهو صادق مصدّق .

قال الملك (موجهاً الخطاب إلى الوزير) : هل صحيح أن الرسول أخبر بالمهدي ، على ما يقوله العلوي ؟

قال الوزير : نعم[2] .

قال الملك للعباسي : فلماذا أنت تنكر الحقائق الواردة عندنا نحن السنّة ؟

قال العباسي : خوفاً على عقيدة العوام أن تتزلـزل ، وتميل قلوبهم نحـو الشيعة !

قال العلوي : إذن أنت أيها العباسي مصداق لقوله تعالى : ﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** ﴾فشملتك اللعنة من الله تعالى .

ثم قال العلوي : أيها الملك اسأل من هذا العباسي : هل يجب على العالِم المحافظة على كتاب الله وأقوال رسول الله أم يجب عليه المحافظة على عقيدة العوام المنحرفة عن الكتاب والسنّة ؟

---

(١) طبعاً بالنسبة إلى ذلك الوقت أما اليوم ـ ونحن في سنة ١٣٩٨ هجرية ـ فينقضي على عمره الشريف ألف ومائة وثلاث وأربعون سنة .

(٢) المصادر كثيرة منها : الملاحم والفتن الباب ١٩ ، عقد الدرر الحديث ٢٦ ، ينابيع المودة ص ٤٩١ ، تذكرة الخواص الباب ٦ ، حلية الأولياء ، أرجح المطالب ص٣٧٨ ، دخائر العقبى للشافعي وغيرهم

قال العباسي : إني أُحافظ على عقيدة العوام حتى لا تميل قلوبهم إلى الشيعة لأن الشيعة أهل البدعة !

قال العلوي : إن الكتب المعتبرة تحدثنا إن إمامكم (عمر) هو أول من أدخل البدعة في الإسلام ، وصرّح هو بنفسه حين قال : (نعمتِ البدعة هذه) وذلك في قصة صلاة التراويح لما أمر الناس أن يصلوا النافلة جماعة مع العلم أن الله والرسول حرّما النافلة جماعة ، فكانت بدعة عمر مخالفة صريحة لله والرسول ![1] .

ثم : ألم يبدع عمر في الآذان بإسقاط (حي على خير العمل) وزيادة (الصلاة خير من النوم) ؟[1] .

ألم يبدع بالغاء سهم المؤلفة قلوبهم خلافاً لله والرسول ؟
ألم يبدع في إلغاء متعة الحج ، خلافاً لله والرسول ؟
ألم يبدع في إلغاء متعة النساء خلافاً لله والرسول ؟
ألم يبدع في إلغاء إجراء الحدّ على المجرم الزاني : خالد بن الوليد ، خلافاً لأمر الله والرسول في وجوب اجراء الحدّ على الزاني والقاتل ؟
إلى غيرها من بدعكم أنتم أيها السنة التابعين لعمر .

فهل أنتم أهل بدعة أم نحن الشيعة ؟

---

(١) صحيح البخاري باب صلاة التراويح ، والصواعق . وقال القسطلاني في كتاب إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري ج٥ ص ٤ عند بلوغه إلى قول عمر (نعمت البدعة هذه) : سماها بدعة لأن رسول الله لم يسن لهم ولا كانت في زمن أبي بكر ولا أول الليل ولا هذا العدد . أقول : نعم إن خليفة المسلمين (!) يبدع في الدين ـ مبروك ـ .

(٢) ذكر القوشجي وهو من أكابر علماء السنة أن عمر قال : ثلاث كنّ على عهد رسول الله وأنا أنهي عنهن وأُحرمهن وأُعاقب عليهن : متعة النساء ومتعة الحج وحي على خير العمل ، وقال الإمام مالك (في الموطأ) : إنه بلغه أن المؤذن جاء إلى عمر بن الخطاب يؤذنه بصلاة الصبح فوجده نائماً فقال : الصلاة خير من النوم ، فأمره عمر أن يجعلها في نداء الصبح ! أقول : ليت شعري هل يجوز لعمر بن الخطاب أن يزيد وينقص في الاذان ـ الذي هو أمر من أمور الدين ـ بهوي نفسه ورغبة فكره ؟ ؟ ـ الناشر .

قال الملك للوزير : هل صحيح ما ذكره العلوي من بدع عمر في الدين ؟

قال الوزير : نعم ذكر ذلك جماعة من العلماء في كتبهم !

قال الملك : إذن كيف نتبع نحن إنساناً أبدع في الدين ؟

قال العلوي : ولهذا يحرم اتباع هكذا إنسان ، لأن رسول الله (ص) قال : (كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار) فالذين يتبعون عمر في بدعة ـ وهم عالمون بالأمر ـ فهم من أهل النار ـ قطعاً ـ !

قال العباسي : لكن أئمة المذاهب أقرُّوا فعل عمر ؟

قال العلوي : وهذه بدعة أخرى أيها الملك !

قال الملك : وكيف ذلك ؟

قال العلوي : لأن أصحاب هذه المذاهب وهم : أبو حنيفة ومالك بن أنس ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، لم يكونوا في عصر النبي (ص) ، بل جاؤوا بعده بمائتي سنة ـ تقريباً ـ فهل المسلمون الذين كانوا بين عصر الرسول وبين عصر هؤلاء كانوا على باطل وضلال ؟ وما هو المبرّر في حصر المذاهب في هؤلاء الأربعة وعدم إتباع سائر الفقهاء ؟ وهل أوصى الرسول بذلك ؟

قال الملك : ما تقول يا عباسي ؟

قال العباسي : كان هؤلاء أعلم من غيرهم !

قال الملك : فهل أن علم العلماء جفّ دون هؤلاء ؟

قال العباسي : ولكن الشيعة أيضاً يتّبعون مذهب (جعفر الصادق) ؟

قال العلوي : إنما نحن نتبع مذهب جعفر لأن مذهبه مذهب رسول الله لأنه من أهل البيت الذين قال الله عنهم : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾ وإلاّ فنحن نتبع كل الأئمة الإثني عشر لكن حيث أن الإمام الصادق (عليه السلام) تمكن أن ينشر العلم والتفسير

والأحاديث الشريفة أكثر من غيره من الأئمة (بسبب وجود بعض الحريّة في عصره) حتى كان يحضر مجلسه أربعة آلاف تلميذ[1] ، وحتى استطاع الإمام الصادق أن يجدد معالم الإسلام بعدما حاول الأمويون والعباسيون القضاء عليها ، ولهذا سمي الشيعة بـ(الجعفرية) نسبة إلى مجدد المذهب وهو الإمام جعفر الصادق عليه السلام .

قال الملك : ما جوابك يا عباسي ؟

قال العباسي : تقليد أئمة المذاهب الأربعة عادة إتخذناها نحن السنّة !

قال العلوي : بل أجبركم على ذلك بعض الأمراء ، وأنتم أتبعتم أولئك متابعة عمياء لا حجة لكم فيها ولا برهان !

سكت العباسي .

قال العلوي : أيها الملك : إني أشهد أن العباسي من أهل النار ، إذا مات على هذه الحالة .

قال الملك : ومن أين علمت أنه من أهل النار ؟

قال العلوي : لأنه ورد عن رسول الله (ص) قوله : « من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية » فاسأل أيها الملك : من هو إمام زمان العباسي ؟

قال العباسي : لم يرد هذا الحديث عن رسول الله .

قال الملك للوزير : هل ورد هذا الحديث عن رسول الله ؟

قال الوزير : نعم ورد[2] !

---

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة : تاريخ بغداد ، وغيرها .

(٢) المصادر : الحافظ النيسابوري في صحيحه ج٨ ص١٠٧ ، ينابيع المودة ص١١٧ ، نفحات اللاهوت ص٣ ، صحيح مسلم ، وغيره .

قال الملك مغضباً : كنتُ أظن أنـك أيها العبـاسي ثقة ، والآن تبـين لي كذبك !

قال العباسي : إني أعرف إمام زماني !

قال العلوي : فمن هو ؟

قال العباسي : الملك !

قـال العلوي : اعلم أيَها الملكِ إنـه يكذب ، ولا يقـول ذلك إلا تملّقـاً لك !

قال الملك : نعم إني أعلم أنه يكذب ، وإني أعرف نفسي بأني لا أصلح أن أكون إمام زمان الناس ، لأني لا أعلم شيئاً ، وأقضي غالب أوقاتي بالصيد والشؤون الإدارية !

ثم قال الملك : أيها العلوي فمن هو إمام الزمان في رأيك ؟

قال العلوي : إمام الزمان في نظري وعقيدتي هو (الإمام المهدي) عليه السلام كما تقدم الحديث حوله عن رسول الله صلى الله عليـه وآله وسلم فمن عرفه مات ميتة المسلمين . وهو من أهل الجنة ، ومن لم يعرفه مات ميتة جاهلية وهو في النار مع أهل الجاهلية ! .

وهنا تهلّل وجه الملك شاه ، وظهرت آثار الفرح والسرور في وجهه والتفت إلى الحاضرين قائلاً :

إعلموا أيتها الجماعة إني قـد أطمأننتُ ووثقتُ من هـذه المحاورة (وقـد كانت دامت ثلاثة أيام) وعرفتُ وتيقنتُ أن الحق مع الشيعة في كل ما يقولون ويعتقدون ، وإن أهل السنة باطل مذهبهم ، منحرفة عقيدتهم ، وإني أكون ممن إذا رأى الحق أذعنَ له واعترف به ، ولا أكون من أهل الباطل في الدنيا وأهل النار في الآخرة ولذلك فإنني أُعلن تشيّعي أمامكم ، ومن أحب أن يكون معي فليتشيّع على بركة الله ورضوانه ويُخرج نفسه من ظلمات الباطل إلى نور الحق !

فقال الوزير نظام الملك : وأنا كنت أعلم ذلك ، وإن التشيّع حق ، وإن

المذهب الصحيح فقط هو مذهب الشيعة منذ أيام دراستي ولذا أُعلن أنا أيضاً تشيّعي .

وهكذا دخل أغلب العلماء والوزراء والقوّاد الحاضرين في المجلس (وكان عددهم يقارب السبعين) في مذهب الشيعة .

وانتشر خبر تشيّع الملك ونظام الملك والوزراء والقواد والكتّاب في كافة البلاد ، فدخل في التشيّع عدد كبير من الناس ، وأمر نظام الملك ـ وهو والد زوجتي ـ أن يدرّس الأساتذة مذهب الشيعة في المدارس النظامية في بغداد !

لكن بقي بعض علماء السنّة الذين أصرّوا على الباطل على مذهبهم السابق مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ فهي كالحجارة أو أشدّ قسوة ﴾ .

وأخذوا يحيكون المؤامرات ضد الملك ونظام الملك وحمّلوه تبعة هذا الأمر إذ كان هو العقل المدبّر للبلاد ، حتى امتدَّت إليه يدٌ أثيمة ـ بإيعاز من هؤلاء المعاندين السنة ـ فاغتالوه في ١٢ رمضان سنة (٤٨٥) ، وبعد ذلك اغتالوا الملك شاه سلجوقي .

فإنّا لله وإنّا إليه راجعون فلقد قُتلا في سبيل الله ومن أجل الحق والإيمان ، فهنيئاً لهما ولكل من يُقتل في سبيل الله ومن أجل الحق والإيمان .

وقد نظمتُ قصيدة رثاء للشيخ العظيم نظام الملك ومنها هذه الأبيات :

الوزير نظام الملك لؤلؤة	نفيسة صاغها الرحمن من شرفِ
عزّت فلم تعرف الأيام قيمتها	فردّها غيرة منه إلى الصدف
اختار مذهب حق في محاورة	تبدي الحقيقة في برهان منكشف
دين التشيع حق لا مراء له	وما سواه سراب خادع السجف
لكنَّ حقداً دفيناً حرّكوه له	فبات بدر الدجى في ظل منخسفِ
عليه ألف سلام الله تالية	ترى على روحه في الخلد والغرف

وقد كنتُ أنا حاضر المجلس والمحاورة ، وقد سجَّلت كل ما دار في

المجلس ، ولكني حذفت الزوائد ، واختصرتُ المجلس في هذه الرسالة .

والحمدلله وحده الصلاة على محمد وآله الأطياب وأصحابه الأنجاب .

كتبته في بغداد في المدرسة النظامية .

مقاتل بن عطية

فهرس